مهاب ترجم

عقل مذنب

رواية

الرواق للنشر والتوزيع




ساحر
الكتب



عقل مذنب

مهاب ترجم

■ الطبعة الأولى .... يناير 2017

الغلاف: كريم آدم

التصحيح اللغوي: محمد هشام

رقم الإيداع: 2016/22710

الترقيم الدولي: 4-94-5153-977-978



186 عمارات امتداد رمسيس 2 - أمام أرض المعارض - مدينة نصر

محمول: 01147379183

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing

عقل مذنب

رواية

مهاب ترجم

الرواق للنشر والتوزيع



إلى كل من قرأ لي حرفًا.. إلى كل من آمن بموهبتي.. إلى كل من دعمني برأيه بالسلب أو بالإيجاب.. أهديكم روايتي الثانية.. علّني أكون دائمًا عند حسن ظنكم في كل ما أقدمه.

كما أهدي تلك الرواية إلى روح جدي رحمه الله، ذلك العجوز الذي أثرى فكري بحكاياته منذ صغري، وروى لي الكثير من الحكايات التي لم أنسَ أيًّا منها حتى الآن، علّ روحه الطيبة تدرك أن الدنيا منحتني الفرصة لأن أكون الراوي كما كان هو.



شكر خاص

والدتي، والدي، أختي: شكرا على دعواتكم ووقوفكم بجانبي دوما في أوقات فرحي وأوقات حزني، لولا وجودكم في حياتي لما صار لشخصي وجود.

هاني عبد الله.. منحتني حق تحويل الحُلم إلى حقيقة، سأظل مدينًا لكَ بفضل نجاحي طيلة حياتي.

أحمد عبد المجيد.. خروج الرواية اليوم للنور، الفضل الأول يعود فيه لله سبحانه وتعالى، ومن بعده لتوجيهاتك ونصائحك التي حفزتني لأكتب كل ما بداخلي بالشكل الصحيح، وعلى المستوى الذي طالما طمحت إليه.



إهداء خاص

صفوت غطاس، دكتور شادي، محمد صلاح راجح، المخرج أحمد عبد الباسط، أستاذ أشرف العشماوي، محمد صادق، شريف عبد الهادي، عصام منصور، إبراهيم القاضي، ميسرة الدندراوي، محمد جلال، أحمد القرملاوي، سارة البدري، أمير عاطف، محمد فؤاد عيسى، محمود إمام، رهام راضي، آية عبد الرازق، مأمون جمال، علاء إبراهيم، وليد عبد المنعم، دنيا أحمد رزق، عبد العزيز أحمد

كل الشكر والتقدير لكم جميعا على منحكم إيَّاي الحب والثقة من دون مقابل، أحبكم أضعاف حبكم لي.



(١)
منتصف الحكاية

أحيانا لا نستطيع سرد الحكايات من بدايتها، فقط نودُّ أن نحكي عما يلمُّ بنا الآن، فقط نحب أن نشكو آلامنا وأوجاعنا الحالية من دون التطرق إلى الماضي، من منا يحب إحياء ذكرياته الأليمة التي مضت وتوارت مع الأيام؟ من منَّا قادر على بعثرة التراب عن نفسه من جديد، ورؤية تلك الذكريات تحيا مجددًا أمام عينيه؟ حفنة من النار نلقيها على أوجاعنا الحالية فتزيدنا ألمًا ووجعًا! الساديُّون فقط هم من يعذبون أنفسهم وينظرون إلى الخلف، معتقدين أن الدفاتر القديمة قادرة على شفاء آلامنا الحالية، هل حقا تكون مداواة شكوانا في إحياء ذكرياتنا الأليمة؟

صيف ٢٠١٠

استيقظ من نومه محاولا فتح عينيه بصعوبة إلى أن نجح بالفعل في ذلك، نظر إلى ساعة الحائط بعين واحدة ضاقت حدقتها، دافنًا عينه الأخرى مع نصف وجهه الأيمن في الوسادة.. حاول جاهدًا أن يتحرك من مكانه إلا أن المجهود الذي بذله ليلة أمس لم يجعله يقوى حتى على الحراك، وكأن مخدرًا

قويًا قد سرى في عروقه وخدَّر كل أعصابه وأطرافه، رفع الجزء المدفون من رأسه في الوسادة ليفتح عينه الأخرى، أخذ نفسًا عميقًا، ثم مد يده ليمسح العرق عن جبينه ووجهه ورقبته.. نجح أخيرا في القفز بجسده العاري من على السرير النحاسي الكبير، الشاهد الوحيد على كل علاقاته.. كم يعشق هو ذلك السرير حقًا، دخل الحمام وفتح صنبور المياه، أغمض عينيه مستسلمًا إلى مطر الدش الذي دومًا ما ينسيه همومه للحظات وجيزة، يعود بعدها إلى حياته الرتيبة مرتديًا حلته الكاملة ذاهبًا إلى عمله، فهو المهندس المشهور «حسين الصاوي» رجلٌ سنواتُ عمره الخمسة والثلاثون لا يمكن تراهم فيه، فهو وسيم له شعر أسود فاحم، تتخلَّله خصلة رمادية اللون تضفي على وجهه الكثير من الجاذبية، وعينان واسعتان سوداوان دائمًا تلمعان باليقظة والفطنة والذكاء خلف نظارته الطبية ذات الإطار الأسود الداكن، يذهب «حسين» إلى مكتبه الفخم بشارع سوريا.. ذلك المكتب المفعم بمشاريع هندسية جمة يباشرها كلها بنفسه، يمر وقته الطويل الرتيب بين مكتبه ورسومه الهندسية إلى أن تأتي الساعة السادسة مساءً، وكأنها تعلن عن ميعاد الوجه الآخر للعملة، يعود إلى منزله يغير ملابسه بعد استحمام سريع، وينطلق بسيارته المرسيدس السوداء C180 موديل ٢٠١٠ إلى بار أندريا بالعجمي، ذلك البار الذي يعشق السهر فيه في ليالي الصيف الحارة، ويفتقده حقًا في الشتاء ليستعيض عنه بأيٍّ من بارات الفنادق التي لا تُمتعه تقضيةُ وقته فيها، كما يمتعه أندريا بصخبه، وحياته الماجنة العامرة بالملذّات والنساء الجميلات، التي تشبه كل واحدة من زُوّاره وكأنها قطعة فريدة من الماس، واختياره لذلك البار تحديدًا كان لبعده عن الإسكندرية وصخبها بالصيفْ، وأشخاصها الكثيرون الذين يعرفونه ولا يفضل أن يروهُ وهو ثملٌ يداعب النساء والفتيات المراهقات، ويراقصهن طمعًا في أن يفوز بليلة مع أيٍّ منهن، تنتهي سهرته في البار، ثم يعود إلى منزله وقد اعتاد ألا يعود خاويَ الوفاض إلى المنزل، فدائمًا ما كانت الفتيات تتهافتن عليه في أندريا.. فالنساء يُحِبْنَ الرجل الكبير حب القط لخنّاقه، ونفس الحال

مع الرجال المتقدمين في العمر مثل «حسين»، فهم دائمًا يفضلون الفتيات الصغيرات لإرضاء غرورهم ونزواتهم، فترى الموضوع برمته مرهونًا بحالة نفسية ما لدى الطرفين تجعل كلًا منهما ينجذب للآخر انجذاب مغناطيسين من دون إرادة، إنه يعشق لحظات جنونه، لحظات رعونته، تلك اللحظات حينما يكون على طبيعته بلا أي قيود اجتماعية، يشرب ويرقص ويضحك، ينفض عن نفسه حلته الكلاسيكية ونظارته الطبية بإطارها الأسود الداكن، وكأنه الإطار القاتم الذي أحاط به حياته لا عينيه فحسب.. إنه هنا في أندريا يكون كالوجه الآخر للعملة، شخصية أخرى مجنونة بالحياة وملذاتها بكل ما تحمل الكلمة من معنى، يشرب أفخر أنواع الخمور، دومًا يرتدي الجينز الأزرق وقميصًا مفتوحا كاشفًا عن صدره الذي تتوسطه سلسلة فضية متوسطة السمك، يتدلى منها حرف H مدبب الأطراف مزينا داخليًا بمينا سوداء متداخلة مع الفضة، كل ذلك وتلك الصورة شديدة الاختلاف بين رجل النهار ورجل الليل، تجعلك لا يمكن أن تصدق أن «سحس» رجل أندريا اللامع الذي يغار منه جميع رجال أندريا ويحسدونه على من يصطحبه من فتيات، هو نفسه المهندس «حسين الصاوي» الرجل المحترم الكلاسيكي الحاد في كل ما يتعلق بالعمل فلا يسمح بأي تهاون أو خطأ.

في تلك الليلة عاد «حسين» من بار أندريا إلى منزله مصطحبًا إحدى الممثلات الشهيرات «إنجي صادق» نجمة الإغراء الأولى مؤخرًا.. «إنجي صادق» التي طالما حلم بها وبجسدها المتناسق الممشوق.. كثيرًا ما رآها في أفلام سينمائية.. كثيرًا ما تمنَّاها.. كثيرًا ما تخيل تلك القطة الشرسة معه وهو يطفئ ناره في جسدها ذي المرتفعات والوديان المتناسقة.. ثم رآها بالفعل في بار أندريا وحدث التعارف بينهما في ليلة واحدة زارت فيها «إنجي» بار أندريا.. ولم تستطع هي الأخرى مقاومة «سحس» برنس أندريا كما يسمونه نادلو البار وفتياته، وبعد نحو ثلاثة أسابيع من تاريخ ليلة تعارفهما كانت في منزله.. ذلك التعارف الذي استمر طوال ثلاثة أسابيع بالعيون

فقط، صارت بعدها في ليلة واحدة ملكه كما حلم دومًا وهو أيضا قد صار لها، لقد اختارته هو من بين كثيرين تمنوا حتى أن تلقي عليهم تحيتها.

رن هاتفه المحمول في تلك الليلة، بينما هو جالس يحتسي كأسًا من النبيذ الأبيض داخل البار، كانت «إنجي» المتحدثة وطلبت منه أن يأتيها حيث كانت تنتظره خارج البار في منتصف الشارع داخل سيارة سوداء صغيرة، ذهب إلى منتصف الشارع وفوجئ حينما رآها جالسة داخل سيارة قديمة، مرتدية «إيشارب» ونظارة شمسية كبيرة غطت نصف وجهها، فسألها:

ـ يعني ينفع أول مرة نتكلم فيها.. تبقي متنكرة كدا؟!

ـ معلش بقى ضريبة الشهرة.

ـ طب إيه؟!

ـ ينفع اشرب عندك حاجة في البيت ولا ما عندكش حاجة تتشرب؟!

ـ ده كلام! ده انا ما عنديش إلا حاجات تتشرب.. بس هتعرفي توصلي لبيتي بالعربية دي؟!

ـ إطلع بعربيتك من البار وانا هامشي وراك بالعربية.. ولو عطلت هاكلمك.

ـ ماشي الكلام.

بعد قليل كانا في فيللا «حسين الصاوي»، دخلت «إنجي» خلفه بعد أن فتح باب الفيللا وأدار زر النور، لكنه لم يدره حتى آخره ليضيء الفيللا إضاءة هادئة خافتة كما يحب، قالت وهي تنظر إلى منزله وذوقه الرفيع:

wow

فقال وهو يخلع حذاءه:

إيه عجبك البيت؟

قالت وهي تجلس على أحد الفوتيهات الضخمة:

ذوقك يجنن.. تعرف ان البيت شبهك قوي.

ابتسم قائلاً:



مجنون زيي يعني؟

ضحكت وهي تقول:

ده انت مافيش أجن منك.

داعبها بعين وابتسامة فاحصة:

يا سلام!

اقترب منها واستند بكلتا ذراعيه إلى ذراعيْ الفوتيه الذي جلست عليه محوطًا إياها:

طب إيه اللي خلاكي جيتي النهارده وما دخلتيش البار واتصلتي بيا عشان اخرج لك وطلبتي مني نيجي على هنا؟! وجاية في عربية مش قيمتك خالص ولابسة نضارة شمس وإيشارب.. ومشيتي ورايا بالعربية لحد هنا بدل ما تركبي معايا.. إيه الجو ده؟!

ردت بوقاحة وبعين جريئة:

عشان انت عاجبني.. وأكيد يعني مش هاخرج إيدي في إيدك قدام الناس كلها ولا إيه؟! ولا انت عايز الصحفيين يكتبوا عليا وعليك بكرة الصبح؟! مش هتشربني حاجة بقى؟

ـ هاشربك حاجة بقى هتدعي لي..

قالها مبتعدًا عن الكرسي متجهًا إلى المكتبة الكبيرة التي ظهرت كنصف دائرة ملصقة بالحائط الفاصل بين الصالة الجالسين فيها وغرفة مجاورة، ضغط على زر في أسفل المكتبة، ليحرر نصف المكتبة الثابت ليدور بسلاسة مختفيًا في الحائط، كاشفًا عن النصف الدائري الآخر من المكتبة، والذي امتلأ عن آخره بزجاجات الويسكي والنبيذ والشامبانيا.. استرق النظر إلى وجهها المُتفاجئ، بحث بعين سريعة ثم جذبها، زجاجة أبسلوت فودكا شفاف زجاجها ومحتواها بغطاء فضي اللون مرسوم عليها عينان واسعتان اختلطت ألوانها بين الأزرق والأصفر وكتب في وسطها بالإنجليزية «Limited Edition»

شهقت هي وهو يقترب منها بالزجاجة التي حركها أمامها:

يخرب عقلك؟ وانا اللي فاكراك مثقف أتاريها بار؟ والإزازة كمان ليمتد إديشن.. جبتها منين دي يا شقي؟

ضحك وهو يجلس أمام منضدة صغيرة، يقطع بسكين صغير ليمونة إلى نصفين، عصر كل نصف منهما في كوبين، ثم قام بصب القليل من المياه الغازية، وقام بوضع قطعتين كبيرتين من الثلج في كل كوب، ثم قامت هي وجلست أمامه لتشاهد ما يفعله، فقال:

الإزازة دي جبتها من إيطاليا.. هي أصلا ما نزلتش إلا في إيطاليا بعدد معين من الأزايز فجبت معايا خمسة منها..

فتح الزجاجة وملأ الأكواب إلى نصفها، اقترب منها يقدم لها كأسها، وهو يقول:

دوقي بقى هيعجبك قوي.. أنا أحسن واحد بيعمل كوكتيلات خمرة.. يمكن لو ماكنتش بقيت مهندس كان زماني بقيت أصيع بار مان فيكي يا مصر.

ابتسمت وهي تتناول كأسها:

ده انت مصيبة..

ذاقته، ثم قالت وقد أعجبها طعمها:

ممم تجنن.. اللمون كمان عامل شغل.

قال فجأة:

باقول لك صحيح انا نفسي اسألك على حاجة يا نوجا.

قالت بدلال:

إسأل!

سأل مسرعا:

هو الأحضان والبوس اللي بتعمليه في الأفلام ده بجد؟

نظرت إليه وقد مالت برقبتها إلى اليمين دهشة، فتدلت خصلات شعرها السوداء جانبًا وسألته:

أنا ما باعملش بوس الا لو كان في سياق الدراما.. هاهاها إشمعنى بتسأل؟

أصلي بصراحة اتمنيت ابقى بطل فيلم قدامك يوم.

ضحكت عاليًا ضحكة فاقعة، ثم سألته:

طب انا بقى عايزة اعرف انت عندك كام سنة يا سحس؟

- خمسة وتلاتين

- معقولة؟

- إيه أبان اصغر؟..

سألها مبتسما

- بكتير يا سحس.

- بس ما تقلقيش.. الدهن في العتاقي.

ضحكت عاليًا ضحكة فاقعة أخرى

لا يدري كل منهما كم كأسًا شربا وهما يتحدثان ويضحكان، إلى أن جلسا على أريكة صغيرة مودرن قرمزية اللون.. فاتحا هو قميصه إلى آخره، حرف الـH في صدره يرقص فرحا استعدادًا لملامسة جسد آخر غير جسده.. اقترب منها ورائحة الخمر تفوح من فمه، قال شبه هامس وهو يزيح وسادة كبيرة من خلف ظهرها ليرمها أرضًا:

إنتي عارفة انك اكتر واحدة اتمنيتها في حياتي.

فقالت وقد أثر الخمر على لسانها فخرجت الحروف منها ثقيلة:

وانت عارف انك أكتر واحد..

لم يمهلها الفرصة لإكمال جملتها، هبط بشفاهه فوق شفتيها ينهل منهما قدر ما استطاع، احتضن جسدها بقوة كاد يعتصرها بين يديه، جذبت هي قميصه عنه أمسكته بقوة بين يديها كادت تدميه قبل أن تلقيه على الأرض، ثم نشبت إحدى أظافرها في كتفه اليسرى، امتد هو بيده فوق جسدها.. حرف الـH المتدلي من صدره يتحسس مواضع جسدها من دون حياء.

استيقظ من نومه محاولا فتح عينيه بصعوبة إلى أن نجح بالفعل في ذلك، نظر إلى ساعة الحائط بعينيه اللتين ضاقت حدقتاهما.. حاول جاهدًا أن يتحرك من مكانه إلا أن المجهود الذي بذله ليلة أمس لم يجعله يقوى حتى على الحراك، وكأن مخدرًا قويًا قد سرى في عروقه وخدر كل أعصابه وأطرافه، نظر حوله فوجد نفسه نائمًا في الصالة ممددًا بظهره العاري على الأرض، رافعًا كلتا قدميه فوق الأريكة الصغيرة قرمزية اللون، محتضنًا بين فخذيه الوسادة الكبيرة التي رماها أرضًا قبل صراعه مع «إنجي»، بحث بعينيه حوله فلم يجدها.. أخذ نفسًا عميقًا، ثم مد يده ليمسح العرق عن جبينه ووجهه ورقبته، نظر إلى أثر أظفار «إنجي» فوق كتفه اليسرى مبتسمًا.. نجح أخيرا أن يهب واقفًا.. بحث سريعًا عن فاتنته «إنجي» في الشقة معطيًا نفسه أملا واحدًا في المئة ألا تكون خرجت بعد.. لم يجدها، دخل الحمام، فتح صنبور المياه، أغمض عينيه مستسلمًا إلى مطر الدش الذي دائمًا ما ينسيه همومه، انتهى من حمامه، ثم ارتدى ملابسه وتوجه إلى مكتبه حيث جلس يحتسي كوبًا كبيرًا من النسكافيه مع سيجارة سريعة، وهو يتصفح الجرائد التي لم يكن يقبل عليها كثيرًا، فقلّما كان يقرأ أي جريدة، فكان عادةً يستعيض عن ذلك بالبحث عما يريد أن يعرفه من أخبار سياسية واقتصادية على شبكة الإنترنت، ظل يقلب صفحات الجريدة إلى أن قرأ خبرًا أسقط من يده الكوب الكبير الذي تناثر زجاجه المكسور على الأرض مع ما تبقى من نسكافيه، نظر طويلًا إلى السائل الأسود على الأرض وكأنه قد سقط فيه.. خرج سريعًا من مكتبه قائلًا لسكرتيرته:

«نهى» أنا مروح.. أنا أجازة النهارده..

لم تجبه وقد فوجئت بجملته.

بعد قليل كان في عيادة صديق عمره وزميل المدرسة القديم الطبيب النفسي دكتور «خالد الشناوي»، افترسه الانتظار لنصف ساعة وأكثر، كان بعدها بالداخل مع دكتور «خالد» الذي رحب به بوجهه المتفحص مرضاه دائمًا:

لا لا مش مصدق.. «حسين الصاوي» بجلالة قدره عندي في عيادتي.. العيادة نورت.. إنت عارف انا ما شفتكش من قد إيه؟!

رد «حسين» بهدوء وهو يجلس أمامه:

إزيك يا «خالد» عامل ايه؟

أجابه وقد انتبه بحس الطبيب النفسي لما ألم بـ«حسين» من ضيق:

أنا تمام.. إنت اللي شكلك في حاجة.. مالك؟! تعالى اقعد.. تشرب ايه الأول؟!

رد «حسين» بلهجة مضطربة:

ولا حاجة.. بص انا مش جايلك النهارده عشان احنا صحاب ولا عشان انت الوحيد اللي باثق اتكلم معاه.. أنا جاي لـ«خالد الشناوي» السيكاتريست.. فوجئ «خالد» بحديثه ولم يرد فاستطرد «حسين»: «خالد» أنا عندي مشكلة جامدة قوي..

قال مكملًا حديثه وهو يفتح أمام «خالد» الجريدة المطوية التي كانت بين يديه، ثم أشار بإصبعه على صورة «إنجي صادق» فنظر إليه «خالد» متسائلًا:

«إنجي صادق»؟! مالها؟!

أجاب «حسين» سريعًا:

كانت معايا امبارح في بيتي.

صعق «خالد» وقال متعجبا من دون تفكير:

إيه اللي بتقوله ده يا «حسين»! مستحيل! ده لسه خبر موتها نازل النهارده وكاتبين انها غرقت بعربيتها وماتت من تلات أيام، وكاتبين كمان انها كانت فعلا مختفية من وقتها.. دول مطلعين جثتها من البحيرة دايبة ومشوهة.. يعني مستحيل تكون غرقت امبارح.

هب «حسين» واقفًا:

أيوة ما انا قريت.. بس أقسم لك بالله ان الست دي كانت معايا امبارح.. شرد بعينيه جانبًا وهو يكمل حديثه: كانت في بيتي.. شربنا لما اتعمينا ونمت

معاها.. ثم استطرد بغيظ: أنا باحاول اكلمها بس موبايلها مقفول على طول.
قال «خالد» محاولا تهدئته:
طب اهدا اهدا واقعد..
جلس «حسين» مُجددًا أمامه مشبكًا أصابعه ينظر إلى الأرض فسأله «خالد» بهدوء:
طب انت شفتها امبارح بس ولا شفتها كذا مرة قبل كدا؟
أجابه منفعلًا:
لأ طبعا أنا بقى لي تلات أربع أسابيع باشوفها في بار أندريا اللي في العجمي.. وفوجئت بيها بتتصل بيا امبارح عشان اخرج لها من البار وطلبت مني تيجي معايا البيت وروحنا.. وقالت لي حتى انها عملت كدا عشان ماحدش من الصحفيين يشوفها خارجة معايا.
فقال «خالد» محتفظًا بهدوئه:
طب ازاي؟! ده مكتوب ان العربية اتقلبت بيها في البحيرة اللي على طريق برج العرب.. مش جايز كنت بتحلم؟!
انفعل «حسين» وقال محتدًا:
كنت باحلم؟! «خالد».. أنا ماكنتش باحلم.
شرد لبرهة، ثم هب واقفًا بحركة فجائية وخلع الجاكيت، ثم خلع قميصه، ارتبك «خالد» وحاول ألا يظهر ارتباكه لـ«حسين» الذي اقترب منه مشيرًا لكتفه اليسرى فسأل «خالد»:
إيه ده؟!
أجاب وقد اتسعت عيناه غِلا لما شعره من «خالد» بعدم تصديق روايته:
ده خربوش.. «إنجي» خربشتهولي وانا نايم معاها.
صمت «خالد» لبرهة، ثم تنهد قائلا:
بص انا عارف ان دي حياتك الخاصة وانا مش باسألك بصفتي صديق.. أنا باسألك بصفتي الدكتور النفسي.. إنت ليك علاقات جنسية كتير؟!
أجاب منفعلًا:

أيوة ليا زفت كتير.. أنا ماكنتش كدا زمان.. بس ما عرفش إيه اللي حصل.. عادي كل الرجالة ليهم علاقات وانت نفسك كان ليك زمان.. مش عارف.. جايز الوحدة.. جايز.

أمسك عن الكلام، ثم سأله مرتبكًا وهو يجلس بنصف جسده العاري على أريكة صغيرة بعيدة عن المكتب:

هو انا ممكن اكون باتخيل حاجات؟.. ممكن اتخيل ناس اقابلهم واتكلم معاهم وكل ده ما حصلش؟.. أنا هاتجنن من ساعة ما قريت الجرنال الصبح وعرفت انها ماتت من تلات ايام.. جت لك من غير مافكر.

قال «خالد» وكأنه قرر أن يضغط على جرح مريضه بقوة:

«حسين» خلينا نتكلم بصراحة.. إنت ليه ماتجوزتش بعد «ندى»؟

وقبل أن يهم «حسين» بالإجابة، قال «خالد» يحذره:

قبل ما تجاوبني بلاش الردود الحمصي بتاعت مركز في شغلي وانا كدا على راحتي.. والكلام ده.. وما اقدرش اتجوز بعد «ندى».. إحنا اتكلمنا في الموضوع ده قبل كدا كأصدقاء.. بس انا دلوقتي باكلمك بصفتي الدكتور «خالد» السيكاتريست اللي انت طلبت مساعدته.

صمت «حسين» للحظات قبل أن يجيبه وهو يشعل سيجارة نفث دخانها بضيق:

بص يا «خالد».. إنت شكلك مش مصدقني أصلا.. وعايز ترغي في الفارغ وخلاص.

احتد «خالد»: ما هو عشان اعرف اساعدك لازم ترغي.

هب «حسين» واقفًا ملقيًا بسيجارته التي لم يكملها في المنفضة الموضوعة على المنضدة الصغيرة أمام الأريكة، التقط قميصه ليرتديه، انتبه «خالد» لرفضه الحديث:

بص.. أنا تحت أمرك لو احتجتني.. كل اللي اقدر اقولهولك.. إن ممكن تكون الست اللي انت كنت معاها دي موجودة فعلا وانت تخيلتها أو شفتها «إنجي صادق» وفي الحالة دي تخيلك ده مش حقيقي.. والاحتمال التاني ان

يكون ما كانش في حد معاك أصلا وساعتها برضو هيبقى كل اللي شفته واللي حصل مش حقيقي.. يعني في الحالتين في حاجة fake حصلت.. حتى الخربوش ده ممكن تكون انت اللي عملته لنفسك.

رمى جملته الأخيرة بحرفية وبمهارة طبيب عتيد ليراقب رد فعل مريضه.

لم يرد «حسين» واكتفى بنظرة لائمة لـ«خالد» وهو يرتدي الجاكيت، لكن كلمات «خالد» ظلت تدور برأسه فسأله:

طب ممكن نروح أندريا النهارده بالليل؟

أندريا الواحدة صباحا

جلس كل من «حسين» و«خالد» على البار يبحثان في وجوه الجميع، ثم تنهد «خالد» قائلًا:

بقى لنا ساعتين قاعدين.. ماشي الناس هنا عارفينك وكل حاجة وبرنس أندريا.. كله جميل بس ده مش دليل على إن في واحدة جت معاك.

لم يجبه «حسين» فسأله «خالد» سريعًا:

طب انت بتجيب الستات اللي بيروحوا معاك البيت من هنا دايما؟

أجاب قاطبًا بين جبينه:

أيوة.

فقال «خالد»:

طب فيه أي ست تانية من اللي انت بتقول عليهم جم معاك موجودة هنا؟

رد «حسين» بضيق وقد تصبب العرق فوق جبينه قلقًا وهو يجول بعينيه بين النساء الموجودات:

مش لاقي ولا واحدة منهم.. كأن كلهم اختفوا.. بحث بعينه سريعًا، ثم تنهد تنهيدة عميقة وتجرع كأسًا من الويسكي أمامه.

فقال «خالد»:

كفاية شرب يا سحس.. الشرب ده مش هيساعدنا خالص.



أجاب «حسين» شاردًا:

حاضر يا «خالد»

ابتسم «خالد» ابتسامة واهنة، ثم أربت على كتفه قائلًا:

طيب يللا روح سخن العربية عقبال ماحاسب واجيلك.. ما تقلقش يا «حسين» هانتكلم في السكة..

قام «حسين» تاركًا «خالد» جالسًا على البار الذي تبعه بعينيه إلى أن تأكد من خروجه فنادى النادل سريعًا، ودس في جيبه خمسين جنيهًا، وسأله عن «حسين» فأجاب النادل:

سحس برنس أندريا.. ده راجل غريب قوي بيجي يفضل قاعد لوحده عالبار يشرب لما يتعمي وبعدين يقوم يرقص شوية مع أي واحدة ويروح.

فقال «خالد» وكأنه وجد كنزًا:

أيوة يروح.. بيروح لوحده بقى ولا معاه حد؟

ـ والله ما باخدش بالي سعادتك.. بس معقولة يعني برنس أندريا هيروح بإيده فاضية؟! الحق يتقال انا ما باخدش بالي يا بيه.. ما هي أصل كل الناس هنا آخر الليل بيبقوا فوق بعض.. وهو لو شاور لأي واحدة بس هتروح معاه.. وبعدين ده كان بييجي يقعد يشرب ويرقص طول الليل.. أكيد يعني مش هيمشي كدا من غير ما يظبط.

ـ طب و«إنجي صادق»؟!

ـ مالها؟!

ـ كانت بتيجي هنا؟!

ـ أيوة يا بيه دي كانت بتوقف المكان على رجل.. وكانت عجباه.

ـ إيه.. إزاي؟!

ـ «حسين» باشا تقيل في الكلام قوي.. بس من أول مرة جت هنا من كام أسبوع كدا قبل ما تموت في الحادثة دي.. ما نزلش عينه من عليها وقال لي يومها بالحرف:

جامدة «إنجي صادق» قوي عالحقيقة.. يعني زيه زي كل اللي كانوا في

البار ستات ورجالة لما بيشوفوا ممثل ولا ممثلة ودي كمان «إنجي صادق».

ـ وبعدين؟! طب انت شفتهم بيكلموا بعض أو كدا أو روحوا مع بعض مثلا؟

ـ لا يا بيه دي كانت بتيجي ببودي جاردات وهيصة.. تشرب شوية وترقص والناس تقعد تسلم عليها ويتصوروا معاها وتمشي.

ـ طيب.. أنا متشكر جدًا.. عن إذنك.

عاد «حسين» إلى منزله جلس على الأريكة بلا حراك.. الأفكار تدور برأسه بعد ما روى له «خالد» حديثه مع النادل.. مذكرًا إياه بنقطة هامة أنه لم يكن هناك من رآه مع أي من النساء.

همس في نفسه:

أنا اتجننت؟!

إنه لن يستطيع أن يتحمل فكرة أنه مريض نفسيا أو مختل عقليًا.. لا ليس هو.. لماذا القدر يختاره من دون غيره ليحوله إلى مجنون؟! لا إنها فكرة غير مقبولة بالنسبة له.. إنه «حسين الصاوي» المهندس الكبير وصاحب أكبر مجموعة شركات هندسية.

وضع رأسه بين كفيه كأنه يحاول إيقاف سيل الأفكار الجارف برأسه.



(٢)

ذكريات جميلة.. «مدينة النور»

ما أسرع اللحظات الجميلة في حياتنا.. تمر كالحلم لا نشعر بها.. كم نتمنى آنذاك ألا نفيق من تلك اللحظات، حقا مهما طال الوقت تبقى تلك الذكريات أو بالأحرى تلك اللحظات الجميلة محفورة في أذهاننا، متذكرين دائمًا كيف سرقنا تلك اللحظات من الزمن في غفوته قبل أن يفيق ويصفعنا دائما.. لماذا يلحق بنا الحزن بعد كل فرح؟! لماذا لا يطيل علينا الزمن أوقاتنا الحلوة، ويتعمد أن يغمرنا في أحزان طويلة لا تنتهي؟! هل السر يكمن في طبيعة الكون أن يسير على وتيرة يوم مر ويوم حلو، أم أن السر متعلق بنا نحن الأشخاص؟! هل نملك القدرة على إطالة أو تقصير حالات الفرح والحزن؟! أيا كان كل الذكريات تبقى.. الجميلة والقبيحة.. المفرحة والحزينة.. المريحة والمؤلمة.. كل الذكريات تبقى.

مر أسبوع واظب «حسين» خلاله على زيارة «خالد»، وعلى تناول الأدوية التي أعطاها إياه إلا أن الأفكار لم تتركه وشأنه بل ظلت تنهش عقله بلا رحمة.. إنه يخشى فكرة أن يكون مجنونًا، لن يقبل تلك الفكرة أبدا.. الموت عنده أهون من حدوث ذلك.. أيها القدر اللعين لمَ تختارني أنا للجنون؟! اقتلني ولا تأخذ عقلي.. وبعد تفكير عميق اهتدى إلى فكرة لا بأس بها

لكنه لم يفصح عنها لـ«خالد» لأنه يعلم جيدًا شخصية «خالد»، ويعلم أنه سيرفض فكرته وسيمنعه من تنفيذها.. قام بوضع كاميرات في كل زوايا الفيللا، ثم توجه إلى بار أندريا رغم منع «خالد» له من الإقدام على تلك الخطوة، جلس يحتسي كأسًا من الخمر على مهل وعيناه تدوران بلا توقف تمسحان المكان كله، باحثا عن أي من النساء اللواتي عرفهن من قبل لكنه لم يجد أي منهن.. يا له من أمر غريب.. أين ذهبن؟! هل تبخرن؟! طال بحثه طوال نصف ساعة، ثم نادى على البارمان الواقف أمامه وسأله عن «إنجي»، فأبلغه أنها توفت في حادث سيارة، افتعل «حسين» الدهشة والذهول على أثر الخبر الذي عرفه من قبل، شكره «حسين» وظل صامتا جالسا في مكانه بلا حراك إلى أن قطع صوت «إنجي» حبل أفكاره وهي تقول:

سحس وحشتني..

نظر أمامه في ذهول وقد جحظت عيناه من هول المفاجأة، ثم صرخ قائلاً:

إنتي كنتي فين؟! أنا بقى لي أسبوع باحاول اكلمك وبادور عليكي..

ضاعت نبرته المنفعلة وسط صخب المكان لم ينتبه لانفعاله سوى النادل الذي وقف على مقربة منه.. انتبه «حسين» لملاحظة النادل لانفعاله، ويبدو أن انتباهه إليه أفاقه من أوهامه، فلم يكن هناك من يقف أمامه من الأساس، لم تكن «إنجي» أمامه.. تنهد تنهيدة طويلة، ثم أخرج حافظة نقوده ودفع للنادل قيمة ما تناوله من خمر، ثم انصرف سريعا من المكان، ركب سيارته وانطلق بها مسرعًا بينما صوت المذياع كان رفيقه الأوحد، إذ كانت «فيروز» تشدو بأغنية «شايف البحر شو كبير» مما ساعده على إطلاق العنان لذكرياته.. «ندى».. كم كانت تعشق «ندى» تلك الأغنية، كم كانت تحب أن تدندن له بها مع «فيروز» وهي بجانبه في السيارة، ما زال صوتها الحنون يرن في أذنيه «شايف البحر شو كبير كبر البحر بحبك.. شايف السما شو بعيدة بعد السما بحبك.. كبر البحر وبعد السما بحبك يا حبيبي»، لقد كانت تحبه «ندى» بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لقد أحبته حبًا جمًا كما لم تحب امرأة رجلا.. كانت

«ندى» بالنسبة له نهر الحنان الذي ينهل منه وقتما يشاء من دون أن ينقص أو تقل عذوبته يومًا، لكنه نضب فجأة بلا مقدمات.. نعم نضب فجأة ذلك النهر برحيل «ندى» المفاجئ عنه.. لقد أحدث له رحيلها ألما شديدًا وصدمة نفسية رهيبة.. ظل على إثرها ثلاثة أشهر بمنزله في باريس لا يقابل أحدًا ولا يتحدث مع أحد.. ذهب إلى حيث التقيا أول مرة بباريس، إنه يتذكر أول مرة رآها.. يتذكر تفاصيل ذلك اليوم جيدًا حينما التقيا بكافيه مارلي الذي يقع بالقرب من متحف اللوفر بشارع ريفولي، حيث جلس يحتسي قهوته منهمكا في بعض الأوراق أمامه، كانت «ندى» تجلس في الطاولة المجاورة له تأكل قطعة من الكرواسون مع كوب صغير من القهوة، لم ينتبه إليها في البداية إلى أن رن جرس هاتفها المحمول فردت:

ألو.. إزيك يا بابا.. أنا تمام.. آه لسه طالعة من اللوفر حالا بس لسه عايزالي يومين تلاتة كمان فيه.. هاهاهاها.. هتتغدى معايا النهارده ولا هيبقى عشا زي كل يوم.. طب يا حبيبي انا هارجع الأوتيل يعني كمان ساعة كدا بالكتير.. أوكيه يا حبيبي باي باي.

انتبه إلى لهجتها المصرية ولفت انتباهه جمالها الأخاذ، وجهها الأبيض المائل إلى الحمرة، ملامحها الدقيقة، أنفها الصغير، عيناها الواسعتان العسليتان، كيف لم ينتبه إليها قبل حديثها مع والدها في الهاتف.. لعن في نفسه أوراق العمل التي تلهيه عن الدنيا وجمالها، وبينما هو شارد فيها، نادت للنادل الذي تقدم بالشيك، ألقت عليه نظرة سريعة، ثم دفعت الحساب وهبت واقفة ململمة أشياءها، ما هذا الحظ.. لا ترحلي الآن اتركي لي فرصة لأعرفك، انتبه لنسيانها معطفها على ظهر الكرسي الذي كانت تجلس عليه، ترك حفنة من النقود على طاولته وخطف المعطف مسرعًا، إنها فرصته للتعارف لقد خدمه حظه، جرى نحوها بعد أن سارت على بعد خطوات قليلة من الكافيه ناداها:

Hey, Mademoiselle, Vous avez oublie votre manteau?!

التفتت إليه: متشكرة جدا، كان ردها تلقائيًا للغاية تداركته سريعًا مستطردة:.. Pardon ... Mille Merci



سألها مصطنعًا الدهشة والغبطة:

إنتي مصرية؟!

ابتسمت ابتسامة هادئة كشفت عن أسنانها ناصعة البياض:

أيوة.. وحضرتك؟!

فرد مسرعًا وقد برقت عيناه فرحا بها:

مصري والله.. أخيرا لقيت حد اتكلم معاه في البلد دي اللي من ساعة ما جيت هنا ما تكلمتش كلمة مصري..

مد يده ليصافحها معرفًا إيَّاها بنفسه:

«حسين الصاوي» مهندس.. صاحب مجموعة الصاوي الهندسية.

صافحته قائلة:

«ندى سالم العرابي».

لم يدر كم مر من الوقت وحبهما يولد بباريس، لم يدر ماذا حدث له.. كيف أحبها! متى أحبها! وهي أيضا لم يعد لقاؤهما مجرد لقاء صديقين مصريين التقيا في بلد غريب فكل منهما كان في حالة احتياج للآخر.. صار احتياجهما لبعضهما البعض قويًا وعميقًا.. أخذ الحب يتسلل إلى قلب كل منهما، هو بهرها بفكره وثقافته وحبه للفنون والأدب ورقته في معاملتها، وهي بهرته بعذوبتها وحنانها وصفاء نفسها.. لا يذكر سوى لحظة اعترافه لها بحبه أمام نهر السين على جسر الأقفال.

ـ «ندى».. بصي من غير ما ازوق الكلام.. أنا أساسا مدب.. بصي انا كان أهم حاجة في حياتي شغلي.

ـ مم.. وبعدين؟!

ـ وبعدين جيت باريس عشان مشروع من مشاريعي.. وخلصت شغل وما رضيتش ارجع مصر بقى لي شهرين عشان.. عشان.. قابلت بنت جميلة خلتني انسى كل حاجة وابص للدنيا بشكل تاني واحسها حلوة قوي.

ـ إسمها إيه البنت دي؟! قالتها خجلةً بابتسامة رائقة.



ـ نظر إليها لائما:

ـ لا والله؟! إسمها يا ستي.. «جاكلين».

ـ «جاكلين» في عينك.. قالتها وهي تضربه على كتفه بكفها الصغيرة.

ـ بحبك يا «ندى».. بحبك.

ـ طيب.. بص بما إني انا كمان مدب وما باعرفش ازوق الكلام.. أنا كنت مستنياك تقول لي الكلمة دي عشان اقول لك اني أول مرة قلبي يدق.. وأول مرة ابقى ملهوفة على حد.. أنا.. أنا مش عارفة إيه اللي حصل لي من ساعة ما شفتك.. بس اللي انا متأكدة منه اني بحبك اكتر ما انت حتى بتحبني.

لم يمر وقت طويل وتزوج «حسين» من «ندى»، وسافرا معًا لقضاء شهر العسل بباريس حيث ولد حبهما.. ساعدتهما ليالي باريس الساحرة على تتويج قصة حبهما.. كانت حياتهما الزوجية حياة هانئة صافية.. فعلت «ندى» كل ما بوسعها لإنجاح تلك الزيجة.. كانت تهتم بكل تفاصيل حياة «حسين».. حريصة كل الحرص على راحته وإسعاده دائمًا، وهو أيضا كان في غاية السعادة معها، إلى أن بدأ شبح ما يخيم على العلاقة بينهما.. شبح بدأ يعكر صفو نهر حنانه تجاهه، رغم محاولاتها الكثيرة ألا يقل ذلك الحنان.. رغم محاولاتها المريرة على احتمال ذلك الشبح الذي يهدد علاقتهما محاولةً هزيمته، فإن قواها خارت مع الأيام، وبدأ نهر الحنان يجف قبل أن ينضب تماما برحيلها.. الأمر الذي كان بمثابة الصفعة القوية إليه.. أفاقه حقا رحيلها وجعله يلوم نفسه كثيرا لأنه لم يستطع إسعادها كما أسعدته هي.. حبهما كان مثل السيارة المنطلقة بلا فرامل إلى أن اصطدمت تلك السيارة صدمة قوية عنيفة، هزت حياة الاثنين معًا.. تلك الصدمة كانت حينما تأخر حمل «ندى»، وبعد الفحوصات الطبية أتت الرياح بما لا تشتهي السفنُ، وعلم «حسين» أن «ندى» غير قادرة على الإنجاب.

ـ حبيبتي.. دي إرادة ربنا وانا مش عايز حاجة من الدنيا غيرك.

ـ نظرت إليه من دون أن تتفوه بكلمة، فقط عيناها كانتا تدمعان وتحكيان الكثير.

ـ أنا بحبك يا «ندى».. بحبك.

لكن بدأت معاملته لها تتغير شيئا فشيئا.. لم يعد يهتم بها قدر اهتمامه بها في السنة الأولى من زواجهما، فكان العامان الأخيران من زواجهما شديدي الاختلاف عن عام زواجهما الأول، إلى أن انتهى ذلك الزواج برحيل «ندى» المفاجئ.. كان هذا هو الشبح الذي خيم على العلاقة.. رغم محاولات «ندى» المضنية في الحفاظ على بيتها وعلى «حسين»، فإن «حسين» نفسه لم يعطها الفرصة لذلك بإهماله المستمر لها وبخروجه الدائم وسهراته التي كثرت، باهتمامه الزائد بعمله، حاولت كثيرا أن تستعيده بحنانها، حاولت أن تجذبه لها بشتى الطرق.. إلا أنها لم تستطع وفشلت تماما بل وأيقنت أن «حسين» لم يعد يحبها، ومرت بحالة اكتئاب شديدة قبل وفاتها بشهرين.

مرت خمسة أيام و«حسين» يحاول مراقبة نفسه خلالهم، لم تعطه الكاميرات أي شيء غير طبيعي، فقط صورًا لتحركاته الطبيعية داخل المنزل، رغم تخيله لوجود «إنجي» معه ونساء أخريات غيرها.. أين أنت يا «ندى»؟! لو كنت معي الآن لكنت أنقذتني من نفسي.. ذهب في اليوم التالي إلى المقابر حيث ترقد «ندى».. وضع باقة الورد التي اشتراها لها خصيصًا فوق قبرها:

ـ «ندى».. حبيبتي.. أنا جيت يا «ندى» وجبت لك الورد البلدي اللي انتي بتحبيه.. وحشتيني قوي يا «ندى».. لو تعرفي انا قد إيه محتاج لك.. لو تعرفي.. ما كنتيش سبتي الموت ياخدك مني.. «ندى» إوعي تكوني لسه زعلانة مني.. أنا عارف إني قصرت في حقك في آخر وقت لينا مع بعض.. بس ما قصدتش يا «ندى» والله ما قصدت.. أنا متأكد انك مسامحاني عشان انتي متأكدة اني بحبك.

تنهد تنهيدة قصيرة وهو يمسح الدموع التي فرت من عينيه المرتعشتين،

قرأ الفاتحة ثم التفت ليخرج، لكنه وجد «سالم العرابي» والد «ندى» أمامه، قابله الرجل بنظرة مقتضبة، «سالم العرابي» ملياردير، أحد أهم أثرياء مصر، يمتلك شركة ضخمة للإنتاج السينيمائي ومجموعة شركات كبيرة للإنشاء والتعمير.. لم يكن له سوى ابنته الوحيدة والتي جن جنونه بعد وفاتها.

ـ أهلا.. إزيك يا «حسين»، قالها «سالم» بنبرة ساخرة.

ـ الحمد لله يا «سالم» بيه.

ـ والله فيك الخير انك جاي تزورها.. حقيقي تقتل القتيل وتمشي في جنازته.. قالها الرجل بغيظ وغضب.

ـ إيه اللي انت بتقوله ده يا «سالم» بيه؟! أنا اقتل «ندى»!

ـ أنا بنتي ما انتحرتش.. إنت السبب في كل ده.. من أول ما قابلتك في فرنسا وكأنك سحرت لها.. الله يلعنك ويلعن اليوم اللي شفناك فيه يا أخي..

ـ «سالم» بيه لو سمحت..

ارتبك «حسين» للغاية وتهدجت أنفاسه وتقطع كلامه، كل عضلة في وجهه كانت ترجف بشكل غريب.

ـ بس انا مش هاسيب حق بنتي.. فاهم.. وبكرة هاثبت للناس كلها انك مجنون وانك انت اللي ورا موت بنتي بجنانك ده.

ـ أنا مجنون! أنا!

ـ أيوة مجنون وستين مجنون ومش هاسيبك يا «حسين» إلا اما اتشفى منك واخد حق بنتي اللي ضيعتها وإذا كان البوليس والنيابة برؤوك فانت بالنسبة لي مش بريء.

جذبه «حسين» من سترته وقال هامسًا:

عارف.. لولا انك ابوها بس.. أنا كنت دفنتك مطرح ما انت واقف وورّيتك الجنان اللي على أصله..

ثم رفع يده عن سترته وقد انتبه لسلوكه العنيف وأربت على كتفه، وقال بلهجة مزجت بين الهدوء والحزم:

لازم تعرف ان ما حدش حب «ندى» قد ما انا حبتها.. سلام يا «سالم» بيه.

ارتبك «سالم» من رد فعل «حسين» العنيف، وفضل ألا يتفوه بأي كلمة أخرى وهو يرى «حسين» يبتعد عنه.

ذهب إلى «خالد» من دون تفكير وقد لاحظ الأخير حالة من الحزن والضيق خيمت على قسمات وجهه بمجرد دخوله، هوى «حسين» على الكرسي أمام «خالد»، وسأله في شرود من دون أن ينظر إليه:

ـ أنا إيه اللي بيحصل لي يا «خالد»؟! الأول اشوف ستات ويطلعوا ما لهمش وجود، وبعدين الجرسون يظبطني وانا باكلم الهوا.. والنهاردة ابو «ندى» يقول لي اني مجنون؟! أنا فيا إيه؟! فيا إيه؟!

ـ إهدا بس.. هو انت شفت «سالم العرابي» فين؟!

ـ في المقابر.. رحت ازور «ندى» لقيته هو كمان جاي يزورها.. وقال لي انت السبب في موتها بجنانك.. أنا ما بقتش فاهم حاجة؟!

ـ طيب سبنا من الموضوع ده.. إنت مواظب على الأدوية في مواعيدها؟

ـ أيوة.. بس وبعدين.. «إنجي صادق» دي كمان اللي ماتت قبل ما اشوفها أصلا.. طب ازاي؟!

ـ إنت رحت أندريا تاني؟!

ـ نظر إليه «حسين» نظرة طويلة بعين متسائلة:

ـ إنت بتتجسس عليا؟!

ـ لأ طبعا أنا باسألك بس..

قالها «خالد» مرتبكا من ردة فعله ونظرته.

ـ إسمع يا «خالد».. أنا ما جأتلكش عشان تتجسس عليا وتتدخل في حياتي.. أنا ما اسمحش لأي حد انه يتدخل في حياتي.. ومشكلتي انا اعرف احلها كويس قوي، قالها بعد أن هب واقفًا وعلت نبرة صوته وبرقت عيناه بنظرة غريبة أدهشت «خالد».

ـ في إيه يا «حسين» ده مجرد سؤال.. أنا خمنت كدا لما قلت لي الجرسون شافك وانت بتكلم نفسك فقلت اتأكد منك وعلى العموم انا آسف لتدخلي.. إعمل اللي انت عايزه.

جلس «حسين» مجددًا وسرت رعشة في يديه لاحظها «خالد»، لكنه لم يلفت نظره أنه انتبه إليها، ثم قال «خالد»:

مالك يا «حسين»؟! في إيه؟! إنسى مقابلة «سالم العرابي» خالص.

ـ مش مقابلة «سالم العرابي» اللي تعباني يا «خالد».. قل لي انا فيا إيه وريحني.. أنا قلت لك ساعدني كطبيب وانسى اني صاحبك.

ـ حاضر.. والله ما تقلقش انت كويس وبخير.. اللي عندك ده كله بسبب موضوع موت «ندى» وانت كنت بتحبها قوي.. الله يرحمها وموتها أثر فيك بشكل كبير وعمل لك حالة اكتئاب شديدة وقتها.

ـ أيوة بس فات وقت على موتها.

ـ فيه ذكريات بتفضل محفورة جوانا حتى لو نسيناها شوية، بتفضل بردو جوانا.. إنت بتفتكر «ندى» كتير.. وبتلوم نفسك على معاملتك ليها في آخر سنتين في جوازكم.. ما تنساش اني صاحبك وعارف كل حاجة عنك.. أنا صح؟!

ـ أيوة يا سيدي.. إنت صح.

ـ اللي نفسي افهمه.. إنت إيه اللي غيرك من ناحية «ندى»، رغم حبك ليها بجنون إلا إن معاملتك ليها آخر وقت ما كانتش كويسة خالص.. ليه؟! أنا ما كنتش باحاول اتدخل.. ولا اتكلم معاك في الموضوع ده.. بس اعتقد الموضوع ده جزء من المشكلة اللي انت عايشها دلوقتي.. ساعدني.

ـ أنا عايز امشي.. أنا تعبان.

ـ ماشي يا «حسين».. ماشي.

وهم بالخروج من غرفة «خالد» بالعيادة، إلا أنه توقف فجأة قبل أن يفتح الباب وسار في خطوات ثابتة نحو سرير الكشف، بسط قدميه واستند بظهره في هدوء ناظرا إلى السقف، لم يتفوه «خالد» بكلمة ومرت برهة صمت

طويلة إلى أن قال «حسين» قاطعا هذا الصمت من دون أن ينظر إلى «خالد»:
«ندى» ما كانتش بتخلف يا «خالد».. ما كانتش بتخلف.
صمت «خالد» تاركا له فرصة أكبر للحديث، فاستطرد «حسين»:
ما اعرفش إيه اللي غيرني كدا بعد ما عرفت الحكاية دي.. أنا كان نفسي ابقى أب.. حاولت اداري ده عليها بس تصرفاتي فضحتني وما بقتش اهتم بيها زي الأول.
اقترب «خالد» منه وجلس على كرسي قريب من السرير ممسكا بورق وقلم وسأله:
سبنا من حكاية «ندى» أنا عايزك تحكي لي عن خالك.
نظر إليه «حسين» مندهشا وكل عضلة في وجهه ترجف رجفة غريبة ملحوظة:
خالي؟! إنت عايزني احكي لك عن خالي ليه؟!
تنهد «خالد» تنهيدة طويلة، ثم قال:
مش جايز حادثة موت خالك دي يبقى ليها علاقة بالموضوع.. ما تنساش اني صاحب عمرك ورغم كدا عمرك ما اتكلمت معايا في الموضوع ده.. رغم اني عارف انه اتقتل.
- أنا مش بحب افتكر الحادثة دي يا «خالد».
- معلش حاول.. خليني اعرف اساعدك.. صدقني جزء من حل المشكلة انك تتكلم.
صمت طويلا من دون أن يجيب صديقه الذي استطرد:
براحتك.. بس كدا انت بتصعبها عليا وعلى نفسك، وانا بالطريقة دي مش هاقدر اعمل لك أي حاجة.
- ماشي يا «خالد» ماشي.. أنا اتربيت مع خالي ومراته انا واختي «غادة» بعد وفاة امي وابويا في حادثة عربية.. كان عمري وقتها سبع سنين و«غادة» كانت خمس سنين.. خالي كان لسه متجوز ما بقالوش أكتر من سنة.. ومراته كانت بتحبنا قوي وكانت بتعاملنا كإننا ولادها..

ـ طب خالك ومراة خالك كانت إيه علاقتهم ببعض؟!

ـ في الأول كانوا كويسين بس خالي كان عقيم ولما كبرت شوية عرفت ان كان عنده خلل في الأوعية الدموية.. بتخلي..

ـ ما يحصلش انتصاب.

ـ بالظبط..

ثم استطرد:

كنت باسمعهم بيتخانقوا.. كانت عايزة تسيبه.

تذكر الحديث كاملا بتفاصيله

ـ ما تسيبينيش يا «نشوى».. انا بحبك.

ـ وانا كمان يا «سيد» بس انا من حقي اني اعيش زي أي ست.. من حقي اني ابقى أم..

ـ ما احنا ربنا عوضنا بـ«حسين» و«غادة».

ـ مش ولادي.. مش ولادي.. وحتى لو اعتبرت ان ربنا عوضني بيهم.. أنا فين من كل ده؟! فين احتياجاتي كزوجة وكست؟!

ـ يعني إيه؟! لو كان العكس وكنتي انتي اللي عاجزة كنتي...

ـ كنت هاقول لك تتجوز.. ما تبقاش أناني يا «سيد».. ما تخليش حبك ليا يبقى أنانية وتيجي عليا عشان بتحبني!

ـ أناني عشان بحبك؟!

إبتدت الخناقات تكبر وتكبر كنت باسمعهم.. دايما كنت باسمعهم

ـ أنا خلاص يا «سيد» ما بقتش قادرة استحمل.. لا مني متجوزة ولا مني أم.. ولا حتى انت عايز تحاول في العلاج.

ـ إحنا مش هنخلص من السيرة دي.. هتفضلي لحد إمتى تجرحيني وتحسسيني بعجزي؟!

ـ لحد ما تطلقني يا «سيد».. إحنا لازم نسيب بعض يا «سيد».. وصدقني

أنا عايزه اسيبك عشان بحبك.. لمصلحتي ولمصلحتك اننا ننفصل.

ـ وانا مش هاسيبك يا «نشوى» ومش هاطلقك.

استطرد «حسين» وقد غلبته دموعه، وفرت منه بهدوء رغم مجهوده المضني في إخفائها:

وبعدين.. وبعدين.. أنا تعبان يا «خالد».. تعبان.. خليني أروح.

شعر «خالد» بمعاناته ومدى ألمه أثناء سرده لتلك الذكريات المؤلمة فقرر مسرعا:

ماشي يا «حسين».. كفاية كدا النهارده.. بس اوعدني اننا هنكمل بعدين.

ـ حاضر يا «خالد».. أوعدك.

ـ تحب أوصلك؟!

ـ لا.. لا أنا هاتمشى شوية.. وهاروح على طول.

وقف «حسين» أمام البحر ليلا هامسًا في نفسه: يا رب ارحمنِي.. يا رب لا تأخذ نعمة العقل مني.. أنت من أنعمت عليَّ بها فلا تعاقبنِي وتأخذها منّي.. يا رب اغفر لي إن نسيت أو أخطأت.. اختر لي عقابًا آخر، أي عقاب آخر سأرضى به إلا عقلي.. يا رب اتركه لي.. يا رب رحمتك يا رب.. أنا مذنب.. لا.. أنا لست مذنبا.. أنا عبدك الصالح الذي يطلب غفرانك ورحمتك.. يا رب هل هذا عقابك لي على ما فعلته بـ«ندى»؟! يا رب هل تعاقبني حقا؟! أم أنه مجرد اختبار صعب تختبر به إيماني بك؟! ولكن هل خطئي الوحيد هو «ندى»؟! لا لقد أخطأت؟! لقد أذنبت؟! لقد شربت ما حرمته.. لقد ارتكبت الفواحش التي نهيتنا عنها.. لا لم أفعل.. لم أذنب.. لقد طمأنني «خالد» وقال إنها أوهام.. لا لم تكن، إنني أرفض تلك الحقيقة التي تسلبني عقلي.. أرفض تلك السكين التي تطعنني بها يا «خالد» قائلا إن كل ما حدث من نسيج أوهامي.. مجرد حقيقة زائفة أحياها وأعلم تفاصيلها وحدي.. ليتني مذنب عاقل.. نعم إنني أفضل أن أكون مذنبا عاقلا على أن أكون بريئا مجنونا.. أستغفر الله العظيم.. يا رب لا تسلبنِي



نعمتك.. يا رب اغفر لي.. وارحمني يا أرحم الراحمين.

رن جرس هاتفه المحمول

ـ ألو.

ـ ألو.. إزيك يا «حسين».. أتاه صوتها الحنون عاليًا.

ـ «غادة».. «غادة».. وحشتيني يا حبيبتي.. وحشتيني قوي.

ـ إنت كمان يا «حسين».. عامل ايه يا حبيبي؟! انت كويس؟!

ـ آه يا «غادة» الحمد لله ما تقلقيش عليا.. المهم انتي عاملة إيه؟!

ـ أنا كويسة الحمد لله يا «حسين».. قالتها بنبرة غير صادقة شعر بها هو.

ـ و«عادل» عامل ايه معاكي؟! والواد المجرم «كريم».

ـ «عادل» زي ما هو يا «حسين».. و«كريم» اهو مجنني.. ما تاخد أجازة وتجيلنا.

ـ ما ينفعش يا «غادة».. تعالوا انتم.

ـ إحنا.. ما انت عارف شغل «عادل» ومدرسة «كريم».. وتكاليف السفر.

ـ ربنا يجمعنا يا حبيبتي إن شاء الله.

ـ يا رب يا حبيبي.. خل بالك من نفسك يا «حسين».

ـ وإنتي كمان يا «غادة».. وبوسي لي الواد.

«غادة».. هي القاسم المشترك في كل لحظات ألمي وفرحي، شاركتني كل لحظة في حياتي إلى أن تزوجت، وهاجرت مع زوجها «عادل» إلى أمريكا وأنجبا ابنهما «كريم»، «عادل» شاب ثري ظهر في حياتنا فجأة حينما جاء للسكن بالشقة الخالية أمام شقتنا، ظروفه مشابهة لظروفنا يتيم الأب والأم.. ورث كل منهما بعد وفاتهما، وثراؤه هذا كان نقطة الاختلاف بيننا وبينه، وكان بالنسبة إلينا نقطة تحول في حياتي أنا و«غادة»، في هذا التوقيت

كانت «غادة» تعمل موظفة بشركة أغذية بمرتب متوسط، وكنت أنا أعمل بشركة بترول، مرتبي منها كان يكفينا ويقضي احتياجاتنا.. وسعى «عادل» بشتى الطرق للوصول إلى «غادة» ولم تكن هي مرحبة به أو بمحاولاته المستميتة لاستقطابها إليه على الإطلاق في بادئ الأمر لرعونته الزائدة، إلا أنني صمَّمت على زواجها منه حتى لا يضيع منها عريس جاهز مثل «عادل»، ورغم عنادها في البداية فإنها رضخت أمام حب «عادل» ومحاولاته التي فاقت كل توقعاتها، ولا أخفي أنني ساعدته على ذلك لأنني أردت حقا أن تتم تلك الزيجة، كما أنها رضخت تمامًا لرغبته في الزواج بها بعد أن أصر «عادل» على أن أفتح شركة هندسية خاصة بي، وعلى أن يكون هو مموِّلَ هذا المشروع على أن أشاركه بمجهودي وبمبلغ صغير كنت أدخره حينها، وقد تم كل ما خطط له «عادل»، افتتحنا الشركة وتزوج «غادة»، وهاجرا إلى الولايات المتحدة الأمريكية تحديدا إلى كاليفورنيا بعد شهور من زواجهما، وفي وقت قصير صعدت بالشركة وصممت أن أكون مالكها وحدي قبل أن يزيد نشاط الشركة أكثر ويرفض «عادل» طلبي في تحويلها لملكيتي، وسافرت لـ«عادل» وقمت بشراء نصيبه في الشركة.. لكنني ندمت على فعلتي بتزويجي له «غادة» حينها لأنني وجدت «عادل» اختلف تماما عن «عادل» الذي عرفته في مصر صار نحيفًا للغاية، وعيناه محلقتين بهالات سوداء وكأنه ممثل مسرحي وضع له مساحيق كثيرة جعلته يبدو كالأشباح، وحكت لي «غادة» عن سهره وشربه الدائم للخمر وكيف أضاع جزءا كبيرا من ثروته وأنفقه على ملذاته من خمر ومخدرات ونساء.. عرضت حينها على «غادة» أن أطلقها منه، وأن تعود معي هي وابنها «كريم» إلى مصر إلا أنها رفضت ذلك، وقالت إنها ستقوم بعلاجه ولم تكن أيضا تود أن تضحي بعملها الذي حصلت عليه بعد عناء في الولايات المتحدة، والذي وفر لها الكثير من الرخاء، وساعدها على تكملة حياتها مع «عادل» بشكل طبيعي نوعًا ما.. ترى لو كانت «غادة» أو «ندى» ما زالتا هنا معي.. كنت سأرى تلك الأوهام والشخوص الغريبة؟!

دلف إلى منزله، لم يغير ملابسه وقبع في الظلام على كرسي كبير محملقًا في السقف، تذكر موعد دوائه فأخذه، علَّ الدواء يشفيه، علَّه يهزم ذلك الشبح الذي يهدد حياته.. شبح الجنون.. لا سأقاوم هذا الشبح بكل ما أوتيت من قوة.. سأقاومه.. قفز من مكانه توجه إلى غرفته خلع ملابسه سريعًا وارتدى بيجاما قرمزية اللون، ثم توجه إلى الحمام وضع نظارته الطبية على إحدى الأرفف بجانب الحوض كعادته كلما دخل إلى الحمام، ثم نظر إلى نفسه طويلا في المرآة، وكأنه يحاول أن يكتشف من الشخص الواقف أمامه.. من ذلك المحملق الذي ينظر إلى قسمات وجهه مليا؟.. من هو؟.. هل هو المهندس اللامع «حسين الصاوي»، أم هو «سحس» برنس أندريا؟ أم هو ذلك الطفل ذو التسعة أعوام الذي يجلس هناك منزويا في ركن من أركان المنزل الصغير، مذهولا وقد كسا الفزع والخوف كل قسمات وجهه، لدرجة جعلته صار كالتمثال لمدة زادت عن خمس ساعات متصلة، لا يريد أن يفارق مكانه، ولا أن يحرك ساكنا لوجهه الفزع المتقع؟

من أنا؟ من أنا؟ أنا كل هؤلاء.. أنا كل هؤلاء.

استعاذ بالله من الشيطان، ورفع أكمام بيجامته حتى الكوع فتح صنبور المياه وتوضأ، ثم خرج من الحمام وذهب إلى الصالة الفسيحة، وأخرج سجادة الصلاة من إحدى خزانات المكتبة وافترشها أرضا في اتجاه القبلة، ثم وقف يصلي في خشوع تام.. صلى طويلا رغم أن علاقته بالصلاة على مدار حياته لم تكن علاقة وطيدة.. كان دوما هناك حالة مد وجزر في علاقته بالصلاة، يستمر شهورا في مواظبته على الصلاة، ثم ينصرف عنها من دون أسباب.. لكن الحقيقة الحتمية هي انصرافه عن الصلاة منذ رحيل «ندى» باستثناء شهر رمضان فقط حتى صلوات الجمعة لم يكن يواظب عليها، ظل يصلي تلك الليلة حتى مطلع الفجر، ثم هوى على سريره بعد صلاة طويلة دامت لأكثر من ثلاث ساعات متصلة شاردًا في حاله.. لماذا لا يتذكر الإنسان ربه إلا في أشد المحن؟! هل صلاته تلك الليلة هي محاولة تعويض لما فاته من صلوات أم هي حالة المناجاة خوفا من عقاب الله؟! لم يفكر مليا في

الأسئلة الكثيرة التي تملأ عقله، وتنهد تنهيدة عميقة مقررا أن يوقف رأسه عن التفكير تماما، مستمتعا بذلك الإحساس الذي تركته الصلاة في نفسه، ذلك الأثر الطيب والشعور بالاطمئنان والسكينة والارتياح، لو يدركون ماذا تفعل الصلاة بالنفس لكانت أقوى طرق العلاج لأي مرض في الدنيا، أغمض عينيه ونام كطفل صغير اهتدى إلى حضن أمه.





(٣)

عودة إلى الثمانينات

كلما تعمقنا في عودتنا إلى الخلف، وابتعدنا بذكرياتنا، سنجد ما يؤلمنا في طفولتنا.. في مراهقتنا.. في شبابنا، من لم يجد شيئا يؤلمه بين ذكرياته فهو إنسان أجوف لا يمتلك خبرة.. الألم درس تعلمه لك الحياة في المرحلة التي تختارها هي لتقرر معها أنت حالة نضجك وإدراكك للأمور، أيا كانت محاولاتك غير المجدية في ما بعد لنسيان تلك الذكريات.. في الوقت الذي تكون الحياة قد خطت بيديها خطوطًا عميقة في ملامحك وفي شخصيتك.

نوفمبر ١٩٨٤

كالعادة يلعب الأولاد الكرة في زقاق متفرع من شارع الفلكي غير شاعِرين ببرودة الجو، كان من بين هؤلاء «حسين».. الفتى الصغير ذو التسعة أعوام الذي توقف فجأة عن اللعب بعد أن لمح خاله سائرا على عجل نحو المنزل، حيا أصدقاءه وتركهم متجهًا إلى المنزل بعد أن لمح أمارات الغضب الشديد على وجه خاله، هرول مسرعًا حتى يحاول اللحاق بخاله للصعود معه إلا أن قدميه الصغيرتين لم تستطيعا اللحاق بخطوات خاله السريعة، وبعد أن

دلف «حسين» إلى العمارة واستمر في خطواته السريعة أثناء صعوده السلم بأنفاس لاهثة، اصطدم فجأة بشاب طويل لم يره من قبل.. لا بل رآه.. لم يتعرف عليه للوهلة الأولى لكنه سرعان ما تذكره.. كثيرًا ما رآه يدخل إلى المنزل لكنه لم يعلم أبدا من هو ولم يحاول أن يعرف.. فقط كان «حسين» لماحاً للغاية.. توقف لبرهة محملقا فيه وبادله الشاب نظرة خاطفة بعين مضطربة إلا أنه استمر في جريه على السلم تاركا «حسين» الذي لاحظ مدى اضطراب الشاب.. نقاط العرق المتصببة على وجهه.. أنفاسه العالية.. رجفة جسده.. اضطراب يديه اللتين كانتا تبحثان عن باقي أزرار القميص المفتوح ليكمل ارتداءه.. لا يدري لماذا استوقفه ذلك الشاب، إلا أنه استمر في الصعود فوجد باب شقة خاله مفتوحا، واقترب في هدوء إلى الباب ليستمع إلى خاله الذي ظل يصرخ:

بتخونيني يا «نشوى».. بتخونيني؟! بعد كل اللي عملتهولك؟ أنا اللي لميتك من الشوارع يا بنت الكلب.. وديني لأقتلك.

نظرت إليه بعين متنمرة وكأن شيئا لم يحدث:

هو انت لسه ما قتلتنيش؟! الموت يمكن يكون ارحم لي من حياتي معاك.

تركها واتجه إلى المطبخ وجذب سكينا كبيرا من أحد الأدراج وعاد إلى حيث تركها، فانتبه لصوت باب غرفتها يغلق بالمفتاح، ظل يخبط على الباب وقد بدا كالمجنون، ظل «حسين» واقفا مختبئا في مدخل باب الشقة يشاهد ويسمع كل ما يحدث.

ـ إفتحي يا «نشوى».. إفتحي باقول لك..

حاول بكل قوته أن يكسر باب الغرفة إلى أن نجح في ذلك.

فوجدها قد بدلت ملابسها مرتدية فستانًا أبيض وقبل أن تلتفت إليه جذبها من شعرها وجرها على الأرض، ثم ظل يركلها بقوة بينما ظلت هي تصرخ بشدة:

آه.. سيبني يا حيوان.. ما تطلقني يا أخي وتريح نفسك وتريحني؟! أنا ما بحبكش.



استمر في ركلها وضربها:

ما انا هاريحك خالص..

أشهر السكين الكبير بيده واقترب بفمه من أذنها هامسا:

هاقتلك يا «نشوى»..

في تلك اللحظة بدا الرعب في عينيها اللتين جالت بهما سريعا في أرجاء الغرفة محاولة أن تبحث عن أي شيء تنقذ به نفسها بعد أن لمست نبرته الغريبة التي مزجت بين الغضب والجنون، وبعد أن فشلت كل محاولاتها في أن تفلت من قبضة يده اليسرى على رقبتها، خلعت قرط أذنها اليمنى وغرست سنه المدبب بكل قوتها في ذراعه الأيسر الملفوف حول رقبتها، صرخ من شدة الألم واستطاعت أن تفلت من قبضة يده، جثت على ركبتيها محاولة القيام، وأفلت هو أيضا السكين بعد أن أربكه الألم، فركلته هي بقدمها بعيدا ليختفي تحت السرير الخشبي الكبير، حاول أن ينطلق هو نحو السرير ليجذبه من جديد، بينما انطلقت هي نحو الدولاب الكبير وفتحته سريعا جاذبة منه شماعة حديدية قديمة، هوت بها على رأسه مرات متتالية، حاول أن يصد ضرباتها إلا أنه لم يستطع الصمود أمام ضربات الشماعة الحديدية العنيفة والسريعة، إذ استمرت هي في ضربه على رأسه بها بقوة إلى أن انتبهت لنافورة الدماء المنطلقة من رأسه والتي طالت فستانها الأبيض لتزينه بنقاط حمراء في أماكن متفرقة، توقفت فجأة بعد أن انتبهت للدماء التي لوثت السجادة وفستانها الأبيض، في تلك اللحظات كان «حسين» قد تسلل بهدوء إلى الصالة ليشاهد ذلك المشهد المؤلم الذي انطبع في مخيلته إلى الأبد، ظل مختبئا من «نشوى» يشاهدها عن بعد، قابعًا في ظلام الصالة خلف الكنبة، ظلت ثابتةً بلا حراك للحظات فبدت له من ظهرها كالتمثال الجامد لا توجد حركة في الغرفة سوى قطرات الدماء التي تقطر من طرف الشماعة الحديدية الممسكة بها، إلى أن سقطت فجأة من بين يديها الشماعة، ثم جثت على ركبتيها في هدوء بالقرب من «سيد» ونادته:

«سيد».. «سيد».. أنا آسفة يا «سيد».. رد عليا يا «سيد».. «سيد»..

ياريتك قتلتني يا «سيد».. ياريتك قتلتني يا «سيد».. أنا اللي قتلتك يا «سيد».

بكت بشدة:

قوم يا «سيد» قوم.. «سيد»..

وضعت رأسها بين كفيها وبكت بحرقة، ثم هبت واقفة وخرجت من الغرفة إلى الصالة بعينين زائغتين دبّتا الرعب في قلب «حسين» حتى أنه خشي أن تعلم بأمره فتقتله هو الآخر، وبمجهود مضنٍ كتم أنفاسه الخائفة وضم ركبتيه إلى صدره محتضنا إياهما لعلهما تحميانه وتهدئان من ضربات قلبه، جرت «نشوى» نحو باب الشقة المفتوح وهنا تذكر «حسين» «غادة».. ماذا لو عادت «غادة» الآن من مدرستها؟! ماذا ستفعل أمنا الغولة تلك بها؟! يا رب يا رب.. يا رب ألا تأتي «غادة» الآن يا رب.. لماذا تكاسلت ولم أذهب إلى المدرسة اليوم؟! ليتني لم أتكاسل.. ليتني لم ألعب الكرة مع أصدقائي.. ليتني لم ألمح خالي لحظة دخوله العمارة.. ليتني ذهبت إلى المدرسة لما كنت شاهدت تلك الفاجعة.. كل تلك الأفكار دارت بسرعة البرق برأس طفل صغير لم يتعدّ عمره التسعة أعوام.. لم يكن متصورا أنه سيرى بالفعل أمنا الغولة التي كان خاله رحمه الله يحكي له حكاياتها دائما ليخيفه منها ويجعله يأكل طعامه أو يذهب إلى المدرسة أو يغسل أسنانه.. إلى أن قطع أفكاره تلك صراخ «نشوى» الذي زلزل العمارة بأكملها:

يا ناس أنا قتلت «سيد عثمان».. أنا قتلت «سيد عثمان»..

واصلت صراخها وكأن شيطانا قد مسّ عقلها ولا يعطيه أي أمر آخر سوى بالصراخ بنفس الجملة إلى أن تملكها تماما ذلك الشيطان، وقفزت من شباك المنور من الطابق السادس بالعمارة، لتسقط جثة هامدة مهشمة الرأس في قاع المنور، وسط ذهول الجيران وصرخاتهم المتتالية.

ازدادت رهبة الفتى الصغير من شدة الصراخ الذي ملأ أرجاء العمارة كلها، وفي يوم واحد تحولت العمارة إلى خلية نحل لضباط كثيرين، ظلوا يتحركون بين كل شقق العمارة وسكانها بلا راحة، وبين جثة «نشوى» التي شهد الجميع بانتحارها، وجثة «سيد» التي لم يشهد واقعتها سوى «حسين»

الذي أخرسته الصدمة تمامًا، وظل منكمشا في ركن من أركان المنزل طوال ذلك اليوم لم ينبس ببنت شفة، ولمدة عشرة أيام متصلة ظل «حسين» في حالة إعياء شديدة لا يتكلم، اعتنت به وبأخته في تلك الفترة جارتهما الأرملة مدام «أمينة» التي تعيش وحدها في شقة كبيرة مجاورة لشقة خاله، كانت امرأة شديدة الحنان عليه وعلى أخته، فعاشا معها بعد رحيل خالهما، كل طرف في تلك العلاقة كان في احتياج للآخر أيضا.. مدام «أمينة» من ناحية أنها وجدت في «حسين» و«غادة» ما يعوضها عن مشاعر الأمومة التي طالما حلمت بها ولتعوض بوجودهما بجوارها في وحدتها التي عاشتها لمدة لا تقل عن عشر سنوات منذ رحيل زوجها، أما بالنسبة لـ«حسين» و«غادة» فلم يكن أمامهما خيار آخر سوى مدام «أمينة» بعد أن صارا وحيدين تماما بلا أي مصدر للأمان.

لم يكن الضباط في حاجة لمعرفة ما حدث أو سماع شهادة الطفل «حسين»، فملابسات القضية كلها كانت واضحة، ولقد سمع الجيران بعضًا منها، فشهد البعض أنه كانت هناك أصوات لمشاجرة عنيفة بين «نشوى» و«سيد»، إلا أنه لم يكن هناك من تبين تفاصيل تلك المشاجرة وما أفضت إليه.. كما شهد الجميع بانتحار «نشوى» وقفزها من الشباك أمام أعينهم بعد أن ظلت تصرخ معترفة بأنها قتلت زوجها.. وبرفع البصمات من مكان الجريمة وأمام تقرير الطب الشرعي، أُثبت بالدليل القاطع أن «نشوى» قتلت «سيد» بآلة أو عصا معدنية (الشماعة الحديدية) والتي حملت بصماتها.

صرخ فجأة «حسين» في عيادة «خالد» صرخة مدوية:

خاااالي.. قتلته المجرمة.

قالها بعين باكية بحرقة متذكرا تفاصيل ذلك اليوم المشؤوم مستطردا:

قتلته المجرمة.. قتلته المجرمة.. خانته وقتلته.

ظل يردد جملته متباينا صوته خلال ترديدها بين العلو والهمس.. عيناه شاردتان تمامًا.. عضلات وجهه ترجف نفس الرجفة التي لاحظها «خالد»

من قبل.. جبينه يتصبب عرقًا، بينما ظل لسانه يردد نفس الجملة وكأنه نسي مكانه وزمانه وعاد إلى عام ١٩٨٤ بالفعل.. بينما ظل «خالد» صامتا يراقب انفعالاته ويدون كل ما يحدث بالأوراق أمامه، إلى أن قرر التخلي عن دور الطبيب المراقب وغلبته عاطفة الصديق، فبدأ محاولته بتهدئته مناولا إياه كوبا من الماء، تناوله «حسين» برفق رشف منه رشفة، ثم ناوله مجددا إلى «خالد» الذي أخذه منه، ثم وضعه على منضدة صغيرة وأربت على كتفه قائلا:

إهدا اهدا يا «حسين».. الله يرحمه.. الله يرحمه.

توقف فجأة «حسين» عن الكلام، ولكنه ظل يتنفس بصوت مسموع كفحيح ثعبان غاضب.

ارتبك «خالد» لوهلة، ثم قام من مكانه وجلس بجانب «حسين»:

ما تخافش يا «حسين».. أنا معاك.. أهم حاجة تواظب على الأدوية.. وانا مش هاسيبك والله صدقني مش هاسيبك.

أجابه «حسين» وقد بدأت أنفاسه تهدأ رويدا رغم اختناق صوته:

كل ما تيجي في بالي فكرة إني كنت باهلوس أو إني ممكن اتجنن.. باترعب، أخرج علبة السجائر من جيب الجاكيت، فتحها وأشعل سيجارة وناول «خالد» واحدة، نفث دخان سيجارته في حنق واستطرد:

ليه خلتني احكي لك يا «خالد»؟! أنا ما باحبش افتكر الحكاية دي أبدا.

ـ أنا آسف اني بافكرك بحاجات بعيدة ومؤلمة.. بس كان لازم تحكي لي.. لأن ده اللي هيخليني أقدر أساعدك.. وصدقني يا «حسين» المرض النفسي مش جنون.

ـ أنا خايف يا «خالد».. خايف قوي.

ـ أنا معاك.. يللا تعالى نروح دلوقتي.. وبعدين نبقى نكمل كلامنا بكرة ولا بعده.



شط اسكندرية يا شط الهوى
رحنا اسكندرية رمانا الهوى
يا دنيا هنية وليالي رضية
أحملها بعينيه شط اسكندرية
البحر ورياحه والفلك الغريب
يحملها جراحه ويرحل في المغيب
يتمهل شوية ويتودع شوية
وتعانق المية شط اسكندرية
ليالي مشيتك يا شط الغرام
وإن أنا نسيتك ينساني المنام
والشاهد عليه غنوة أمارية
والنسمة البحرية وشط اسكندرية

«ندى».. أتذكرك في صوت فيروز دومًا.. ذلك الصوت الذي سحر كلينا يوما وأذاب قلبينا.. ومضات لـ«ندى» تقفز في ذهنه كلما استمع إلى «فيروز» يتذكر حنانها وحبها له.. يتذكر انتظارها له على العشاء، والفرحة الغامرة التي كانت تكسو عينيها لحظة عودته من عمله.. يتذكر تفاصيل ملامحها الرقيقة الهادئة، عينيها العسليتين الممتلئتين دائما بنهر من الحب والعطاء.. أوقف أسطوانة «فيروز».. واتجه إلى الشرفة حيث كانا يجلسان دائما وتذكر حديثه معها.

ـ أنا أسعد واحد في الدنيا.

ـ مش ممكن هتكون أسعد مني.

ـ ما تتأخرش بالليل.. عازماك ع العشا.

ـ كلام جد.. ولا هادبس انا وادفع زي كل مرة.

ـ ههههه.. لأ هادبسك زي كل مرة.

ـ ماشي.

ـ قبلها سريعا، ثم توجه إلى الباب:
ـ يللا سلام يا حبيبتي.
ـ بحبك.
قالتها قبل أن يخرج ويغلق الباب خلفه، فأشار إليها محركا شفتيه:
ـ وأنا كمان.
ابتسم متذكرا ذلك الوجه الهادئ، وهمس في نفسه:
وانا كمان بحبك يا «ندى».. وحشتيني.





(٤)

زلزال

هناك ذكريات تزلزلنا كلما استعدناها من أرشيف عقلنا مهما مر عليها الوقت، تظل قادرة على أن تزلزلنا من جديد وتهزنا هزات عنيفة تفزعنا وترهبنا، كمارد نستفزه للخروج من المصباح، لكن ذلك المارد ليس مارد علاء الدين الذي يحقق الأمنيات، بل هو ذلك المارد المخيف الذي يحضر من دون استئذان ليزلزل عقلك وكيانك كليةً، ويعيد عليك كرة الألم فاتحا معها جراحا لا تنتهي ولا تندمل رغم مرور أعوام عليها.

بعد مرور حادث وفاة خاله المؤلم بثمان سنوات، صار «حسين» شابا يافعا في السابعة عشر من عمره، يتمتع بقدر كبير من الوسامة، ورغم وسامته فإنه لم يفكر يومًا أن يستغل تلك الوسامة، لم يفعل مثل بقية الشباب في تلك المرحلة العمرية ـ مرحلة المراهقة ـ فلم تكن له صديقة أو قصة حب ملتهبة مثل بقية زملائه، بل كان انطوائيا مائلا للوحدة والسكوت الطويل، كما انصرف عن لعب الكرة رغم عشقه لها، وكأن حادث خاله قد ألقى به في فرن ملتهب لتنضج شخصيته نضجا تاما وتجعله ينظر للأمور بشكل أكبر وأعمق ومن اتجاه آخر.. هكذا كان يفسر الأمر لنفسه مكتفيا بالتعليق على حكايات أصدقائه العاطفية قائلا:

«تفاهة.. وبعد ما تصاحب انت وهو هتعملوا إيه يعني.. جوابات.. وورد.. وبعدين فراق وعياط والسلام عليكم.. عليكم السلام.. أنا مخي اكبر من التفاهات دي».

حتى حينما كان يتعمد أصدقاؤه إدارة دفة الحديث أمامه عمدا عن علاقاتهم الجنسية من دون حياء، ليحكي كل منهم حكايات أقرب إلى الحكايات الخيالية عن فحولته وقوته متفاخرين بأنفسهم محاولين استفزازه وجره للحديث خاصة بعد شك بعض منهم أن يكون شاذًا جنسيًا.. إلا أنه كان دائما يؤثر الصمت مكتفيا بالتلذذ بما يرويه كل منهم.. مبتسما في نفسه من مدى إدراكه لحقيقة أكاذيبهم وقصصهم الخيالية.. كل ذلك جعل أيضا من «حسين» شخصا وحيدا إذ بدا مملا للكثيرين من زفاقه فصنع لنفسه دائرة كبيرة يدور في فلكها وحده لا يحيا حياة المراهقين الطبيعية.. لم يستطع اقتحام تلك الدائرة سوى «خالد» الذي توطدت صداقته به منذ عام ١٩٨٥ ليصبح صديقه الأقرب وصندوقه الأسود كما أطلق عليه «حسين» دوما لكتمانه للأسرار وهدوئه، فدوما كان يترك العنان لمن أمامه للحديث مفضلا الاستماع.. وكان يحب «حسين» لاحترامه وأخلاقه وطيبته، رغم أنه كان يتمتع بقدر كبير من خفة الدم والشقاوة.. وكان مثله مثل بقية أبناء جيله يعشق البنات بجنون، لكنه كان يفضل ألا يحكي عن علاقاته إلا لـ«حسين».. وكان يشعر بالفارق الرهيب بين حكايات «خالد» وحكايات شباب المدرسة المراهقين التافهين.. كما استطاع تبين الفارق بين «حسين» والآخرين حيث تبين أنه لم يكن يسرد له ما يسرده من أجل استفزازه أو التفاخر برجولته أمامه بل كان يحكي لصديقه الذي بدوره كان يأتمنه على كل أسراره، إلا سر حادث وفاة خاله الذي ظل لغزًا حير «خالد» دوما ليكتشفه بعد سنوات عديدة من علاقته بـ«حسين».

ولم يكن «خالد» هو الصديق الأوحد لـ«حسين» بل كان هناك «إيهاب راتب» أيضا، وهو أحد الأصدقاء المشاغبين للغاية، لكن علاقة صداقة وثقة نشأت بينه وبين «حسين» بشكل قوي للغاية، خاصة بعد أن أنقذه

«حسين» من الموت حينما قفز مسرعا وركله بقوة أسقطته بعيدا عن السيارة التي كادت تصدمه، كان ذلك الموقف تحديدا هو سبب توطيد العلاقة بينهما، ولكن لم يعتبره «حسين» يوما صندوقه الأسود مثلما اعتبر «خالد».

كان هذا هو «حسين» الشاب باختصار، وهكذا أراد أن يعيش ورغم رغبته الجامحة في أن يحيا مثلما يحيا أصدقاؤه، ورغم أنه كثيرا ما وجّه السؤال إلى نفسه:

«إنت ليه مش عايز تعيش؟.. ما تعيش زي ما كل صحابك عايشين».

وكان يحاول تقوية نفسه:

«لأ أنا مش هابقى تافه.. أنا مش هاغضب ربنا عشان اعيش».

ولكن هل هذا التفسير هو بالفعل السبب الرئيسي وراء اعتزال «حسين» حياة المراهقة ووراء حالة النضج التي غلفت حياته وجعلتها حياة رتيبة مملة خالية من حكايات أقرانه من الشباب ومتعتهم.. أم أن هناك سببا آخر؟!

نعم هناك سبب آخر، ليست التفاهة كما أكذب دوما وأقول.. أود أن أكون تافها مثلي مثل بقية هؤلاء الملاعين.. أريد أن أحكي عن فرط قوتي وفحولتي كما يحكي كل منهم ولكن شبح «نشوى» يلازمني.. يرافقني كظلي يذكرني بكل ما فعلت تلك المجرمة من خيانة وقتل.. شبحها صار واقفا حائلا بيني وبين التفكير في أي فتاة أحبها وأحيا معها مراحل عمري بترتيبها الصحيح.. خشية أن ينتهي بي الحال كما انتهى بخالي المسكين.. صرت كشجرة صغيرة جفت أوراقها واستحال ربيعها خريفا من دون سابق إنذار.. كل تلك الصراعات ظلت تتفاقم داخل «حسين».. قبل أن يدرك أنه ما زال صغيرا بعد ولم يأخذ من ألم الحياة إلا صفعة قوية فحسب، مقارنة بما فاجأته به تلك الحياة في أكتوبر ١٩٩٢ لتتدمر تماما علاقته بالنساء.. ولتتحطم فكرة أن يحب امرأة ويأمن إليها كزجاجة فوق صخرة مدببة الأطراف لتشطرها إلى نصفين.

عاد إلى منزله بعد جلسة طويلة مع طبيبه وصديقه «خالد»، وبعد أن خلع ملابسه استلقى عاريا بالبوكسر على إحدى الأرائك، ثم لم يلبث أن رمقها، وبكل غل أخذ يضرب ظهرها بقبضة يده اليمنى ثلاث مرات

متتالية.. أليس لكِ لسان تنطقين به.. ألم تحتضني معي «إنجي صادق» وغيرها؟! هدأ لبرهة بعد أن شعر بغليان رأسه، ثم نظر طويلا إلى جدران المنزل الخاوي.. متذكرا يوما كان هذا المنزل فيه أكثر دفئا.. يوما كان هذا المنزل ينبض بالحياة، قبل أن يتوقف نبض هذا المنزل ويخيم عليه السكون والفراغ والبرودة.. دائما باردا.. أين أنتِ يا «ندى» لتشعلين بطاقتك جدران هذا المنزل، لتشعلين فؤادي ولتجددين عمري الذي قرر عقلي فجأة أن يسرقه ويستولي عليه بلا سابق إنذار.. هب من مكانه واتجه إلى مكتبة الأسطوانات، وجذب إحداها ليضعها بهدوء في جهاز الأسطوانات لينطلق صوت فيروز موقظا كل حواسه وذكرياته مع «ندى»:

أنا لحبيبي وحبيبي إلي
يا عصفورة بيضا لا بقى تسألي
لا يعتب حدا ولا يزعل حدا
أنا لحبيبي وحبيبي إلي
حبيبي ندهلي قال لي الشتا راح
رجعت اليمامة زهر التفاح
وأنا على بابي الندى والصباح
وبعيونك ربيعي نور وحلي
أنا لحبيبي وحبيبي إلي
يا عصفورة بيضا لا بقى تسألي
لا يعتب حدا ولا يزعل حدا
أنا لحبيبي وحبيبي إلي
وندهلي حبيبي جيت بلا سؤال
من نومي سرقني من راحة البال
أنا على دربه ودربه عالجمال
يا شمس المحبة حكايتنا اغزلي

قفزت إلى ذهنه ليلة عاد فيها إلى منزله متأخرا ليجد المنزل مظلما، وبمجرد أن أدار مفتاح النور ليظهر أمامه هرم من الورود المتناثرة في كل مكان، ولتظهر أمامه «ندى» في كامل أناقتها، مرتدية فستانا أبيض مزينا بحلية زرقاء في وسطه، فبدت بشعرها الطويل المنسدل على كتفيها كفراشة تحلق في سماء المنزل بين الورود، واقتربت منه هامسة:

إتأخرت كدا ليه؟! كل سنة وانت طيب.

قالتها، ثم قبلته قبلة سريعة فوق وجنته.

- عيد ميلادي! والله نسيت.

قالها بدهشة ممزوجة بفرحته بها وبحبها له فاستطرد:

وانتي طيبة يا حبيبتي.. ربنا ما يحرمنيش منك.

قالها بحنان مزيحا بيديه خصلات شعرها خلف أذنيها ليتلألأ قرطها المتدلي ويزيدها بهاءا وجمالا.

- ولا منك يا حبيبي.. تعالى بقى اما اوريك انا جبت لك ايه.

قدمت له علبة صغيرة مغلفة بلفافة أنيقة وقبل أن يهم بفض اللفافة أوقفته مسرعة:

إستنى.. خمن كدا أنا جبت لك ايه؟!

- ممم.. شراب ولا إيه؟!

- هاهاها.. مش للدرجة دي.. لأ فكر شوية.

- إيه.. جايباااا لي مثلا.. جزمة.

- هو انت مركز في الرجلين ليه كدا؟! هي لازم تبقى هدية لرجليك.. وبعدين جزمة إيه دي اللي هتبقى في علبة قد كدا.

- أنا أصلي باحب الرجلين ما انتي عارفاني.. هاهاهاها.

- لا والله.. طب خلاص افتحها.

- ما كان من الأول.

قالها وهو يفض اللفافة ليجد علبة قطيفة صغيرة، بينما تتابعه هي بفضول وشغف منتظرة بفارغ الصبر أن يرى هديتها وتعجبه، ثم فتح العلبة ليجد

بداخلها سلسلة فضية متوسطة السمك يتدلى منها حرف H مدبب الأطراف مزين داخليًا بمينا سوداء متداخلة مع الفضة، أطلق صفارة إعجاب طويلة مخرجا السلسلة من العلبة ممسكا بها تاركا حرف الـH متدليا منها.

يخرب بيت ذوقك.

- إيه عجبتك؟

- تحفة دي تجنن.

- أنا عارفة انك مجنون بالسلاسل فقعدت افكر اجيب لك إيه.. أجيب لك إيه؟ لحد ما جت لي الفكرة دي.

- ربنا يخليكي ليا يا حبيبتي.

- يللا بقى عشان هتاكل أكل النهارده مش عادي.

نظر إليها نظرة حب عميقة للغاية لم تلحظها هي أثناء انشغالها بإضاءة الشموع وتشغيل أغنية فيروز «أنا لحبيبي وحبيبي إلي»، ليرن صوت فيروز الصافي في تلك الليلة الدافئة ليزيدهما دفئا وعشقا وليأخذهما من عالمهما إلى عالم آخر جميل مسحور غير شاعرين بزمان أو بمكان.

أكتوبر ١٩٩٢

لم يذهب «حسين» إلى المدرسة لمرضه، لم يكن الخريف رحل برياحه بعد ليحل محله الشتاء.. وكأن رياحه ظلت باقية كي تعصف بما تبقى من شخصية «حسين».. كانت مدام «أمينة» هي من تقوم بتمريضه في ذلك اليوم.. كانت دائما تؤدي دور الأم على أكمل وجه حتى أنها كثيرا ما كانت تقول لـ«حسين» و«غادة» (إنتم ولادي اللي انا ما خلفتهمش) وكثيرا ما كان يناديها الجيران بأم «حسين» كم كان يسعدها ذلك.. لقد كبرا أمام عينيها.. أحبتهما.. عنفتهما شاركتهما فرحهما وألمهما وحزنهما ومرضهما.. كانت تعشق «حسين» و«غادة» للحياة التي منحاها إياها بعد أن مرت

بفترة يأس صار فيها طعم الحياة بالنسبة إليها شديدة المرارة.. صارت الحياة بالنسبة إليها كزهرة صبار تجرحها كلما حاولت أن ترتوي منها علّها تعيدها إلى نفسها.. علّها تلهيها عن وحدتها إلا أن شوك زهرة الصبار كان دوما يجرحها وحتى إن رواها كان يرويها مرًا وألمًا.. مزيجا من طعم المرارة والجرح.. لم تترك لها الحياة سوى الوحدة والألم حتى ظهر «حسين» و«غادة» في حياتها ليحولا معا زهرة صبارها إلى زهرة بلدي متفتحة مفعمة بالحيوية، أعاد رحيقها إليها الحياة بكل صورها ومعانيها.. لكن شيئا خفيا تركته زهرة الصبار في نفسها.. ألما.. تحملته كثيرا.. وتحاملت على نفسها كثيرا محاولة أن تتناساه.. كان هذا الألم كامنا في رغبتها الجنسية التي كبتتها لسنوات طويلة بعد رحيل زوجها، تلك الرغبة التي لم تخمد رغم محاولاتها المستميتة في الانشغال عنها بل وقتلها بصَبّ كل جهودها في تربية طفلين لم يولدا من رحمها إلا أنها فشلت تمام الفشل في علاج هذا الألم العميق الذي خلفته الحياة إليها.. تلك الشوكة التي أرقتها وظلت طوال أعوام تنزف على إثرها ألما ورغبة عارمة لرجل يطفئ نشوتها وجمرة النار المتأججة بداخلها.

بدأت نظراتها إلى «حسين» تتغير من نظرة الأم لنظرة أخرى.. نظرة لمحها هو لكنه لم يتبينها أبدا ولم يتبين معناها الذي فطن إليه في ما بعد ولم يخطر على باله يوما.. نظرة دائما كانت تحمل كل رغبتها وألمها لتطفو فوق مقلتيها وتفضح أمرها.. لكن «حسين» لم يتدارك ذلك.. الوحيدة التي بدأت تفطن لأمر نظراتها هي «غادة»، فرغم حداثة سنها فإنها كانت تتمتع بذكاء فريد ولم تستطع إخفاء ما تشعر به من نظرات لا عن «حسين» ولا عن «أمينة» نفسها، فسألت «حسين» على مرات متباعدة:

ماما «أمينة» بتحب تبص لك قوي.. ما لك يا ماما بتبصي لـ«حسين» كدا ليه؟! ماما «أمينة» انتي بتحبي «حسين» أكتر مني؟!

أسئلة كثيرة كانت تلقيها من دون إجابات.. وكأن «حسين» و«أمينة» قد أبرما اتفاقا صامتا ينص على أن علاقتهما هي فقط علاقة أم بابنيها وابنين

بأمها لا أكثر.. إلا أن «أمينة» لم تستطع تحمل عدم قطف الزهرة التي أينعت أمامها.. أشعل «حسين» رغبتها من دون أن يشعر.. كثيرا ما كانت تتمتع بالنظر إلى جسده نصف العاري وهو نائم.. منكبيه العريضين.. خصره الممشوق.. وسامته ونظراته الحادة التي زادتها دوما رغبة فيه وفي جسده.. حتى كان يوم مرضه.. ظلت جالسة على كرسي بجانب سريره.. ظلت تهز قدمها في حركة ثابتة تنم عن توترها.. إلى أن هبت واقفة مقتربة منه وجلست بجانبه على السرير وتحسست بيدها عضلات كتفه، فاستيقظ من غفوته إثر لمسات يديها الناعمة التي لم ينهل من نعومتها الزمن، رغم ما نهله من ملامحها وما تركه من تجاعيد تحت عينيها السودواين الواسعتين، بدهشة واهنة نظر إليها قائلا:

ماما «أمينة»!

صرخت فيها صرخة مكتومة محاولة أن تقترب منه أكثر: ما تقولليش ماما دي.. أنا مش امك يا «حسين» وانت عارف.

- مالك يا ماما.. مالك؟!

- باقول لك ما تقولش الكلمة دي.. أنا بحبك يا «حسين» وعاوزاك.. وانت عارف كل نظراتك بتقول انك عارف من زمان.

أسرعت محاولة أن تقبله في لحظة بدت له فيها كالشبح بشعرها المنسدل في عشوائية على كتفها، فدفعها برفق مشيحا وجهه عنها بصعوبة.

إنتي أكيد اتجننتي.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

- أنا شيطان رجيم.. أنا؟!

انقضت عليه بكامل قوتها لتجلس فوقه بجسدها تماما في محاولة يائسة منها لاستمالته نحوها:

دي فرصتنا «غادة» في المدرسة ومافيش غيري انا وانت في البيت.

ووسط هذا كله لم ينتبه كلاهما إلى عودة «غادة» من المدرسة، فتحت باب غرفة «حسين»، وقفت ترمقهما مصدومة.. نظر «حسين» و«أمينة»

إليها مباشرة كل منهما نظرته تختلف عن الآخر.. نظرة «حسين» حملت تلك النظرة التي تقول «لم أفعل شيئا».. ونظرة «أمينة» حملت الكثير من الغل «ماذا أتى بك أيتها العقرباء الآن؟!» إلى أن قطعت «أمينة» ذلك الصمت وهي تقفز من فوق السرير قائلة:

إنتي إيه اللي جابك دلوقتي؟!

صرخت «غادة» بحنق وقد قررت ألا تجدد عقد صمتها:

إنتي إيه يا شيخة؟! إيه؟! إوعي تكوني فاكراني لسه العيلة الصغيرة «غادة» أم ضفاير اللي مش فاهمة حاجة.. لا أنا واخدة بالي من كل طريقة لبسك.. ومن كل بصاتك وحركاتك اللي بتعمليها مع اخويا بقى لك شهور؟!

- إخرسي يا بت.. إنتي اتجننتي ولا إيه؟! ده جزاتي اني قاعدة أمرض اخوكي زي ما اكون امه اللي خلفته؟!

- إنتي عمرك ما كنتي امنا اللي خلفتنا.. الأم ما بتفكرش في جسم ابنها يا مدام «أمينة».

الحقيقة التي واجهت «غادة» بها «أمينة» صدمتها للغاية، فلم تشعر بكف يدها إلا وهو يلطم «غادة» لطمة قوية أسقطتها أرضا قائلة:

إنتي قليلة الأدب وما اتربتيش.

لم يفق «حسين» من صمته ومتابعته للمشهد أمامه في ذهول، إلا على هذا الألم الذي ترك أثره على خد أخته، فهب من سريره بكل ما أوتي من قوة وجذب بقبضته القوية «أمينة» من شعرها مقربا أذنها من فمه هامسا:

عارفة لو مديتي إيدك عليها تاني.. أنا هاقتلك.

- اااااااه.. إوعى كدا.

دفعت يده عن شعرها بقوة.. إيه.. أنا عملت إيه يعني؟! كفرت عشان نفسي تحبني زي ما بحبك؟!

- حب إيه؟! إنتي فاهمة بتقولي إيه؟!

- خلاص نتجوز.

- إيه؟! قالتها «غادة» لا إراديا

- لا لا مش ممكن انتي أكيد بتهزري.. أتجوزك؟! والناس تقول إيه؟!

- مش ضروري الناس تعرف.. هاخدمك واخدم «غادة» زي ما كنت واكتر والحكاية دي تبقى بيننا احنا التلاتة بس.

صمت «حسين» و«غادة» ونظر كلاهما إلى الآخر في اندهاش من أمر تلك المرأة التي عاشا معها لسنوات، وقبل أن يهم «حسين» بالرد:

ما تردش دلوقتي.. فكروا في كلامي على مهلكم وبعدين نتكلم.

خرجت من الغرفة بهدوء متعمدة، لتتركهما فريسة للتفكير في الأمر الذي طرحته عليهما.

نظرت «غادة» إلى «حسين» نظرة طويلة ولم يتكلما إلا حينما تأكدت «غادة» أن «أمينة» خلدت إلى غرفتها:

والعمل يا «حسين»؟!

قال «حسين» مسرعا:

لازم نسيب البيت طبعا.. بس لازم نفكر لو مشينا من هنا.. هنروح فين؟!

- إيه؟! يعني انت ناوي تسمع كلامها؟! هتسمع كلامها يا «حسين»؟!

- يا بنتي لأ طبعا.. بس لازم نفكر في حل.. لازم.. إهدي بقى عشان نعرف نفكر.

لم يمهلهما القدر المهلة الكافية للتفكير في مصيرهما وجاء رده أسرع مما تصور كليهما، فقط عشر دقائق بعد ما حدث، وفجأة لم تشعر «غادة» إلا والأرض تميد من تحت الكرسي الجالسة عليه، وسمعت أصوات كريستالات النجفة تصطك ببعضها البعض محدثة رنينا بدا غريبا لأذنيها، ورأت كل ما على الكومودينو يسقط أرضا.. فصرخت منادية أخيها الممدد في فراشه «حسين».. زلزال يا «حسين».. زلزال.. لم يدر كل منهما ماذا حدث.. الشيء الوحيد الأخير الذي يتذكرانه هو أن كل منهما أمسك بقوة بيد الآخر قبل أن تهب عاصفة ترابية قوية، لتهدأ رويدا وليكتشفا أن نصف

العمارة قد انهار باستثناء الجزء الخاص بالغرف الصغيرة والذي كانت غرفة «حسين» إحداهن.. نظرت «غادة» مشدوهة إلى السماء التي أطلت على الغرفة التي صارت كشرفة بلا أسوار.. ظل «حسين» صامتا من هول المفاجأة واكتفى بأن يأمر «غادة» ألا تتحرك وتظل ساكنة فحسب.

استطرد «حسين» عائدا من عام ١٩٩٢ ليهبط بعقله مجددا إلى موجة صيف ٢٠١٠ الحارة التي تصهر عقله رويدا رويدا.

ـ ماتت «أمينة».. تخيل لو كان الزلزال جه بدري ساعة مثلا.. كانت الست دي ماتت وانا محتفظ في خيالي بذكراها كأنها أمي.. بس ربنا أراد اني اعرف حقيقتها في آخر وقت.

ـ وماتت سايبة لك انت تحديدا نفس الصورة اللي سابتها لك «نشوى».. نفس النهاية لست بتعرف حقيقتها القذرة قبل ما تموت بساعات.

قاطعه «خالد» بجملته تلك مسلطا كل بصره عليه.

نظر إليه «حسين» نظرة تائهة، ثم رفع عينيه إلى السقف مستلقيا برأسه وجسده على ذلك الشيزلونج، وكأنه يرتاح من هم كبير أزاحه عن صدره.. ظلّ يكتمه لسنوات محتفظا بصورة «أمينة» الجيدة أمام الجميع، مخفيا وجهها الآخر الذي كشفت عنه أمامه هو وأخته، ثم قال بعد تنهيدة عميقة:

أنا تعبان يا «خالد».. تعبان قوي.. أنا ما بانامش.. ما بانامش من التفكير.. «ندى» مش بتفارقني.. بافتكرها في كل حتة في البيت.

ـ اللي عندك ده طبيعي.. بداية العلاج انك تقتنع ان في مشكلة.. أهم حاجة تواظب ع الأدوية اللي بديهالك ونظم مواعيد نومك وممنوع الشرب خالص.

ـ ماشي يا «خالد».. خلاص حفظت.. كل التعليمات.

مرت أربعة أسابيع تأرجحت فيها حالة «حسين» بين الصلاة وحالة الهدوء النفسي والسكينة التامة وبين الانفعال وعدم القدرة على العمل وتقلب حالته المزاجية وتدهورها التام.. كما ازداد شحوب وجهه وضعفه الجسدي،

وحدثت له شبه حالة هزال عامة، فصارت عيناه كعيني شبح وسط وجهه البارز منه عظامه، فجعلت ملامحه أكثر حدة وغرابة إلى أن حدثت الطامة الكبرى مع نهاية الأسبوع الرابع.





(٥)

الحقيقة

في الكثير من الأوقات نسير كالمغيبين طامسين أعيننا وآذاننا عن الحقيقة، لا نريد إدراكها، نرى الحقائق أكاذيب ونرى الأكاذيب حقائق.. تتبدل الأدوار وتختلط الأمور فتزداد الغشاوة، إلى أن تتوه الحقيقة وسط الأكاذيب ووسط المعتقدات الخاطئة فننسى لا نتناسى أصل الحكاية، وتجذبنا الأكاذيب في دوائر كدوامات تغرقنا من دون أن نشعر لتضيع الحقائق وتضيع أنفسنا معها.

استيقظ «خالد» من نومه بصعوبه على طرقات الباب العنيفة والمتلاحقة التي لم تتوقف، نظر إلى الساعة مندهشا من التوقيت الثالثة صباحا، فتح الباب ليجد أمامه «حسين» وقد زاغت عيناه وبدا شعر رأسه غير مستوٍ، دلف مسرعا إلى الداخل من دون أن يحيي «خالد» وقال مسرعا:

إقفل الباب يا «خالد» وتعالى اقعد.

قالها وهو يجلس على الفوتيه الكبير.

أغلق «خالد» الباب وجلس بجانبه:

خير يا «حسين» في حاجة حصلت؟!

ـ أولا انا بقى لي أسبوع عصبي جدا وما بانامش من القلق.

ـ قلت لك يا «حسين» وقف الشرب شوية.

- والله ما شربت كاس من شهر.. أنا هاتجنن يا «خالد» وبافكر في «ندى» طول الوقت والنهارده حصلت حاجة غريبة جدا.

- خير!

- الباب خبط الساعة اتناشر ونص كانت عيني يادوب هتغفل ما صدقت اني انام بعد أسبوع أعصابي اتفتركت فيه ودماغي هتنفجر من الصداع والتفكير ومش عارف حتى أروح الشغل.

- قمت افتح ما لقيتش حد.. باضرب بعيني ع الأرض لقيت ورقة.

- هاااا!! - سأله «خالد» بشغف

- بافتحها لقيت مكتوب فيها (ربنا عمره ما هيسامحك ع اللي عملته.. يومك قرب.. إن الله يمهل ولا يهمل)

- فين الورقة دي؟!

دس «حسين» يده في جيب سترته ليلتقط الورقة، وناولها لـ«خالد» الذي فتحها بدوره ليجدها خاوية من أي كتابة قام بقلبها علّه يرى أي كتابة لكن من دون جدوى، كان بياضها واضحا وضوح الشمس، فهز رأسه وهو ينظر إلى «حسين» مشيرا إليه بعدم الفهم، جذبها «حسين» من يده بعنف مقلبا فيها بين يديه عدة مرات متتالية، تبدلت فيها عضلات وجهه وظل يرجف بعيون زائغة وذاهلة، ثم هب واقفا وقد برزت عروق قورته من فرط توتره وارتباكه، وظل يضرب قبضة يده اليمنى في باطن كفه اليسرى ضربات متلاحقة عنيفة إلى أن صرخ:

أنا فيا إيه.. أنا اتجننت؟! أنا فيا إيييييييه؟!

صدم «خالد» من نبرة صوت «حسين» العالية، وهب واقفا وهو يحاول أن يهدئه:

إهدا يا «حسين».. إنت كويس والعلا..

قاطعه «حسين» صارخا:

ما تقوليش اهدا.. أنا مش كويس.. إنت كداب.

- طب أنا هاديك حقنة مهدئة و...

ـ أنا مش عايز زفت حقن.. إنت تعرف عني كل حاجة.. حتى اللي ما كنتش تعرفه أنا حكيتهو لك.. في حاجة انت مخبيها ومش عايز تقولها لي.. وكل يوم اقول هيتكلم.

ـ أنا! طب اهدا يا «حسين» اهدا..

ـ مش هاهدااااااااااااا، قالها ضاربا بيده إحدى زهريات الورد، إنت عارف حاجة انا مش عارفها.. وخايف تقولها لي.. أنا صح؟! أنا صح يا «خالد» مش كدا؟!

أشاح «خالد» ببصره عنه ولم يجبه.

ـ إتكلم يا «خالد».. يمكن اللي انت عارفه يريحني.. إنت عمرك ما خبيت عليا حاجة.

ـ ماشي يا «حسين» ماشي.. بس انا متأكد ان كلامي مش هيريحك.. أدخل البس لك أي بيجامة من عندي وبات هنا النهارده والصبح في العيادة هاحكيلك كل حاجة.

ـ وليه مش دلوقتي؟!

ـ بكرة يا «حسين» عشان اللي هاحكيهولك كله هيبقى بالأدلة عشان ما تفتكرنيش كداب زي ما قلت دلوقتي.. قالها بنظرة لائمة.

ـ أنا آسف يا «خالد».

ـ إنت اتعشيت؟!

ـ عشا إيه يا ابني.. أنا باقول لك أنا ما بانامش.. أكل إيه؟! أنا ماليش نفس أصلا.

ـ يا عم انا هانزل أجيب لك أكلة كباب وكفتة من المطعم اللي تحت.. ونقعد بقى نضرب سوا.

ـ كباب وكفتة إيه بس يا عم خليك.. الساعة أربعة الصبح.

ـ يا عم هو بيسهر على ما تغير هدومك اكون انا جبت الأكل.

في اليوم التالي في عيادة «خالد» جلس «حسين» قبالته قبل أن يهم «خالد» بنداء مساعدته الممرضة «حنان».



«حنان» هاتي لي الفايل بتاع مدام «ندى العرابي».

صدم «حسين» وفغر فاه هامسا باندهاش:

«ندى»؟! «ندى» لها ملف عندك يا «خالد»؟! هي كمان كانت تعبانة؟!

ـ أيوة يا «حسين» وجه الوقت اللي لازم اقولك فيه كل حاجة بصراحة.. «ندى» كانت بتجي لي هنا بسببك.

ـ بسببي انا؟!

أطفأ «خالد» سيجارته المشتعلة، ليعود لنفس المشهد منذ سنوات أثناء إطفائه السيجارة وهو يتحدث مع «ندى» التي تجلس قبالته بملامحها الهادئة الجميلة التي بدا عليها الشحوب الشديد:

ـ أنا مش فاهمة.. إيه اللي بيجرا له يا «خالد»؟! مش فاهمة؟!

ـ إهدي يا «ندى» اهدي.. وقولي لي بس ما له؟!

ـ من ساعة ما عرف انه ما بيخلفش وهو اتحول.. وبيكلمني على إني انا اللي ما باخلفش وجاي يقول لي.. ما تزعليش أنا مش عايز ولاد وكفاية عليا انتي ـ قالت كلمتها الأخيرة منفجرة في البكاء ـ ده غير انه بقى بيسهر كتير برة البيت وبيرجع وش الصبح شارب وحالته حال وما بقاش يهتم بيا خالص.. أنا جت لك عشان مش عارفة اعمل إيه؟ وعشان تلحقني.

ـ أولا عايز اسألك.. لما هو قال لك مش عايز ولاد وابتدى يعاملك على إنك انتي اللي ما بتخلفيش.. هل واجهتيه مثلا بإنه غلط أو كدا؟!

ـ لأ طبعا.. أنا بلمت وما بقتش عارفة أرد عليه.

ـ طب حلو قوي قوي.. الحمد لله انك ما واجهتيهوش.. عادة المواجهة مش بتبقى في صالح المريض.

ـ مريض؟!

ـ أيوة اللي انتي بتحكيه ده يا «ندى» مش طبيعي وبيأكد ان «حسين» عنده مشكلة جامدة.

ـ والعمل؟!

- أنا هاتكلم معاه كدا من غير ما احسسه بأي حاجة وعايزك تحكي لي كل حاجة بتحصل له الفترة الجاية.

استطرد «خالد» معطيا «حسين» ملفًا به كل ما ورد على لسان «ندى» أثناء جلساتها:

ولو تفتكر انا في وقت كنت باحاول اكلمك كتير عشان نتقابل وانت كنت بتزوغ مني دايما بحجة الشغل.. المهم اتكررت زيارات «ندى» وحكايتها عنك لحد ما ابتدت تحكي حكاية غريبة قوي.

- أنا مش فاهمة إيه اللي بيحصله.. بيبص لي بصات بترعبني وبتخوفني.. ده حتى ما بقاش يتكلم معايا زي الأول.. دايما ساكت وسرحان.. دايما قاعد لوحده.. تصور انه اتخانق معايا عشان شافني باتكلم مع الكهربائي.. عمل حكاية.. أنا سكتت ما رضتش أرد.

صمت «خالد» طويلا قبل أن يعود للحديث مع «حسين» الذي ازداد ارتباكه واختلجت كل عضلات وجهه، وظل جسده يرجف رجفة ملحوظة قبل أن يقول متلعثما هامسا:

يعني إيه؟! يعني إيه؟! يعني إيه؟!

- اللي حصل انك لما عرفت انك عقيم.. عقلك الباطن رفض يصدق الحقيقة دي بسبب مشكلة خالك مع مراته وحادثة قتله اللي كانت بسبب الحكاية دي وهنا عقلك الباطن ادا أوردر بخلق حقيقة تانية هي ان «ندى» هي اللي ما بتخلفش وابتديت تتعامل معاها على هذا الأساس وده اللي احنا بنسميه في الطب النفسي Delusions

- يعني إيه يا «خالد».. إنت بتقول إيه؟!

- الـDelusions اللي هي الضلالات ودي أحد أهم أعراض الفصام أو السكيز.. المريض هنا بيبدأ يقتنع بحقيقة معينة أو بأي شيء رغم أن الحقيقة دي بتكون غلط ومبنية على سوء فهمه هو للأمور.. صمت «خالد» لبرهة متابعا ردود أفعال «حسين» وأنفاسه المتهدجة المسموعة بوضوح قبل أن يقول مستطردا:

ـ أنـا من سـاعتها وانا باحاول اعالجـك لكن للأسـف حالتك كانت بترجـع تتدهور والـشرب كان أحد أسـباب زيادة تدهـور حالتك اكتر.. ده غـير ان بسرعـة الأحداث أخدت شـكل تاني خالص لما زادت عندك أعـراض الفصـام وابتـدى يحصلـك Hallucinations هـلاوس يعنـي والـHallucinations أربع أنواع auditory سمعية و visual بصرية و tactile دي ليهـا علاقة باللمس يعني انك تحس انك بتلمس حاجة أو شـخص و olfactory اللي هي الهلاوس اللي ليها علاقة بحاسة الشم ودي فيها بيحس المريض أنه بيشـم روايح مش موجودة أصلا في المكان اللي هو فيه، صمت لبرهة قبل أن يستطرد مرتبكا:

ـ من غير ما أدخلك في تفاصيل طبية معقدة في حالتك ابتدى يحصل لك auditory hallucinations ودي اللي كانت السبب انك ابتديت تشك في «ندى» وتتخانق معاها على أتفه سبب أو بمجرد ما بتشوفها بتكلم أي راجل.. والـhallucinations دي كمان عقلك الباطن هو المسؤول عنها لأنه ابتدى يصور لك «ندى» بشكل «نشوى» أو «أمينة».. الستات اللي عقلك الواعي شاف حقيقتهم واختزنها عشان عقلك الباطن يفجرها بعد كدا في شكل الهلاوس.. لحد ما ماتت «ندى» والـhallucinations اتطورت معاك للأنواع التلاتة التانية بعد كدا بدليل الستات اللي كنت بتشوفهم في البار وما كانش ليهم وجود.. هنا العقل الباطن خاف من فكرة انك تكون شخص غير مرغوب فيه جنسيا أو عاجز زي خالك.. فقرر عقلك الباطن يخلق هلاوس تصور لك الواقع المزيف اللي انت عايزه بيه ويلغي تماما الواقع الحقيقي اللي انت خايف منه.. لحد ما انت بنفسك اكتشفت هلاوسك لما قريت خبر موت «إنجي صادق».. وبعدها حصلت عندك حالة الـ Thought disorder ودي اللي خلت يحصل عندك اضطراب في أفكارك وتشويش وده كان السبب انك ما بقتش قادر تشتغل ولا تتفاعل مع الناس، استطرد بلهجة طبية:

ـ باختصار يا «حسين» انت عندك مشكلتين المشكلة الأولى هي حكاية

العقم والعجز الجنسي وصلتها باللي حصل لخالك، وخوفك من حقيقة انك عقيم عشان ما تبقاش نهايتك القتل والخيانة زي خالك والمشكلة التانية هي نموذج الست الخاينة اللي شفته مرتين على أرض الواقع، واللي خلق عندك عقدة تانية انفجرت مع العقدة الأولى، وده اللي كان بيخليك تشك في «ندى» خاصة بعد ما عرفت إنك عقيم.

ظل «حسين» يستمع إليه باهتمام وشغف، بينما ظلت عضلات وجهه ترجف من هول ما يسمعه.

ـ طب و«ندى»؟! «ندى» انتحرت يا «خالد» مش كدا؟! ـ ألقى سؤاله خائفا من الإجابة حيث تجمع ذعر الدنيا كله في عينيه اللتين تعلقتا على فم «خالد» منتظرتين الإجابة وكأنهما رجلان ظمآوان في انتظار نقطة ماء وسط تلك الصحراء الجرداء التي سقط فيها طائر جريح لا يقوى على التحليق في سماء حياته من جديد.

ـ ما حدش يعرف يا «حسين».. الإجابة دي عندك انت.. إنتم اتخانقتوا خناقة كبيرة قبل ما تموت بيومين حسب ما حكت لي «ندى» لأنك اتهمتها انها بتخونك وانا ما قلتش الحكاية دي في التحقيقات والمفروض في اليوم اللي ماتت فيه «ندى» انها كانت ناوية تسيب البيت وتروح تقعد عند باباها لكن فجأة ماتت بسبب جرعة كبيرة من الأدوية المنومة شربتها في العصير.

ـ يعني انتحرت؟! انتحرت يا «خالد».. أيوة هي انتحرت بدليل الجواب اللي سابته بتقول لي فيه انها انتحرت عشان مش عايزه تحس اني كرهتها ولا عايزه توصل لمرحلة انها تكرهني.

صمت «خالد» وشرد بعينيه فارًّا من نظرات «حسين» له قبل أن يقول:

تقرير خبير الخطوط أثبت أنه ما كانش خط «ندى» يا «حسين».. ما كانش خطها.

قال كلمته الأخيرة مؤكدا على معنى جملته.

ـ إيه؟! قصدك إيه؟! تقصد يعني ان انا اللي كتبت الجواب؟! سأله «حسين» وقد لمعت عيناه بالغضب واللوم.. المحكمة برأتني وأثبتت ان الخط ما كانش خطي ولا انت نسيت.

ـ لا ما نسيتش بس في حاجة مهمة لازم اقولها لك.. المريض النفسي أو مريض الفصام بيبقى ذكي لأقصى درجة ممكن تخطر على بالك وبيبقى من السهل انه يقتل.. لأنه دايما بيبقى متصور ان في حد بيراقبه أو حاسس ان في حد ممكن يقتله وفي حالتك.. إنت كنت متصور ان «ندى» ممكن يعني.. ممكن تقتلك زي ما مراة خالك قتلت خالك.. ما تخافش يا «حسين» لازم عشان تقتل يكون عقلك كمان قاتل، أقصد يعني تكون اعتزمت نية القتل وده مش هيحصل إلا لو كان عقلك واعي وفي حالتك لو انت قتلت «ندى» يبقى أهم عنصر في الجريمة مش موجود اللي هو إيه؟! النية الجنائية لأن عقلك مضطرب ومش في حالته الطبيعية.

قال جملته الأخيرة متلعثما يصمت بين الكلمات فخرجت منه كلماته خائفة مترددة متوجسة من رد فعل «حسين»، لأنه كان يدرك تماما أن وقع الحقيقة وأثر المواجهة مع «حسين» ستكون كالضغط بقوة على جرح قديم لينفتح مجددا، وحدث ما كان يخشاه «خالد».

هب «حسين» واقفا وضرب مكتب «خالد» بكفيه:

إنت بتكدب يا «خالد».. إنت بتكدب.. «ندى» انتحرت وانا متأكد انها هي اللي كتبت الجواب لو مليون خبير خطوط قالوا غير كدا.. وهي اللي ما كانتش بتخلف.

استطرد بنبرة مخنوقة وكأن أحدا قد أمسك بعنقه ليخرج صوته مختلفا تماما:

كل التحاليل عندي.. وحتى التحقيقات أنا حكيت الواقعة بالضبط.. أنا ما قتلتهاش.. أخذ يتحرك في شكل دائري بغرفة «خالد» بالعيادة الذي ارتبك بدوره من انفعال «حسين».. أنا رجعت البيت لقيتها نايمة في السرير ومش عايزة تصحى.

هب «خالد» واقفا ليقف قبالة «حسين» ممسكا بذراعه:

«حسين» أنا بقى لي شهور باحاول أعالجك بس أبو «ندى» عرف انك مريض وهيثبت ده وهيعيد فتح القضية.. ساعدني يا «حسين» ساع..

ـ إسكت.. إسكت.. إنت بتكدب يا «خالد».. بتكدب «ندى» هي اللي ما كانتش بتخلف وانا ما قتلتهاش، إنت كدااااب.

قالها صارخا بكل ما أوتي من قوة.

حاول «خالد» السيطرة عليه وتكبيل يديه مناديا مساعدته بانفعال:

«حنااااااااان».

دخلت «حنان» مسرعة:

أيوة يا دكتور؟!

ـ هاتيلي حقنة مهدئة بسرعة.

ـ إبعد عني سبني باقول لك.

قام «حسين» بدفعه دفعة قوية للأمام أسقطته أرضا، ثم ظل يتحرك في دوائر ثابتة بينما كانت كل عضلات وجهه ترجف ويهز رقبته في عنف هامسا:

إنت بتكدب.. إنت بتكدب.. أنا بحب «ندى».. أنا مش ممكن اقتلها.

تغيرت هنا حركته الدائرية واتجه لكل ما تطوله يده بالغرفة ليحطمه مرددا:

لاااااااااا.

استعاد «خالد» قوته وهب واقفا وكبله من الخلف بينما ظلت تشنجاته تزيد بوضوح فظل يردد:

إوعى سيبني.. سيبني.

سيطر عليه «خالد» تماما مشيرا لـ«حنان» التي دلفت إلى الغرفة أن تحقنه سريعا قبل أن يفقد سيطرته عليه، وبسرعة ومهارة حقنته «حنان» وقد اعتادت تلك الأمور التي دوما ما تحدث في عيادة الطبيب النفسي، بينما ظل «حسين» يردد:

إبعدوا عني ابعدوا عني.. سيبوني.

إلى أن غفت عيناه إثر الحقنة، وشعر «خالد» بذلك فحمله إلى السرير في رفق وأشار لـ«حنان» بالخروج وظل ينظر إلى وجهه النائم مليا وقد فرت دمعة من عينيه.



(٦)

رحيل «ندى»

لحظة الموت.. الموت لحظة مخيفة.. شعور غريب لا يضاهيه شعور آخر.. خوف وألم وندم وحسرة ووداع ومشاعر مختلطة يفجرها موت من حولنا فينا من دون سابق إنذار ليملأ رؤوسنا بأسئلة لا تنتهي.. ولكن ماذا لو كنا مسؤولين عن موت من نحب؟! ماذا لو كنا يد عزرائيل قابض الأرواح لإتمام مهمته؟! أي حقيقة مؤلمة تلك؟! أي صفعة تصفعها لي الدنيا مجددا؟! هل لا تملك الدنيا أي يد حنونة تربت بها على أكتافنا؟! هل تتفنن فقط في مفاجأتنا دائما؟! هل تتعمد أن تصفعنا بكل ذلك العنف فقط من دون لمسة حانية واحدة؟! يا رب رحماك.

نوفمبر ٢٠٠٩

الليلة قبيل وفاة «ندى العرابي»

جلست «ندى» في غرفة المعيشة بالفيلا التي لم يكن يضيئها تلك الليلة سوى إضاءة الأباجورة الخافتة والتي ألقت بظلالها على وجه «ندى» مضيئة نصفه الأيمن تاركة نصفه الأيسر إلى الظلام، فبدت «ندى» كتمثال رابض

في الضوء الخافت لا يحرك سكونه سوى دموع عينيها المتلألئة فوق خديّها الورديَّين، ولا يرن في المكان سوى صوت عقارب ساعة الحائط الكبيرة التي رنت أجراسها ثلاث دقات معلنة عن الساعة الثالثة صباحا.. لم تمر أكثر من خمس دقائق بعد دقات الساعة الثلاث، وسمعت «ندى» صوت باب الفيللا ينفتح فهبت واقفة بعد أن أطفأت الأباجورة بجانبها، ووقفت في مكان يسمح لها برؤية الردهة كاملة من دون أن يلحظها «حسين» الذي دلف بدوره بخطوات هادئة متمهلة مترنحة ترنحا ملحوظا، لحظته هي رغم الظلام الدامس إلى أن سقطت منه المفاتيح محدثة رنينا مع سقوطها، فهمس وكأنه يحدثها وهو يلتقطها بهدوء من على الأرض:

ششششش.. ششششش

أضاءت «ندى» أنوار الردهة سريعا، فنظر باندهاش لأضواء النجف، ثم ابتسم حين وجدها فجأة واقفة أمامه صامتة تتفرس في وجهه بملامحها الجادة الحزينة.

ـ «ندى» حبيبتي.. وحشتيني.

قالها متجها نحوها ليحتضنها، فأبعدته عنها برفق مشمئزة من رائحة الخمر التي تفوح من فمه.

ـ وأخرتها يا «حسين».. وأخرتها...

ـ أخرتها فل ان شاء الله هاهاهاها

ـ «حسين».. فوق بقى فوق.. حرام عليك انت بقى لك شهور على كدا.. إيه اللي جرا لك؟! إيه اللي جرا لك فهمني؟! كل ليلة بقيت تيجي متدرمغ.. في إيه حصل عشان كل اللي بتعمله ده فيا وفي نفسك؟!

نظر إليها مبتسما من دون أن يجيبها فاستطردت:

ـ أنا هامشي يا «حسين» من بكرة هامشي خالص لحد ما ترجع تحبني زي ما كنت أو نسيب بعض.

ـ عادي.. صدمتها كلمته ونظرت إليه مندهشة فاستطرد بلسان ثقيل:

ـ إنتي حرة اعملي اللي انتي عايزاه، كفاية اني مستحملك وانتي مش بتخلفي عايزة إيه تاني؟!



ثم قال بصوت عالي:

عايزه إيه تاني؟!

أبكاها المشهد كله ولم تستطع أن تنطق بحرف فتلعثمت قائلة باضطراب:

أنا.. أنا..

ـ إنتي ما لكيش أي حق انك تتكلمي، وانا حر اعمل اللي انا عايزه.. أسهر.. أشرب.. أرقص.. أنا حر.. ومش كل يوم والتاني هتشغلي لي الأسطوانة المشروخة دي.

تركها واقفة وسط الردهة الكبيرة، وقد انفجرت عيناها بالدموع ولم تستطع أن تتمالك نفسها، فهوت على كرسي قريب واضعة رأسها بين كفيها.

يوم وفاة «ندى العرابي»

جلست «ندى» في الصباح الباكر على مائدة الطعام تصب الشاي لـ«حسين» بهدوء بينما جلس هو قبالتها يتناول إفطاره في صمت، وهو منشغل بجريدة يقرأها، ولم تذق هي الطعام أمامها، واكتفت بشرب عصير البرتقال الذي أحبت دائما أن تشربه كل صباح، وظلت تنظر إليه مليا من دون أن تنطق بأي كلمة، وبدا على عينيها الإجهاد والحزن العميق وكأنها لم تنم منذ سنوات.

نظر في ساعة يده ورشف رشفة أخيرة من الشاي الساخن أمامه، ثم هب واقفا جاذبا حقيبته قائلا:

«ندى» أنا هانزل بقى انا متأخر قوي.. عايزه حاجة وانا جاي؟!

ـ لأ.. قالتها بنبرة هادئة للغاية.

ـ مع السلامة يا حبيبتي، أنا جاي ع الغدا.

طبع قبلة سريعة فوق جبينها.

ـ مع السلامة.

قالتها بعين ملؤها الدهشة والحزن من كلمة حبيبتي التي قالها..

تعلم جيدا أن الخمر حولت «حسين» تماما إلى شخصية أخرى في الفترة الأخيرة.. شخصية غير شخصية «حسين» الذي أحبته.. لقد كانت معاملته

في هذا الصباح عادية وكأن شيئا لم يكن ليلة أمس، كانت هادئة في مكانها إلى أقصى درجة هبت واقفة من على مائدة الطعام منادية خادمتها «فوزية»، وأمرتها أن تأخذ إجازة مفتوحة هي و«نادية» (الخادمة الأخرى بالمنزل) متعللة بسفرها وأخبرتهما أنها ستتصل بهما فور عودتها وطمأنتهما على سريان مرتباتهما كما هي طوال فترة إجازتهما.

وبعد خروجهما اتجهت إلى الحمام، وأخذت حماما ساخنا اختلطت فيه دموعها مع مياه الدوش على جسدها فزادتها ألما وحزنا، خرجت من حمامها وذهبت لغرفة نومها.. نظرت لكل ركن في أركان الغرفة مليا.. كل حيطان تلك الغرفة شهدت لحظات حبها مع «حسين» جلست أمام المرآة الكبيرة تسرح شعرها بمشط كبير بعنف آلمها فألقت على إثره المشط على الأرض، وبكت بحرقة وهي تنظر إلى نفسها بالمرآة.

في تمام الساعة الثالثة والنصف عصر ذلك اليوم المشؤوم، عاد «حسين» إلى منزله، دلف إلى الداخل وفاجأه الهدوء الغريب الذي خيم على المنزل.. ظل ينادي «ندى» واضعا حقيبته جانبا على منضدة صغيرة بردهة الاستقبال، كانت في سريرها نائمة كالملائكة بقميص نوم أبيض حريري زاد من بهاء كتفيها ناصعتي البياض البارزتين منه، وجهها كان شاحبا للغاية شحوبا غير مألوف حتى شفتاها الورديتان تحول لونهما للون أزرق حمل برودة الدنيا كلها مما فاجأه، فجرى نحوها ليوقظها: «ندى».. «ندى».. «ندى»، ثم انتبه سريعا للورقة الموضوعة على الكوميدينو بجانب السرير فجذبها ليقرأها:

(قررت أن أترك هذا العالم لأنني لا أستطيع أن أعيش بعد كره حبيبي لي.. لم أعد أتحمل عدم رؤية نظرات الحب في عينيه.. سامحني يا أبي الحبيب.. أعلم جيدا مدى الألم الذي سيلحق بك لفراقي.. سامحني يا «حسين» لكنني آثرت أن أترك الدنيا محتفظة بما تبقى من حبك لي، قبل أن أفقدك إلى الأبد وهذا ما لا أستطيع تحمله يوما.. ما زلت أحبك يا «حسين» حتى وإن لم تعد تحبني.. «ندى»).

فزع «حسين» من هول ما قرأ وألقى بالورقة على السرير، ثم حاول

أن يهز «ندى» هزات متتالية مرددا اسمها بشكل هيستيري، بينما ظلت عضلات وجهه ترجف رجفة ملحوظة وضع أذنه على صدرها عله يسمع قلبها ما زال ينبض بالحياة، إلا أنه لم يسمع أي شيء.. أمسك بيده يدها اليمنى واضعا إصبعه على شريان يدها علّ هناك بارقة أمل في نبض يعيدها إلى الحياة مجددا، لم يكن هناك أي صوت لأي نبض.. لقد ماتت «ندى».. إنها الحقيقة أمامه الآن من دون أي تجميل.. ملعونة تلك الدنيا دوما تحمل لنا حقائق مفزعة لا نرغب في تصديقها فتلقي بنا في الفراغ من دون شفقة أو أي محاولة لإرضائنا وتبديل الواقع بواقع آخر نريده، ظل يبتعد عنها وعن السرير ببطء، عيناه وشفتاه ترجفان.. جسده ينتفض وكأن زلزالا أصاب كل حواسه فقط.. زلزالا لا يشعر به سواه.. لم تستطع معه قدماه أن تحملاه لأكثر من نصف دقيقة سقط بعدها على الأرض بجانب السرير وقد أعلنت عيناه عن بركان من الدموع لمع فيهما وظل يهمس بخوف «ندى».. «ندى».. «ندى».. قبل أن يدخل في نوبة بكاء حاد جاذبا يدها مقبلا إياها:

«ندى».. قومي يا «ندى».. أنا ما كانش قصدي.. قومي يا «ندى».. قومي عشان خاطري.

لم يدر كيف قام بإبلاغ البوليس.. لم يدر كيف امتلأ منزلهما فجأة بالمحققين ورجال المباحث والنيابة.. كان في عالم آخر ظل جاثيا على ركبتيه بجانب السرير لا يقوى على الوقوف.. فقط أذناه كانتا تستمعان إلى ما يحدث في شرود ظل رفيقا لعينيه طوال الوقت.

بالدخول إلى فيللا «حسين مصطفى الصاوي»، تبين أن الفيللا مكونة من طابقين، الطابق الأول به ردهة كبيرة ومطبخ وحمام وغرفة بها مائدة طعام كبيرة، بينما الطابق الثاني يتكون من أربع غرف كبيرة.. غرفة مكتب وغرفة نوم وغرفتين معيشة، وبالصعود إلى الطابق الثاني تبين وجود جثة بغرفة النوم لسيدة في العقد الثالث من العمر بيضاء لها شعر بني بدا الشحوب الواضح على وجهها وبجانبها هاتفها المحمول وخطاب تركته لزوجها تبلغه فيه بانتحارها.. ظل الصوت يتردد في عقل «حسين» متقطعا،



وتم التحفظ على «حسين» للإدلاء بأقواله في قسم الشرطة.

سأله وكيل النيابة:

ها يا «حسين» إحكي لنا بقى ايه اللي حصل بالتفصيل.

نظر إلى وكيل النيابة في وجوم قبل أن يرد:

أنا دخلت البيت.. لقيت البيت ساكت جدا.. حتى مافيش صوت للشغالين.

- إنتم عندكم شغالين كتير؟!

- إتنين.. كانوا جم مع «ندى» من بيتها «نادية» و«فوزية».

- كمل.

استطرد متلعثما بجسد يرجف للغاية، باكيا بشدة متأثرا بسرده ما حدث واسترجاعه للواقعة:

دخلت البيت فضلت أنده على «ندى» كتير قوي.. ما كانش في حد بيرد.. طلعت فوق دخلت أوضة النوم لقيتها نايمة في السرير.. حاولت اصحيها.. حاولت اصحيها وبعدين بصيت على الكومودينو لقيت ورقة كاتبة فيها انها انتحرت.. انتحرت عشان انا.. عشان انا ما بقتش احبها زي الأول.. قعدت اهز فيها وبعدين.. وبعدين حطيت ودني على صدرها.. حطيت ودني على صدرها عشان اسمع لو قلبها لسه بيدق.. بس ما كانش في صوت.. ما كانش في صوت.. جسيت نبضها.. لقيت مافيش حاجة.. واتأكدت انها ماتت.

زادت حالة بكائه المتقطعة هنا، ليدخل في نوبة بكاء حادة أخرى هامسا:

انتحرت بسببي.. انتحرت بسببي.

- طب اهدا يا «حسين».. إهدا.

- فضلت قاعد جنب السرير ع الأرض واتصلت بالشرطة من موبايلي لحد ما جيتوا.

فقرة من تقرير الطب الشرعي: تبين أن الوفاة حدثت نتيجة هبوط حاد في الدورة الدموية أدى بدوره إلى توقف القلب إثر تناول جرعة كبيرة

من الأقراص المنومة والتي تبين من تشريح الجثة أنها تناولتها في عصير البرتقال.

«نادية»: المدام والبيه ما اتكلموش ولا كلمة الصبح وهما بيفطروا.. والمدام تقريبا ما شربتش غير عصير البرتقان بتاعها.

«فوزية»: مدام «ندى» ست طيبة جدا، واحنا بنخدمها من أيام ما كان عندها عشر سنين.

«نادية»: إحنا ما بنباتش في البيت، إحنا بنيجي كل يوم الصبح ونمشي ع الساعة ستة سبعة.

«فوزية»: أستاذ «حسين» هو اللي طلب من الأول اننا ما نباتش في البيت عشان هو بيحب يبقى براحته مع إن الست «ندى» ما كانتش موافقة في الأول.

«نادية»: هما آخر فترة كانوا على طول بيتخانقوا وما بقوش زي الأول.. والست «ندى» كانت دايما زعلانة.

«فوزية»: في اليوم ده الست «ندى» بعد ما نزل أستاذ «حسين» الصبح.. طلبت مننا اننا نروح عشان هي خارجة ومش محتاجة البيت يتعمل فيه حاجة.

«نادية»: أنا اللي عملت عصير البرتقان وحطيته بالليل في التلاجة قبل ما امشي.. المدام متعودة اني اعصر لها كل يوم عصير البرتقان طازة واسيبه لها قبل ما امشي عشان لو حبت تشرب بالليل منه.. الله يرحمها كانت بتحبه قوي من وهي صغيرة.

«فوزية»: أنا حضرت الفطار الصبح وزي كل يوم عملت الشاي لأستاذ «حسين»، وحطيت عصير البرتقان للست «ندى».

«نادية»: أستاذ «حسين» نزل نحو الساعة تمانية ونص، وقال للست «ندى» انه راجع ع الغدا.

«فوزية»: لا لا أستاذ «حسين» ما يعملهاش.. ولو ان مافيش راجل يتآمن له.

«نادية»: الله أعلم يا سعادة البيه.. بس هو يعني هيعمل كدا ليه ما يطلقها وخلاص.

تقرير خبير الخطوط الأول:
«بعد الاطلاع على الخطاب المكتوب والذي عثر عليه بجانب جثة «ندى سالم العرابي» ومضاهاته بأوراق أخرى كتبت بخط يدها قدمها والدها لخبير الخطوط، تبين أنه لا يوجد أي تطابق بين الخطين من حيث طريقة تكوين الحروف والمقاطع واللازمات والجرات والتنقيط، ومن حيث مواصفات الشكل والموضوع وتفاعلهم الحركي مع الحروف المكتوبة، والأمر المؤكد أن الخط الذي كتب به الخطاب بعيد كل البعد عن خط «ندى سالم العرابي».

وكيل النيابة ظل شاردا في تلك القضية الغريبة التي يحقق فيها، ثم كتب بخط يده على ورقة بيضاء كلمة: انتحار؟.. قتل؟

قررنا نحن «أحمد عياد» نيابة الإسكندرية حبس المتهمين «حسين مصطفى الصاوي» و«فوزية عبد ربه شهاته» و«نادية إبراهيم محروس» أربعة أيام على ذمة التحقيق في قضية «ندى سالم العرابي».

قررنا نحن «أحمد عياد» نيابة الإسكندرية تجديد حبس المتهمين «حسين مصطفى الصاوي» و«فوزية عبد ربه شحاته» و«نادية إبراهيم محروس» خمسة عشر يوما على ذمة التحقيق في قضية «ندى سالم العرابي».

فقرة من تقرير المعمل الجنائي: برفع البصمات الموجودة على كوب عصير البرتقال والذي عثر عليه بغرفة النوم على الكومودينو الصغير، تبين أن البصمات تخص «ندى سالم العرابي» ولم يتبين وجود أي بصمات أخرى على الكوب، ولكن برفع البصمات الموجودة على قارورة البرتقال التي عثر عليها بالثلاجة، تبين وجود بصمات «ندى سالم العرابي» ووجود بصمات «نادية إبراهيم محروس».

تقرير خبير الخطوط الثاني: «بمضاهاة الخطاب المكتوب ـ والذي عثر عليه بجانب جثة «ندى سالم العرابي» ـ بأوراق أخرى كتبت بخط يد كل من «حسين مصطفى الصاوي» و«فوزية عبد ربه شهاته» و«نادية إبراهيم محروس»، تبين أنه لا يوجد أي تطابق بين خطوط المتهمين الثلاثة والخط الذي كتب به الخطاب من حيث طريقة تكوين الحروف والمقاطع واللازمات

والجرات والتنقيط ومن حيث مواصفات الشكل والموضوع وتفاعلهم الحركي مع الحروف المكتوبة.

قررت نيابة الإسكندرية إخلاء سبيل المتهمين «حسين مصطفى الصاوي» و«فوزية عبد ربه شهاته» و«نادية إبراهيم محروس» في قضية «ندى سالم العرابي» حيث تبين من التحقيقات وتقارير كل من: الطب الشرعي والمعمل الجنائي وخبير الخطوط، يؤكدون عدم وجود أي أدلة كافية أو شبهة جنائية تدين أي من المتهمين الثلاثة.





(٧)

القط الأسود

حينما ندرك أننا على حافة الهاوية، نبحث عن أي خيط بإمكانه إنقاذنا،

حينما ندرك أننا على حافة الهاوية، يلجأ عقلنا الباطن إلى حيلة، لينقلنا إلى عالم آخر مجهول نسبة الخيال فيه تتعدى الـ ٢٠٠٪.

حينما ندرك أننا على حافة الهاوية، نتذكر الله.. لحظتها فقط نتذكر أن هناك ربا نود مناجاته، نادمين على خطايانا، طالبين المغفرة.

عاد «حسين» إلى منزله بعد أن وصّله «خالد» ودخل معه إلى الفيللا لم يتكلم «حسين» ولا كلمة منذ أفاق في عيادة «خالد» وحتى مجيئه إلى المنزل، وكأن لم يعد للحديث جدوى.. أحيانا نحتاج للصمت وأحيانا أخرى يكبرنا الواقع الأليم على الصمت من دون أن نشعر، وكأن الواقع يسرق الألسن بيده من دون سابق إنذار.. ورغم صمت لسان «حسين» فإن عقله ظل يهمس له: ابحث في ما سبق.. أعد النظر.. علّك مخطئ كما قال «خالد».. أي ذنب اقترفته لهذا الحد ليعاقبني الله بفقدان عقلي؟! ماذا فعلت؟! سؤال نسأله لأنفسنا كثيرا رغم يقيننا وعلمنا بالإجابة الصحيحة التي نحاول دائما ألا نراها ونخفيها حتى عن أعيننا، قطع «خالد» شروده:

أنا هابات معاك النهارده.

لم يجبه «حسين» وتركه صاعدا إلى غرفته في تمهل، وكأنه لا يقوى حتى على السير.. دلف إلى غرفته أوصد بابها واستلقى على السرير ناظرا إلى السقف، وقد بدأت الأفكار تقفز في رأسه كفقاقيع الهواء فارغة لا تحمل صورا ولا ذكرى صحيحة.. ذكرياته يعرفها وحده.. غير تلك الذكريات التي يسردها له الآخرون غير ما رواه له «خالد».. لم أكن عقيما.. لم أكن.. أين الفتيات اللواتي أتين إلى تلك الغرفة؟! أين أنتن؟! هل قتلتك يا «ندى» بدم بارد؟! هل خشيت حقا أن تقتليني.. لم أقتلك يا «ندى».. لم أكن عقيما.. لم أخشَ أن تقتليني.. لقد كنتِ أنتِ العقيمة.. لست أنا.. فقط أهملتك.. فقط لم أعد أهتم لأمرك.. فقط هذا ما اقترفت.. هب من سريره واقفا، وكأنه تذكر شيئا فتح باب الغرفة متجها ناحية غرفة مكتبه فالتقى بـ«خالد» الذي كان يقف في الرواق المؤدي إلى غرفة نوم «حسين» قلقا عليه، منتظرا إياه علّه يخرج.. لا يريد أن يزيد من اقتحامه لـ«حسين» أكثر من ذلك فيكفي ما حدث وما واجهه به.. جذب «حسين» «خالد» من يده قائلا:

تعالى معايا.

نظر له «خالد» بارتياب لكنه رضخ لرغبته في التحرك معه، ودلفا معا إلى غرفة المكتب التي أضاء «حسين» نورها، وظل يتحرك فيها جيئة وذهابا بين المكتبة وبين أدراج مكتبه وبين الأوراق والملفات الموضوعة في كل مكان بالغرفة إلى أن فتح الدرج الأيسر في مكتبه، والذي اعتاد أن يحتفظ فيه بأوراقه المهمة.. ظل ينقب بين الورق عن شيء محدد مما اضطر «خالد» للخروج عن صمته ليسأله:

بتدور على إيه يا «حسين»؟!

لم يجبه ولم يلتفت إليه وظل يبحث إلى أن لمعت عيناه وتوقفت يده فجأة بعد أن أمسك بملف أزرق اللون، فتحه مسرعا يقلب صفحاته التي تبين «خالد» من مكانه أن من بينها أوراق الأشعة السوداء مميزة الملمس.. ظل «حسين» لأربع أو خمس دقائق يقلب في صفحات الملف، ثم أغلقه فجأة



ملقيا إياه على سطح المكتب وهمس قائلا:

إنت صح.. إنت صح.

جلس على الأرض وهو يبتعد عن الملف وينظر له في ذعر، وتكور في ركن من أركان الغرفة هامسا:

إنت صح.. إنت صح.

وضع رأسه بين كفيه ليخفي وجهه عن «خالد» الذي لم يستطع بدوره أن يقاوم فضوله أكثر من ذلك، فجذب الملف الأزرق ليقرأ ماذا يحويه هذا الملف، وليكتشف أن الملف يحتوي على تحاليل طبية تفيد بعقم «حسين» وبسلامة «ندى» من أي مرض عضوي يمنعها من الإنجاب.. وضع «خالد» الملف مجددا على سطح المكتب بعد أن أغلقه.

فرفع «حسين» رأسه له ليقل ساخرا:

أنا اللي ما باخلفش و«ندى» سليمة.. إنت صح يا «خالد».. تكسب يا صاحبي.. أنا مش قادر اصدق.. أنا ممكن اكون قتلت «ندى»؟! أنا مش قاتل يا «خالد».. أنا كنت بحبها.

جثا «خالد» بجانبه وأربت على كتفه:

إنت مش قاتل يا «حسين».. إنت عيان.. فرق كبير.. عشان كدا انا عايزك تسمع كلامي.. إنت لازم تدخل مصحة وهنقول للناس كلها انك هتسافر.. لازم نثبت انك تعبان قبل ما «سالم العرابي» يفتح التحقيق في القضية تاني، لازم كدا دكتور يأكد حالتك لأن شهادتي أنا مش هتفيد بأي حاجة عشان انا صاحبك.. وساعتها مش هنعرف نعمل حاجة.. قوم نام دلوقتي والصبح نرتب كل حاجة.

خلدا إلى النوم وأصر «خالد» على أن ينام بجوار «حسين» رغم وجود غرفة نوم أخرى.

«حسين» يجري في شارع مظلم يلمح ضوءًا خافتا في نهاية الطريق يحاول لاهثا الوصول إليه لكنه كلما سار لا يشعر باقترابه، وكأن ذلك الضوء يصر على أن يبتعد عنه أكثر كلما اقترب، إلى أن يتوقف فجأة، وقد أرهقه الركض

وراء هذا السراب الزائف حاول أن ينظر حوله علّه يرى طريقا جانبيا آخر يخرجه من هذا الطريق المظلم الذي لا نهاية له سوى الضوء الزائف الذي كلما اقترب إليه ابتعد بدوره عنه، لكن من دون جدوى لم يجد أي طريق آخر، ظل ثابتا في مكانه بعد أن ظهر أمامه قط أسود كبير في حجم جسده، عيناه خضراوان فاغرا فاه كاشفا عن أنيابه الحادة والكبيرة أيضا ناصعة البياض، ظل ساكنا بلا حراك خاشيا هذا النمر أمامه لا القط الكبير، بينما ظل القط الكبير يتفرس في وجهه بنظرة ثابتة جامدة لا تتغير.. برهة طويلة مرت إلى أن ظهر ضوءٌ آتيًا من السماء يغمض الأعين من قوته، حاول «حسين» أن يعرف مصدر هذا الضوء إلا أنه لم يستطع تبين ذلك أبدا.. تبدلت نظرة القط فلم تتحمل عيناه الخضروان قوة الضوء وصارتا مفتوحتين بالكاد إلى أن تبين «حسين» بعد خفوت الضوء ظهور «ندى» تهبط من السماء في زي أبيض ملائكي، لتقف حائلا على الأرض بين «حسين» والقط الأسود الكبير.. نظرت إلى «حسين» نظرة ودودة مبتسمة ابتسامة هادئة تقول بعينيها افتقدتك بشدة.. ثم أربتت على كتفه، ونظرت نظرة حادة إلى القط الكبير الذي تحولت نظراته الجامدة لنظرات خوف ورعب من وجه «ندى» ونظرتها القوية الحادة له، إلى أن أشارت للقط بإصبعها أمام فمه.. مُحركة إياه في الهواء للأمام في بطء، فنظر إليها القط خوفا، ثم عاود النظر إلى «حسين» لكن بنظرة أخرى.. نظرة حملت كلمة النجدة وأخرج لسانه على مهل منفذا ما أشارت به «ندى»، والتي ابتسمت بدورها ابتسامة خبيثة لم يرَ مثلها «حسين» على وجهها من قبل.. نظرت إليه فجأة، ثم مدت يدها مسرعة إلى صدره جاذبة حرف الـH المدبب بقوة انقطعت معها السلسلة من رقبة «حسين» الذي فوجئ مما فعلته ولم تمهله الوقت الكافي للإفاقة من مفاجأته بل تلت مفاجأتها الأولى مفاجأة أخرى إذ نشبت أحد حرفي الـH المدببين بعد أن نشبته بقوة في وضعيته على العرض في منتصف لسان القط الكبير الذي أصدر بدوره مواءً ارتجف له «حسين» وانقبضت ملامحه، بينما ظل القط الكبير يموء ويتلوى على الأرض بجسده الكبير، متألما من حرف الـH المنشوب بقوة في منتصف

لسانه، إلى أن أمسكته «ندى» بقوة من ذيله وأدارته في الهواء في دوائر سريعة وكأنها تحمل ميدالية بلا وزن لا قطا كبير الحجم كهذا القط، ثم بمهارة ألقت به بعيدا إلى بداية الطريق الذي قدم منه «حسين» ليهبط على الأرض ساكنا بلا حراك، نظر إليها «حسين» في ذهول من هول ما رآه فابتسمت إليه مادة له يدًا حنونة كم اشتاق إلى لمستها، فمد لها يده من دون تفكير فطارت به إلى حيث الضوء الخافت القادم من بعيد في نهاية الطريق.. لكن هذه المرة لم يبتعد الضوء بل ازداد بقوة لدرجة جعلت «حسين» لم يتحمل كل تلك الهالات البيضاء التي أحاطت به بعد ظلام ولهاث ساعات طويلة.. اختفت «ندى» وصار هو كطائر كسر جناحه فسقط بقوة في بئر من الضوء لا ينتهي، ولكن طالت السقطة وكأنه يسقط من إيفيريست.

اااااااااااااااااااااااااه...

وجد «حسين» نفسه ساقطًا من على السرير مفترشا الأرض بجسده وبصدده إضاءة الأباجورة الساقطة أمام وجهه على الأرض أيضا.. والتي يبدو أنه جذبها معه في سقطته على الأرض أثناء حلمه فأزاحها جانبا بعنف.

وأيقظت صرخته «خالد» النائم بجواره:

في إيه يا «حسين»؟! مالك إيه اللي حصل؟!

استند «حسين» إلى السرير ليساعد نفسه على العودة له مرة أخرى ونجح بالفعل في الجلوس على السرير بجانب «خالد»، ثم جذب زجاجة المياه التي اعتاد أن يتركها على الكوميدينو بجانبه كل ليلة قبل أن ينام، شرب منها على عجالة علها تروي ظمأه وتفيقه من هذا الحلم الغريب، فانسكب بعض من الماء على بيجامته لتزداد معها بيجامته بللا بعد ما تشبعت بعرقه الشديد الذي بدا واضحا للغاية خاصة على السترة العلوية للبيجامة.

أي كابوس هذا الذي حلمت به.. هل هذه فقرة جديدة من هلاوسي.. هل هذا جزء من جنوني وشطحات عقلي الخرب.. أحيانا نرفض الحقائق ونختلق غيرها أن «خالد» محق.. أحيانا بل كثيرا نرفض الواقع لنرتدي عباءة كاذبة مزيفة نصدقها ونقنع أنفسنا بمصداقيتها.. لماذا لم أنظر لحياتي

من قبل.. أنا في الصباح المهندس «حسين» الوقور العنيف الحاد وليلا أنا رجل اللذات.. رجل يتجرع الخمر كالماء والهواء (ويلهو مع النساء كما يخيل إليه) ولا يذكر ربه إلا عندما يحتاج إليه فقط.. لماذا نحيا بشخصيتين دائما.. لماذا لدى كل شخص دائما صندوق ألعابه الماجنة الذي لا يخطر أحدا بمكانه ويستمتع دوما بإخراجه واللعب به خلسة بعيدًا عن أعين الجميع.. وأحيانا حتى عن أعين نفسه.. يا رب ارحمني وانقذنِي من نفسي ومن عقلي.. أيّ دعاء ستلبيه لعبدك النجس الذي لا يلجأ لك سوى في شدته.

قطع «خالد» شروده: نم يا «حسين».. نام وسمّ بسم الله في سرك.

اعتدل «حسين» من جلسته ليستلقي بظهره على السرير مجددا في محاولة بائسة منه للنوم من جديد مسميا بسم الله هامسا في نفسه يا رب.. يا رب.. رحمتك يا رب.. اغفر لي إن نسيت أو أخطأت.

تحسس بيده صدره فلم يجد سلسلته.. فهمس متذكرا:

تعرف يا «خالد» اني مش لاقي السلسلة اللي جابتها لي «ندى» في عيد ميلادي.. وقلبت عليها البيت كله.. وبردو ما لقتهاش.

أجابه «خالد» في هدوء:

هتروح فين بس هتلاقيها هنا ولا هنا.. أكيد انت قلعتها في حتة ونسيت مكانها.

صمت «حسين» ولم يجبه ودمعت عيناه في صمت ثقيل.

جلس «خالد» يقرأ بهدوء وهو يربت على رأسه:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

حينما يسكن قلبك الخوف من ملاقاة ماضيك، حينما تخشى تذكر حقيقة تؤلمك، حينما تجد نفسك وقد وقعت فريسة بين سكين عقلك الذي يفكر مليا

بحثا عن الحقيقة وبين سكين ألسنة الآخرين التي تصفعك دوما بحقيقة لا تقبلها، رغما عن كل الأدلة وعن كل الأوراق.. تبا لتلك الأوراق الكاذبة.. تبا لتلك الألسنة.. وتبا لـ«خالد» وحقيقته المؤلمة.. تبا لـ«سالم العرابي» ونظرته اليقينية إليّ بأنني قاتل ابنته، اخرسوا.. لا أريد أن أعرف الحقيقة لا تقولوها لي.. أنتم كاذبون.. الحقيقة أنا وحدي أعلمها.. أنا وحدي من أعلم ماضيّ وحاضري.. اسعفني أيها العقل الخرب لماذا لا تذكرني أنت؟! لماذا تقف عاجزًا مكتوف اليدين أمام الألسنة التي تنهشني بلا رحمة؟! لماذا لا تملك لسانا مثلهم؟! أنت فقط من أثق به.. أنت فقط من أستطيع تصديق لسانه.. يا رب هذا ذنبي.. هذا خطأي.. وهذا عقابك.. لم تترك لي في النهاية سوى عقل صار كالكأس الفارغة.. رحماك يا رب.. لم يعد لدي خيار آخر سوى ما قاله.. يجب أن ألجأ للعلاج حتى أستعيد «حسين» الذي أعرفه.. هذا هو أملي الأخير.



(٨)

الخانكة

حينما تشعر أن الجنون يتسرب إلى عقلك رويدا رويدا، حينما ترى تلك النظرة في عيون الآخرين، نظرة بها خليط من الشفقة والرعب ـ أكثره منك لا عليك ـ حينما يمنحك جنونك الفرصة لتكتشف الحقيقة، حقيقة كل الشخصيات من حولك، تراهم بينك وبين نفسك على حقيقتهم من دون مساحيق تجميل وابتسامات صفراء تغطي وجوههم الزائفة، فالذين يجدوك دوما لأموالك سرعان ما سيتساقطون أمامك كأوراق الخريف، منتظرين أي نسمة ريح واحدة تبعدهم عنك، لن تجد في ما بعد من يلتف حولك في عملك ولا في سهراتك، لن تجد من يهتم لأمرك.

آن الأوان لتكون ضيفا بالمصحة النفسية كما يطلقون عليها، لكنها في النهاية مهما حمل المصطلح من تجميل الخانكة أو بمعنى أدق مستشفى المجانين.

في الصباح استند برأسه إلى كرسي السيارة بجانب «خالد» الذي قاد السيارة متمهلا، في طريقهما نظر «حسين» مليًا إلى البحر وكأنه لن يراه في ما بعد.

ـ «حسين» أنا اتصلت بـ«غادة» في أمريكا وفهمتها حالتك كويس.

ـ .....

- هي انهارت وقررت فورا انها هتنزل مصر عشان تبقى جنبك.

- .....

- بصراحة أنا فكرت في حاجة كمان.. إنت محتاج لـ«غادة» دلوقتي يا «حسين» أكتر من أي وقت.. لازم حد تثق فيه يمسك لك شغلك ومالك لحد ما تخرج بالسلامة من المصحة.. مش لازم أي حد يعرف بحكاية المصحة دي خالص غير انا و«غادة» وإلا هينهبوك.. لما «غادة» تيجي نبقى نتفق هنقول إيه ولا نعمل ايه.. أنا رأيي نقول انك مسافر سفرية شغل طويلة.

- .....

- ما تخافش المصحة اللي انت رايحها دي من أحسن المصحات النفسية مش في اسكندرية.. في مصر بحالها.. وصاحبها دكتور شاطر قوي وصاحبي.. كان عايش في لندن ورجع عمل المصحة دي.. أنا فهمته حالتك.. وهو كان عايز يشوفك بس قبل ما تروح تقيم هناك.. إعتبر نفسك النهارده في رحلة استكشاف.

- .....

- أنا مش هاسيبك يا «حسين» الا لما تخف.. ما تخافش، نظر له نظرة شفقة وقد امتلأت عيناه بدموع أبت أن تنحدر على وجنتيه.

زار «حسين» المصحة، ولا يدري لما شعر بارتياح لكل شيء بها.. المكان جميل، نظيف هادئ، حتى الدكتور «رامز ياسين».. كان رجلا خمسينيًا ذا وجه مستدير مكسو بحمرة بدا أنه اكتسبها من معيشته وسط أهل لندن طويلا.. يترك ذلك الأثر الطيب في نفسك، وجه هادئ تحبه وترتاح إليه، المصحة أشبه بفندق خمس نجوم أكثر منها مصحة نفسية، حديث بسيط دار بين «رامز» و«حسين» عن طبيعة مرضه، سرد فيها «حسين» تفاصيل حالته باختصار، ويبدو أن الطبيب أيضا قد ارتاح لـ«حسين» وبدا ذلك في نظرته الهادئة إليه، ورده المتواضع على «خالد» حينما أوصاه عليّ.. في عينيا



يا خلود.. ده اخويا الصغير زيك كدا بالظبط ولا إيه يا «حسين»؟!

مر أسبوع واحد قبل أن تصل «غادة» إلى مطار الإسكندرية حيث استقبلها «حسين» و«خالد»، أسبوع فكر «حسين» خلاله في مليون فكرة.. ولكن لأول مرة واتته فكرة الانتحار.. لأول مرة يتفتق ذهنه عن تلك الفكرة.

احتضنته «غادة» بقوة وظلت تقبل خديه باكية مسرعة: وحشتني قوي قوي يا «حسين».

ـ يااااااااه وحشتيني قوي يا «غادة».. قوي..، قالها بارتياح لم يعهده منذ شهور.. ارتياح وجده فقط الآن في حضن أخته، ثم انتبه إلى عدم وجود «كريم»:

ـ أمال فين «كيمو»؟!

ـ لأ ما كانش ينفع ينزل معايا عشان المدرسة وبعدين كان هيلخمني جدا.. فسبته بقى مع باباه ياخد باله منه شوية.

جلسا في مطعم «لابوريه» للأسماك القريب من مطار برج العرب والمطل على البحيرة،

ظل «خالد» شاردا في مشهد البحيرة الخلاب أمامه قبل أن تقطع «غادة» شروده بسؤالها:

«حسين».. إنسى كل اللي فات.. أيا كان اللي حصل.. المهم انت وصحتك دلوقتي.. وانا و«خالد» هنبقى معاك.

ـ أنا عملت لك توكيل رسمي عام عن المجموعة وحسابات البنوك وكل حاجة في غيابي.. هتبقي لايصة شوية في الأول، بس انا معاكي وهافهمك دايما تعملي إيه وتتصرفي ازاي.

ـ توكيل إيه ومجموعة ايه.. كل ده مش مهم.. المهم انت.. هو «حسين» هيروح المصحة امتى يا «خالد»؟!

ـ يعني.. كنا مستنيين بس تيجي بالسلامة.. كام يوم كدا ويروح ان

شاء الله.. كل ما كان بدري كل ما كان احسن.. أنا اقترحت عليه كمان نقول انه مسافر سفرية شغل طويلة عشان ما حدش يحس بحاجة.

ـ دي فكرة كويسة قوي قوي.. وانتم عاملين ايه في البيات مع بعض.

ـ ما بانامش من شخير البيه.. قالها «حسين» مداعبا «خالد».

ـ لا والله.. تصدق أنا ابن كلب اني قاعد معاك ومش راضي اسيبك.. أهي «غادة» جت لك تقعد معاك اهي.

ضحك جميعهم لكنها لم تكن ضحكات رائقة، ضحكات مبتورة تعلم أنها ستقتل بأيدي أحزان قريبة للغاية.

أعد «حسين» حقيبته استعدادًا لترك منزله لـ«غادة» والانتقال إلى المصحة النفسية، تحركوا جميعا في سيارة «خالد» وصلوا بالفعل إلى موقع المصحة، ووقفا جميعا أمام الغرفة التي سيعيش فيها «حسين» مع دكتور «رامز ياسين» الذي أخبرهم أن الزيارة لن يسمح بها خلال أول شهرين فقط، موضحا أن جزءًا من العلاج أن يخرج المريض عن نمطية مسار حياته محاولا الاستجمام واستعادة نفسه، كل هذا أربك «غادة» فنظرت إلى «حسين» خائفة، ثم سألت «رامز» عن إمكانية الاتصال بأخيها فأخبرها أن الاتصال سيكون مرتين فقط خلال كل أسبوع في مواعيد محددة، كم كره «حسين» «رامز ياسين» في تلك اللحظة، كم كره وجهه الهادئ الجاد وطريقته الإخبارية السخيفة غير عابئ بأي مشاعر، ظل «خالد» صامتا مخفيا دموعه خلف نظارته الشمسية السوداء، بينما ظلت «غادة» معلقة عينيها بوجه «حسين» بعد أن أمرهم الدكتور «رامز» أمرا مستترا: يللا بينا يا جماعة نسيب «حسين» يستريح بقى.

ـ هنسلم عليه ونمشي.. قالتها «غادة» بحدة واضحة وقد ضاقت به وبتعليماته البغيضة، اقتربت من «حسين» بعين ملؤها الدموع: خد بالك من نفسك.. أول الشهرين ما هيعدوا هاجيلك انا و«خالد».. وهنتكلم.. هنتكلم على طول ان شاء الله.. جملة كاذبة حاولت بها طمأنة نفسها أكثر من طمأنته وفضحتها دموعها.

ـ ما تقلقيش عليا.. وخدي بالك انتي من نفسك.. حاول أن يبدو متماسكا أمام العالم المجهول الذي سيواجهه وحده تماما من الآن.

أومأت رأسها بالإيجاب حيث لم تعد تقوى على الكلام.

ـ خد بالك منها يا «خالد» لو عازت أي حاجة.. مش هاوصيك.

ـ ما تخافش يا «حسين» في عينيا.. إنت مش عايز أي حاجة؟!

كلاهما قبلاه واحتضنته «غادة» بقوة كادت تعتصره بين يديها، لم يهتز معها شعرة لـ«رامز ياسين» الذي قال:

كفاية كدا يا مدام «غادة» صفعته بعينيها قبل أن تبتعد مسرعة وتبعها «خالد» بنظرة حزينة تعلقت مع عيني «حسين» قبل أن يُوصَد باب الغرفة عليه.

المصحة جيدة.. مرت الثلاثة أيام الأولى بسلام وسط نظام صارم، الجميع يستيقظون في الصباح الباكر، حيث يتناول المرضى إفطارهم معا بقاعة الطعام الكبيرة بالمصحة، الطعام فاخر للغاية ولذيذ، لكن لم يمتلك «حسين» أي شهية للأكل، كان يجلس وسط المرضى متظاهرا بالأكل إلا أنه لم يكن يأكل إلا القليل، ويبدأ المرضى في التحرك جميعا كل في اتجاهه من يذهب إلى غرفته ومن يذهب إلى الحديقة.. ومن تعاونه الممرضة على الدخول إلى الحمام، ساعة بعد الإفطار قبل أن يعود كل مريض إلى غرفته في انتظار طبيبه.. في الثلاثة أيام الأولى لم يأت من يجلس معه، وأخبره «رامز» أن هناك طبيبة مختصة في حالته هي التي من يريدها أن تقوم بعمل الجلسات معه.. لأنه يثق بها ولكنها لن تعود إلا في منتصف الأسبوع إلى أن كانت جلسة «حسين» الأولى معها في اليوم الرابع بعد ثلاثة أيام رتيبة قضاها في غرفته أغلب الوقت هاربا من نظرات المرضى الغريبة، ومن نظرات الأطباء المتفرسة التي تنظر إليه نظرة الصياد إلى فريسته منتظرين سقوطه في شباكهم.

ـ «حسين».. صح أهلا وسهلا.. قالتها بعد أن دلفت إلى الغرفة في

هدوء مادة يدها إلى «حسين» الذي سلم عليها بدوره مبتسما ابتسامة هادئة.
ـ «حسين» أخد الحقن بتاعته النهارده؟!
سألت الممرضة.
ـ أيوة يا دكتور.
ـ طب سيبينا لوحدنا شوية.
ـ حاضر.
خرجت الممرضة تاركة «سارة» معي في الغرفة.
ـ هي دي حقن إيه؟!
ـ دي حقن فيتامينات ومهدئات للأعصاب.. بس مش أكتر.. إحنا هنا هدف المصحة تخليك تستجم تماما لأن ده جزء كبير من العلاج.
ـ طب والفيتامينات؟!
ـ مممممم.. الفيتامينات دي يا سيدي مش كل الناس بتاخدها..
ـ ....
ـ الناس بس اللي فاقدة الشهية واللي مش بتاكل كويس.
قالتها مبتسمة، لم يجبها واندهش من معرفتها بفقدان شهيته.
ـ ما تستغربش أنا كان يهمني اشوفك كويس قبل ما اقعد معاك.. بتاكل ازاي.. بتتكلم مع الناس ازاي.. أنا ما كنتش مسافرة.. ده جزء من طريقة علاجي وعادة مش باقوله لكل المرضى بردو، ثم استطردت واضعة الملف الذي بيدها جانبا: بص انا مش حابة اتعامل معاك من خلال الملفات والورق اللي انا قريتهم كويس جدا.. بس انا عايزة اسمعك انت.
ـ عايزه تسمعي إيه؟!
ـ أي حاجة اللي انت عايز تقوله.. أنا عايزاك تحكي اللي انت حاسه.. أنا عارفة انه مش سهل انك تحكي كدا أي حاجة لواحدة ما تعرفهاش بس حاول وصدقني مش هتحسني غريبة بعد شوية.
ـ أقول لك على حاجة ما حكتهاش لمخلوق.
ـ قول.

ـ أنا فكرت اموت نفسي لما ابتديت اشك اني قتلت «ندى».

ـ أعوذ بالله.. فكر من الناحية الإيجابية.. هل انت حاولت تموتها فعلا؟!

ـ مش فاكر أي حاجة.. أو الأصح انا كنت فاهم حاجة وطلعت فاهم كل حاجة غلط واللي حصل فعلا حاجة غير الحقيقة اللي في دماغي.. أنا تعبان، وضع يده على رأسه ناظرا إلى سقف الغرفة.

ـ «حسين».. لما فكرت تموت نفسك؟! فكرت تموت نفسك ازاي؟!

ـ إيه؟!

قالها مستنكرا وقد تبدلت ملامحه وكساها غضب خافت بعد أن فهم ما ترمي إليه:

يعني إيه؟!

ـ يعني فكرت تموت نفسك بالسم مثلا؟!

حاصرته بجدية حتى لا تعطيه الفرصة للفرار.

ـ لأ انا ما فكرتش في الطريقة.. بس الفكرة نفسها خطرت في بالي.

ـ طيب.. إيه تاني فكرت فيه غير الانتحار؟!

ـ .....

ـ طب انت فاكر ايه عن «ندى»؟!

ـ كانت بتحبني جدا جدا وانا كمان بس لما عرفت انها ما بتخلفش معاملتي ليها اتغيرت.. وبقيت اخونها واسهر وارجع لها وش الصبح وانا شارب.

ـ وهي فعلا ما بتخلفش؟

ـ هز رأسه بالنفي في أسى.. التحاليل اللي لقيتها بتقول ان انا اللي عقيم وان «ندى» ما عندهاش أي حاجة تمنعها من الخلفة.

أربع جلسات متتالية اطمأن فيها «حسين» للحديث أكثر مع دكتورة «سارة».. كان ينتظر موعد الجلسة بفارغ الصبر.. كانت تسمعه أكثر مما تحدثه.. دائما هادئة تستمع باهتمام وتلقي بأسئلتها في هدوء يدفع متلقيها لإجابتها بسلاسة دائما.. حدثها عن نفسه.. روى لها عن حلمه الغريب..

روى لها عن بداية علاقته بـ«ندى» وكيف كانا زوجين مثاليين إلى أن كان موعد الجلسة الخامسة وأثناء الجلسة، قطع حديثهما صراخ مدوٍّ أتى من الناحية الأخرى من المصحة لتخرج مسرعة سائلة الممرضة: في إيه؟!

قالت الممرضة اللاهثة:

إلحقينا يا دكتورة «سارة».. «عمر» ماسك سكينة وحاططها على رقبة عم «فايق» وبيقول انه هيقتله قبل ما هو يقتله.

جرت «سارة» متجهة إلى موقع «عمر» ولم يستطع «حسين» ـ كغيره من المرضى والأطباء ـ السيطرة على فضوله، فخرج متتبعا «سارة» إلى أن وصلت لمكان «عمر» ذلك المريض ذي الجسد الضخم القوي البنية.. نظرت إليه وقد ظلت على مسافة منه مثلها مثل كل الواقفين، بينما صرخ «عمر»: هاهاهاها اللي هيقرب لي هادبحه.. بقى لك شهور عايز تقتلني انا عارف.

ـ «عمر».. سيب عم «فايق».. سيبه وانا هابعده عنك وهاحميك منه.

ـ مش هتقدري يا دكتورة.. ده ممكن يقتلك انتي كمان.

ـ «عمر».. إسمعني.. عم «فايق» مش عايز يقتلك.. سيبه باقول لك.

وقف الجميع مذهولين قبل أن يقفز «حسين» منقضًا على «عمر».. لتسقطه تلك الهجمة القوية غير المتوقعة أرضًا مع «حسين» و«فايق» لينفلت عم «فايق»، ويقع السكين من يد «عمر»، وهنا ينقض الأطباء على «عمر» ليكبلوه بينما صرخت «سارة» بعنف في أحد الممرضات التي صارت بجانبها:

فين الممرضات اللي مسؤولين في الكوليدور بتاع «عمر»؟!

ـ كلهم موجودين يا دكتور بس اصل هما....

ـ كلهم هيتجازوا.. أنا هابلغ دكتور «رامز» بالتهريج اللي بيحصل هنا ده.

اطمأنت على «حسين» وعلى أن مكروهًا لم يصبه، وأمرت بإرسال «عمر» إلى غرفته سريعًا ومراقبته بعد إعطائه كل حقن المهدئات اللازمة.

وأكملت حديثها في غرفة «حسين».

ـ قتل مراته وولاده الاتنين من تلات سنين.. عنده شيزوفرينيا.. كان بيتهيأ له ان مراته وولاده عايزين يقتلوه.. ولع في البيت كله وهم نايمين.
ـ يا ساتر يا رب.. دايما عنده إحساس ان في شخص بيراقبه وعايز يقتله.. وكان آخرهم عم «فايق».
ـ هو انا ممكن ابقى كدا؟! يعني ممكن اكون قتلت «ندى»؟! ممكن اكون عملت كدا وانا مش حاسس؟!
ـ بص يا «حسين».. في طريقة العلاج بالـtelepacy.
ـ يعني إيه؟!
ـ يعني بالتنويم؟! ده أسلوب من أساليب علاج الطب النفسي.. فرويد هو يعتبر مكتشف الطريقة دي في العلاج، وطورها واتكلم عنها في كتابه التحليل النفسي.. هي بتبقى جلسة كدا لها طبيعة خاصة شوية وهتفيدنا قوي في العلاج.. وهتساعدك بشكل عام تخرج كل اللي جواك وكل اللي انت حاسس بيه.
ـ يعني لو قتلتها هاقول اني قتلتها؟!
ـ مش بالضبط.. بس هي بتساعدك انك تشوف بشكل أوضح.. بس قل لي إيه الشجاعة دي كلها؟!
ـ أنا أصلي خفت على الراجل الغلبان ده يحصل له اي حاجة.
ـ الحمد لله جت سليمة.. ارتاح النهارده وبكرة هنكمل.
في اليوم التالي مكالمة مع «غادة»:
ـ «حسين».. إزيك يا حبيبي.. وحشتني قوي انت كويس؟!
ـ أنا الحمد لله يا «غادة» ما تقلقيش.. المصحة كويسة جدا والناس كويسة الحمد لله.. إنتي عاملة إيه في الشغل؟
ـ محتاسة يا «حسين» بس «خالد» بيساعدني.. هو مش معايا دلوقتي بس كان نفسه يكلمك قوي.
ـ المهم خللي بالك على نفسك.
ـ حاضر يا حبيبي.. إنت مش عايز أي حاجة ابعتها لك؟!

- ربنا يخليكي يا «غادة».. خدي بالك من نفسك انتي بس.

- حاضر يا «حسين».. ما تقلقش عليا.

- مع السلامة.

- مع السلامة.





(٩)

اختفاء

لا يمكن أن نتوقع ماذا سوف يحدث لنا بين ثانية والأخرى، من المستحيل أن نتكهن بمستقبلنا ونراه بأعيننا، إن الله وحده علام الغيوب، والدنيا هي التي تسرد لك قصتك مثيرة فضولك لأقصى درجة تزيدك رغبة في معرفة المزيد، لكنك دوما مكتوف اليدين أمامها وكأنها كتاب كبير يقلب صفحاته بنفسه أمام عينيك من دون أي إرادة منك على سبق الأحداث وتقليب الصفحات ومعرفة ماذا تخفيه باقي الصفحات إليك.. أنت الممثل دائما الذي يلعب الدور الذي تكتب الدنيا سطوره إليه.. ودائما جاهل لا تعلم الجملة التي ستسطرها لك لتؤديها ولا تعلم عند أي سطر ستنتهي الحكاية.

أكتوبر ٢٠١٠

ليلة باردة تهب فيها رياح الخريف على الإسكندرية بقوة تحرك أوراق الشجر الرابض في المستشفى، فيدغدغ أذن «حسين» حفيف الشجر الرائع الممزوج بصوت صفارات الهواء وكأن السماء تنذر بشيء ما.. خطر وشيك مجهول.. لا يدري لما قام «حسين» من سريره وسار خارج غرفته في طرقات

المستشفى ولمحته الممرضة التي جرت خلفه تسأله ما به؟! فأجابها أنه يريد أن يتمشى فقط في الحديقة، فوافقت على طلبه، وصلا إلى الحديقة لكن الرياح كانت شديدة للغاية.

ـ على فكرة انت أغرب مريض قابلته.

ـ أنا مش مريض!

قالها بلهجة مقتضبة.

ـ ماشي يا سيدي.. طب في حد ينزل يقعد في الجنينة في الجو ده؟!

ـ أنا.

ساد الصمت لبرهة قبل أن يظهر عم «فايق»، الرجل الذي أنقذه «حسين» من براثن المريض «عمر».. عم «فايق» رجل خمسيني ذو بنية قوية ونشيط للغاية رغم سنه الكبير.. دائما يتحرك في المستشفى في كل اتجاه.. مع الأطباء والمرضى والعاملين.. عم «فايق» هو العلامة المميزة لمصحة «رامز ياسين».. أقبل عم «فايق» على «حسين» والممرضة بأسارير متهللة.

ـ إزيك يا أستاذ «حسين».. أنا مش عارف اشكرك ازاي على حياتي اللي أنقذتها امبارح من إيد ابن الرفضي ده.

ـ رفضي ايه بس يا عم «فايق».. إيه الكلام ده بس.. حمد الله على سلامتك.

ـ الله يسلمك.. إنتو إيه اللي منزلكو الجنينة في الجو ده؟!

ـ أبدا يا سيدي.. أستاذ «حسين» مخنوق فقال اما انزل آخد لي برد انا والغلبانة النبطشية اللي معايا.

ـ هاهاهاها طب خلاص انا هاقعد معاه يا «سماح» يا بنتي روحي انتي وانا هاطلعه أوضته.

ـ ماشي الله يكرمك يا عم «فايق».. بس والنبي ما تغيبوش يا عم «فايق».

انصرفت مسرعة مختفية داخل المصحة تاركة «حسين» و«فايق» جالسين على أريكة قريبة.

- إنت إيه يا ابني اللي جابك هنا؟!
- بيقولوا اني قتلت مراتي يا عم «فايق».. خرجت جملته بمرارة رهيبة وكأن صبارًا قد زرع في حلقه، وانا مش فاكر أي حاجة.
- ربنا كبير يا ابني.. ورحمته واسعة.. إوعى تيأس من رحمته.
- ونعم بالله يا عم «فايق».. ونعم بالله.
هب عم «فايق» واقفا:
ما تيجي نتمشى شوية انا ما ليش روح للقعدة دي.. أهو حتى نتدفى شوية من الهوا ده.
- ماشي يللا بينا.. إنت بقى لك كتير هنا يا عم «فايق»؟!
- من عشر سنين.. من ساعة ما رجع دكتور «رامز» من انجلترا.
أخذهما الحديث مع أرجلهما لممر هادئ بحديقة المصحة بعيدًا عن الأنظار، نظر عم «فايق» بحرص لكل زوايا المكان، ثم جذب حقنة وضعها في جيب سترته ليخرجها مسرعا منقضا على «حسين» داسا إياها في رقبته بمهارة طبيب عتيد.. برقت عينا «حسين» في تلك اللحظة وظل ينظر إلى عم «فايق» باندهاش قبل أن يسقط أرضا مغشيا عليه.
تحرك عم «فايق» مسرعا وحمل «حسين» على كتفه وسار به إلى نهاية الممر، ثم وضعه جانبا والتقط حبلا وجوالا خاويا وشريطا لاصقا وضعهم من قبل في هذا المكان.. قيد جسد «حسين» وقدميه ويديه بالحبل، ثم وضع على فمه شريطا لاصقا وقام بإخفائه في الجوال الخاوي وجذب الجوال وسط الأشجار المتراصة في الممر فلم يعد له أثر وسطها، ثم قام بربط الجوال كاملا بالأشجار.. ثم دفن الحقنة سريعا تحت إحدى الأشجار، وسار مجددا لنهاية الممر وحاول أن يلقي نظرة من بعيد على مكان الجوال فلم يلحظه، سار بخطى ثابتة نحو مكان معين بالحديقة غير واضح بشكل ما لكن من يمر داخلا أو خارجا من الحديقة سيلحظه بالتأكيد، اطمأن أن أحدا لا يراه الآن من موقعه بحث بعينيه عن طوبة في الحديقة ووجد ضالته المنشودة فالتقطها وضرب بها أسفل رأسه بقوة وقام بإلقاء نفسه على الأرض.

في هذه الأثناء غلب «سماح» النوم، فنامت أثناء جلوسها على الكرسي قبل أن تفيق من غفوتها لتجد الساعة وقد وصلت إلى الثالثة والربع فجرا، هبت واقفة متجهة ناحية غرفة «حسين» فتحتها فلم تجده فهرولت إلى الحديقة بحثا عن «حسين» وعم «فايق».. منادية على كليهما.. من دون جدوى قبل أن ترى عم «فايق» ملقى على الأرض فجرت نحوه:

ـ عم «فايق».. عم «فايق».. إيه اللي حصل يا عم «فايق».

ـ ااااه.. ااااه.. ـ تأوهات كاذبة أصدرها وهي تحاول أن ترفع جسده عن الأرض.

ـ في إيه يا عم «فايق»؟! «حسين» فين؟!

ـ ااااااه.. ضربني.. ضرب.. ضربني على را.. على راسي وجرى ناحية السور.

ـ يا نهار اسود.. يا نهار اسود.. بتقول إيه يا عم «فايق»؟! «حسين» هرب.. يا خيبتك يا «سماح».. يا مصيبتك يا «سماح» يا دي الليلة اللي مش فايتة، تركت عم «فايق» مهرولة ناحية البوابة الرئيسية للمصحة منادية أفراد الأمن: يا «برعي» يا «عادل» الحقوني في مريض ضرب عم «فايق» وهرب.. إجروا دوروا عليه حوالين المستشفى بسرعة.

في اليوم التالي صباحا

جلس «رامز» مع «سارة» في مكتبه في حالة رعب وقلق من اختفاء «حسين الصاوي» المريض الذي لم تتعد مدة إقامته بالمصحة أسبوعا واحدا قبل أن يختفي منها، قبل أن تدخل «سماح» لغرفته بعد أن طرقت بيدها الباب مرتين.

ـ إنتي عارفة الراجل ده مين وأهله ممكن يعملوا فينا إيه؟! وديني وما أعبد لا تكوني متحولة للتحقيق انتي وكل الهوانم اللي كانوا معاكي نبطشية والحمار اللي اسمه عم «فايق» ده، قالها «رامز» بغيظ برز في كل عروقه المنتفخة.

ـ إزاي يا «سماح» توافقي على نزوله أصلا الجنينة من غير ما تاخدي إذن الدكتور «رامز» ولا إذني؟! مش انا الدكتورة المشرفة على الحالة.. إزاي

تتصرفي من دماغك؟! قالتها «سارة» بعصبية مفكرة في أمر «حسين».

ـ والله يا دكتورة «سارة» أنا قلت طالما انا معاه خلاص مش هيحصل حاجة.. والله يا دكتور «رامز» ما اعرفش انه ناوي على كدا.. والله ما اعرف انه ناوي على كدا.

ـ خلاص shut up shut up.. إطلعي برة دلوقتي يا «سماح».. إطلعي برة وما تتنقليش من برة لحد ما الشئون القانونية ييجوا يحققوا معاكي هنا قدامي.

خرجت بالفعل وظلت «سارة» صامتة مراقبة دكتور «رامز» الذي بدا متوترا للغاية وظل يخبط بيده على المكتب في انفعال.

وفي مدخل المصحة وقفت سيارة النقل الملحقة بثلاجة صغيرة والخاصة بنقل الأطعمة إلى المستشفى أسبوعيا، نزل منها سائقها واثنان من العاملين معه استعدادا لتفريغ شحنات الأطعمة وأخذ الخضراوات والفواكه الفاسدة إذا وجد من الشحنات السابقة، سائق الشاحنة هو «فتحي» صاحب الأسنان الصفراء والأظافر المتسخة دائما، له لحية خفيفة، قال بلهجة وقحة:

طب خلصوا انتو بقى عقبال ما اروح انا اعمل زي الناس وراجع لكم.

ـ ما تخش يا عم حمام المستشفى ولا انت لازم تطرطر في الجنينة.. وتجيب لنفسك وتجيب لنا الكلام.. ما كفاكش التهزيء المرة اللي فاتت.

ـ وانت مال أمك انت.. أنا باحب أسقي الزرع.. قالها مبتسما في وقاحة.

ـ وبعدين ما تشتغل معانا يعني.. ولا انت على راس ابوك ريشة.

أصدر شخرة طويلة:

ـ والله ده مش شغلي بروح امك.. وبعدين ما انا جاي سايق وطالع ديني بقى لي ساعتين في أم الزحمة.

ـ إنت بتشخر لي عشان باقول لك انضف وخش الحمام يا ابن المعفنة.

ـ معفنة مين ياض يا ابن ال...

في لحظات حدثت جلبة كبيرة أمام المستشفى ونشبت معركة عنيفة بين السائق والعامل اشتبكت فيها الأيدي بعنف وتراشقا بأفظع الألفاظ

وسط عاملي الأمن بالمستشفى الذين حاولا جاهدين الفض بينهما طوال ثلث ساعة تقريبا.. اختفى خلالها العامل الآخر إذ كان قابعا في ذلك الممر غير الملحوظ خاصة وسط انشغال الجميع بالمعركة القائمة أمام المدخل، جذب الجوال برفق إلى أن اقترب به من سيارة النقل الصغيرة ووضعه على مقربة من باب ثلاجتها المفتوح، ثم اندس وسط رجال الأمن للفض بين صديقيه بعين حذرة لم تفارق الجوال لثانية.. بدأت الأجواء تهدأ رويدا رويدا فارتفع صوته وسط الجميع:

ـ خلاص يا جدعان صلوا ع النبي بقى.. يلاااا يا «كرم» تعالى خد شوال الخضار البايظ ده حمله ع العربية.. وانت يا عم «فتحي» إهدا كدا الله يبارك لك وروق.. مش طالبة خناق وفرهدة.. الواحد طالع روحه خلقة.

ـ يا عم مانتاش شايف.. وانا عملت له حاجة.. ده هو اللي بيجر شكلي.

ـ خلاص يا عم «فتحي» خلاص.. خد ولع سيجارة بقى.. خلاص يا رجالة كله تمام.. ما نجيلكوش في حاجة وحشة.

انصرف الجميع وتم تحميل الشحنة المطلوبة بنجاح من دون أن ينتبه أحد إلى أمر تلك المعركة الزائفة بين العامل والسائق الذي انطلق خارج المستشفى مسرعا وظل يضحك بصوت عال مع العاملين الذي ردد أحداهما:

سبكتوها يا ولاد الكلب.. ده انتو لو ممثلين ما كانتش هتطلع الخناقة كدا.

ـ عيب عليك يا ريس هو احنا بنلعب.. إحنا ما نقلش حاجة عن الممثلين اصاحبي.

ـ بس انا كنت مرعوب حد ياخد باله من حكاية الشوال ويقول ان المرة دي أصلا ما كانش فيه شولة خضار بايظة ولا حاجة.

ـ الحمد الله عدت.

ـ طب دلوقتي اللي هيستلم الراجل اللي معانا ده هنقابله فين ولا هنعمل إيه؟!

- هنقابله على طريق المحور في حتة كدا متدارية في المكس هنسلمه الأمانة هيسلمنا شنطة الفلوس.. عم «فايق» مرسيني ع الحوار كله.

تمت عملية التسليم والتسلم بهدوء وانتقل الجوال إلى الحقيبة الخلفية لسيارة فارهة بها أربعة رجال فارعي البنية مرتدين نظارات سوداء وبذات رسمية سوداء أيضا.. أضفت عليهم انطباعا أن كلهم يحملون نفس الملامح وانتقلت السيارة لمصحة الأمل.. مصحة في منطقة نائية بأطراف مدينة الإسكندرية.

نزل من السيارة أحد الرجال الأربعة فاتحا الحقيبة الخلفية للسيارة ليخرج «حسين الصاوي» منها ومن الجوال وليهبط طبيب نحيف غريب الوجه، ملامحه تنذر بشر كامن في تلك النفس البشرية.

- الأمانة اهي.. الباشا بيقول لك مش هيوصيك، قالها الرجل صاحب النظارة السوداء بينما هو ممسك بالتليفون.

- طمنه وقل له في الحفظ والصون وكل اللي اتفقنا عليه هيحصل.. قول للباشا احنا عينينا ليه.

في تلك الأثناء بدأت التحقيقات مع الممرضة «سماح» وعم «فايق».

«سماح»: هو اللي حصل انه قام بالليل وخرج من الأوضة..وقال لي انه عايز ينزل يتمشى.. أنا استغربت انه عايز ينزل يتمشى في الهوا ده.. وطبعا عشان ما ينفعش يتحرك كدا لوحده حسب تعليمات الدكتور «رامز» لينا على كل المرضى.. نزلت معاه واتمشينا في الجنينة شوية وظهر عم «فايق» ولما لقاني بردانة من الهوا الجامد اللي كان برة.. قال لي ادخل انا المستشفى وهو هيقعد مع «حسين» شوية ويجيبه ويطلع.. طلعت المستشفى وقعدت في مكتب الإشراف في الكوليدور وغفلت وانا قاعدة، وفقت فجأة باضرب بعيني في الساعة لقيتها تلاتة وشوية.. دخلت أوضة «حسين» ما لقيتهوش فنزلت اجري ع الجنينة وأول ما خرجت قعدت أنده على عم «فايق» وعلى «حسين» وفجأة لقيت عم «فايق» مرمي متكوم ع الأرض.. جريت عليه قال لي ان «حسين» خبطه على راسه بحاجة وجرى ناحية السور.. صرخت

وندهت على بتوع الأمن يدوروا عليه ويلحقوني.. ده كل اللي حصل.

«فايق»: أنا كنت ماشي جنبه باتكلم معاه عادي.. فجأة خدني على خوانة وضربني على دماغي ضربة جامدة وقعتني وآخر حاجة فاكرها إني شفته بيجري ناحية السور.. وأغمى عليا ما فقتش غير لما جت «سماح» وابتدت تصرخ بعد ما قلت لها اللي حصل.

«سارة»: «حسين» من أغرب الحالات اللي قابلتها.. وأنا ما حستش أن عنده الميول العنيفة دي أو عنده نية للهرب خالص.. بالعكس.. ده كان مستجيب معايا للعلاج في الكام جلسة اللي عملناهم مع بعض.. هو هنا بقى له نحو أسبوع ونص تقريبا.. ما اتصرفش فيهم أي تصرفات مش طبيعية.. بالعكس ده أنقذ عم «فايق» من إيد مريض اسمه «عمر» كان عايز يموته.. أنا مش فاهمة الحكاية دي وحاسة في حاجة غلط.

بعد يومين من اختفاء «حسين الصاوي» من مصحة «رامز ياسين» قلقت «غادة» خاصة بعد مرور موعد المكالمة من دون أن يحدثها أخوها.. وزاد قلقها بعد أن علمت من «خالد» أن دكتور «رامز» لا يجيب اتصالاته، قررت التوجه مع «خالد» على الفور إلى المصحة، دلف كلاهما إلى ردهة الاستقبال يسألان عن «رامز» فانتبهت «سارة» التي كانت واقفة بالقرب منهما إلى هيئة «غادة» الأنيقة وطلة «خالد» المميزة فتوجهت نحوهما مرحبة:

أهلا يا افندم أي خدمة؟!

ـ آه من فضلك كنت عايزة اقابل الدكتور «رامز ياسين».

ـ هو الحقيقة الدكتور «رامز» عنده ميعاد برة المستشفى ولسه ما وصلش بس هو قدامه نص ساعة بالكتير ويكون هنا.. أنا دكتورة «سارة» أهلا وسهلا بيكم.. في أي خدمة أقدر اقوم انا بيها لو حابين أو لو حابين تنتظروا دكتور «رامز» لحد ما يوصل؟

ـ أيوة انا جاية باسأل عن اخويا «حسين الصاوي».

ـ مين؟! قالتها «سارة» متفاجئة وقد امتقع لون وجهها تماما.

ـ هو جالكم المستشفى الأسبوع اللي فات والحقيقة كان الاتفاق ان هيبقى

مافيش مقابلات بيننا وبينه لمدة شهرين على أساس ان هيبقى فيه مكالمتين كل أسبوع بس الحقيقة ميعاد المكالمة اللي فاتت عدى واحنا قلقنا عليه.

ـ ده غير ان انا حاولت اتصل بدكتور «رامز» اكتر من مرة بس هو مش بيرد على تليفوناتي، قالها «خالد» بغيظ.

ـ لو سمحتي أنا عايزة أشوفه وأرجوكي ما تقوليليش ممنوع وتعليمات المستشفي.. تعليمات المستشفى دي مش قرآن.

ـ إتفضلوا معايا نتكلم في المكتب جوه بعد إذنكم.. مش هينفع نقف نتكلم هنا وفي حاجة مهمة لازم تعرفوها.

في هذه الأثناء لمحت إحدى الطبيبات المقربات لدكتور «رامز» الموقف كاملا ودخول «سارة» المكتب مع «غادة» و«خالد» اللذين رأتهما من قبل وتعرفهما جيدا، فاتصلت بدكتور «رامز»: ألو.. أيوة يا دكتور انت فين؟! أهل «حسين الصاوي» هنا في المستشفى و«سارة» شكلها هتقول لهم.. لأ لسه داخلة معاهم المكتب دلوقتي.

«سارة»: أنا الدكتورة السينيور المشرفة على حالة «حسين».. في الحقيقة في خبر مهم لازم تعرفوه.. «حسين» هرب من المستشفى يوم السبت بالليل.

«غادة»: إيه؟! هرب ازاي؟! إيه اللي انتي بتقوليه ده؟!

«خالد»: هرب يعني إيه؟!

«سارة»: للأسف هو ضرب العامل اللي كان معاه في الجنينة بحاجة على راسه وهرب.. هو ده اللي حصل.

توترت «غادة» تماما وهبت واقفة تصرخ بغضب:

يعني إيه هرب من مستشفى كبيرة ولها اسمها.. أومال طقم الممرضات والسيكيوريتي اللي برة دول كلهم بيعملوا إيه لما مش قادرين يخلوا بالهم من مريض؟!

تدخل «خالد» محتدا:

وازاي دكتور «رامز» ما يبلغنيش بحاجة زي كدا! وديني لأقفلكم المستشفى دي.



عقبت «غادة»:

أيوة احنا لازم نتصل بالبوليس حالا.. أنا مش مصدقة.. مش مصدقة ازاي يهرب وهو لسه ما بقى لوش أسبوع ازاي يعني.. إلا لو انتو عملتوا فيه حاجة بقى.

«سارة»: أرجوكم اهدوا لو سمحتوا أنا عارفة انه خبر صعب.. وانا نفسي مستغربة ازاي هرب.. خصوصا انه كان مرتاح جدا هنا وكان سعيد بجلسات العلاج جدا.. وصدقوني أنا قلت الكلام ده في التحقيق وكمان دكتور «رامز» عمل بلاغ في النيابة امبارح عن هروبه وأثبت الواقعة.

«غادة»: وانتو ازاي يا ست هانم.. ما تبلغوناش بحاجة زي دي.. إنتم لا يمكن تكونوا مستشفى انتو طابونة.. فرن عيش.. أي حاجة تانية غير مستشفى.. قلت لك يا «خالد» أنا مش مرتاحة للمكان ده كله.

«سارة»: أرجوكي اهدي يا مدام.. أنا مقدرة مشاعر حضرتك جدا وباذن الله هو أكيد هيحاول يتصل بيكم.

وفي تلك اللحظة دخل دكتور «رامز» وقد كسا وجهه المستدير حمرة شديدة وقال بهدوء:

أهلا ازيك يا «خالد».

«خالد»: إيه يا دكتور.. إيه التهريج اللي بيحصل هنا ده.. يعني إيه «حسين» يهرب؟!

«رامز»: أنا باعتذر جدا وباعتذر اني ما بلغتكمش بس الحقيقة الحكاية حصلت فجأة واحنا من ساعتها مش بننام.

«غادة»: وديني ما هاسكت ع التهريج ده وهافضح التهريج اللي بيحصل في المستشفى دي.. فالح بس تقول لي قواعد وشهرين ولو سمحتي يا مدام «غادة».. يا أخي روح اتشطر على شوية العاهات اللي انت مشغلهم عندك الأول.

«رامز» باقتضاب:

من فضلك مافيش داعي للكلام ده.

«غادة»: فعلا مافيش داعي فعلا.. يللا يا «خالد» يللا من المكان المقرف ده... اقتربت من «رامز» ووقفت بصدده، ثم قالت بصوت منخفض نوعا ما لكنه مسموع:

أقسم بالله لاكون قافلة لك البتاعة دي اللي بتقول عليها مصحة.. ما بقاش «غادة الصاوي» لو ما قفلتهالكش يا «رامز» يا «ياسين» انت والدكاترة الكفتة اللي مشغلهم معاك.. خرجت مسرعة من المكتب قبل أن ينظر «خالد» نظرة لائمة لـ«رامز» أحنى على إثرها «رامز» رأسه إلى أسفل مما أربك «سارة» للغاية وانصرف بدوره من المكتب خلف «غادة».

جلست «غادة» في السيارة صامتة بجانب «خالد» لا تتفوه بكلمة، وكأن الكلمات تزن أطنانا على لسانها الذي لم يعد يقوى حتى على حمل تلك الكلمات والخروج بها من فمها، ظلت مستندة برأسها إلى المقعد ناظرة إلى الطريق في شرود بوجه جمدت ملامحه تماما.



(١٠)

قطر الحياة

الدنيا مثل القطار تجمع أناسًا من كل لون معا لتفرقهم في نهاية الطريق، تقذف بشخصيات في طريقنا فجأة، ثم تخفيهم وسط الزحام من جديد، منهم من يترك أثرا كبيرا بداخلنا وتظل ذكراه خالدة، ومنهم من يمر مرور الكرام فلا نتذكره على الإطلاق.

لقد قررت الدنيا أن تلقي في طريقي بشخصيات جديدة لتسطر لي تفاصيل جديدة في حياتي، فصولا أخرى من الدوامة التي أحياها، دوامة أبت أن تغرقني وأبت أن تلفظني فظللت أسيرها طويلا، أدور في فلكها بلا وعي.. بلا أمل.. بلا روح.

حكاية صفا

أحيانا الظروف تكون أقوى منا جميعا وتجعلنا نتلون ونرتدي ألف قناع لكي نستطيع أن نحيا وسط الغابة الموحشة المسماة بالدنيا.. ولكن هل الظروف مبرر كاف للتلون وارتداء الأقنعة؟! هل الظروف سبب كاف لتعليق أخطائنا عليها مبررين لأنفسنا كل أفعالنا الخاطئة وانحرافاتنا بحجة الظروف والاضطرار والاحتياج؟! كلها كلمات لا يعرف معناها إلا من ذاقها وذاق وقع كل منها

في نفسه، مهما شعر بك الآخرون مهما شعروا لن يشعر بمأساتك سواك.

العاشرة صباحًا حي اللبان

خرجت «شادية» من منزلها المتواضع بحي اللبان.. منزل قديم متهالك يقع في حارة ضيقة متفرعة من شارع غير رئيسي بين الكثير من ورش الحرفيين وعلى أول الشارع مقهى يجتمع فيها الشباب والرجال من أهل الحي، «شادية» فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها تتمتع بجمال فائق، يلفت انتباه كل من يراها دائما وجهها البشوش، وابتسامتها الساحرة، دائما ما تتعلق عيون شباب الحارة بـ«شادية» في خروجها ودخولها إلا أن كل من بالحارة كان يحترمها وكانت علاقاتها طيبة بالجميع، كما أن ملابسها الواسعة دائما وحجابها كان يفرض على الجميع احترامها.. الحجاب هو جواز المرور في تلك المناطق وغير ذلك تصبح أي فتاة مارلين مونرو أمام شباب الحي الأعزب معظمه، كما كانت «شادية» تتعامل مع الجميع بطريقة تلقائية تماما جعلتها محبوبة من كل أهل الحارة.. «شادية» ممرضة، تعمل بمستشفي خاص بمرتب متوسط، وهي العائل الوحيد لأسرتها بعد أن توفى والدها ومرضت والدتها إذ صارت هي رب المنزل والعائل لأمها وأخويها الاثنين «حسام» خريج كلية الحقوق الذي لم يجد أي عمل بعد تخرجه وسار المقهى ملاذه الوحيد و«وردة» طالبة الثانوية العامة.. «شادية» أحيانا تخرج من المنزل في الصباح وأحايين أخرى تعود إلى المنزل في الصباح لا تخرج ولا تعود إلا في الصباح فطبيعة عملها تقتضي مبيتها في المستشفى ما بين ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع على الأكثر.

«سلام عليكم يا أم عصام» ألقت تحية سريعة على بائعة الخضراوات المستوطنة بالحارة منذ سنوات فردت المرأة التحية، ومرت «شادية» أمام ورش الحرفيين الذين دوما يمتعون أنظارهم بوجه «شادية» خلسة من دون مضايقتها أو محاولة معاكستها، وحده المكوجي «رضا» هو من كان يحاول دائما معاكستها.. لكنها كانت تصد معاكساته بذكاء وظهر «رضا» ليقف أمام

محله بعد أن لمح قدومها من أول الحارة.. ثم قال وهي مارة أمامه بتمهل منتظرة كلمة معاكسته اليوم:

«صباح الفل يا شادية.. قلبي انكوى بقى يا بت».

ـ اههحح.. بخ عليه ببخاخة المية اللي بتبخ بيها ع الهدوم يمكن تنطفي ناره زيها.

ـ مافيش ميه محوأة معاه يا «شادية».. ما تحني عليا بقى ووافقي على جوازنا يا «شادية».

ـ ما قلنا الحدوتة دي مش هتنفع يا «رضا» خلصنا بقى.. باقول لك إيه خلص المكواة والواد «حسام» هيعدي ياخدها منك بعد الضهر.. سلام.. وبردو ابقى بخ على قلبك شوية ميه.. يمكن تبرد نارك يا اخويا.

سارت «شادية» مسافة لا بأس بها حتى تستقل الميكروباص لمنطقة سموحة حيث تقع المستشفى مسحت عرق وجهها بمنديل كانت تمسكه بيدها واستقلت الميكروباص إلى المستشفى، مر يوم عملها بسلام إلى أن حان موعد رحيلها إذ أنها لن تبيت في تلك الليلة خرجت في الثامنة مساءا واتجهت نحو المركز التجاري زهران ودلفت إلى أحد الحمامات بالمركز التجاري أغلقت الحمام وخلعت حجابها في عنف كادت معه أن تمزق تلك الطرحة التي لا تحبها.. ثم أخرجت ملابس من حقيبة يدها الكبيرة جينز أزرق ارتدته سريعا وتي شيرت ضيق أبرز مفاتن جسدها التي توارت خلف الملابس التي خلعتها منذ لحظات، ثم بدأت في وضع المساحيق على وجهها وحررت شعرها من ربطته لينسدل على كتفيها في بهاء وخرجت من الحمام بعد أن تبدل شكلها تماما، ثم خرجت إلى الشارع تسير جيئة وذهابا على مهل، وسارت في اتجاه السيارات بجانب الرصيف حتى تلفت انتباه القادم من الخلف وبالفعل توقفت لها سيارة بها شابان ركبت معهما على الفور بعد حديث قصير وإلحاح من الشابين لم يطل كثيرا.

تلك هي «شادية» باختصار ممرضة صباحا وفتاة ليل مساءا.. لم يكن مرتبها الزهيد ليكفيها هي وأمها وإخوتها.. لم يكن أمامها طريق آخر غير ذلك.. طريق سهل وسريع للوصول إلى المال الذي يعينها على المعيشة هي وأمها.. إنها تتذكر جيدا أول مرة لجأت لتلك الطريقة منذ سنوات بعد وفاة والدها ومرض والدتها بالكلى واحتياجها للغسيل الكلوي مرة كل أسبوع.. وازدياد متطلبات إخوتها.. كل هذا لم يكن من الممكن توفيره بمرتب المستشفى الزهيد.. كم عذبها ضميرها أول مرة.. لكن سرعان ما خمدت نيران ضميرها رويدا رويدا.. أخمدتها هي بتبريرها الدائم لنفسها.. أخمدتها بالوقت والاعتياد.. لم تتصور يوما أن تكون «صفا» فتاة الليل كما تطلق على نفسها.. ولم يكن هدفها مما اقترفته أن تجمع المال.. كان هدفها الوحيد والأساسي إنقاذ أمها وعلاجها مهما كلفها الأمر.. إن مثلي لن يعاقبها الله فأنا أخطئ من أجل الآخرين.. لا من أجلي.. لا من أجل «شادية».. إن «صفا» خلقت من أجل أم «شادية» و«حسام» و«وردة».. يجب أن تظل «صفا» حية حتى يحيا معها الجميع.. هذا ما كانت تفكر فيه دائما.

* * *

حكاية زاهر

الخير والشر مفاتيح بداخل الشخصيات.. ولا يوجد شخص لا يستخدم كل مفاتيحه.. كل الشخصيات تستخدم الخير والشر بداخلها بتباين كل حسب مفاهيمه للخير والشر.. كل حسب معتقداته ونشأته.. الأمر المؤكد أن الشر في أحايين كثيرة ينتصر باكتساح.. لم يعد الخير هو مفتاح النجاح للكثيرين كما تعلمنا، فالدنيا دوما تعطي الشخصيات دروسا أخرى أكثر ضراوة تجعل أنيابهم تنمو من دون إنذار.

زاهر.. أو دكتور «زاهر» هو طبيب أمراض نفسية في أواخر الثلاثينات إلا أن ملامحه الوسيمة تعطيك انطباعا أنه في العشرينات رغم نحافته، يتمتع بطلة خاصة.. ورث إرثا طائلا من زوجته الأمريكية.. قرر أن يفتح به مصحة خاصة في الإسكندرية استطاع أن يجذب فيها عددا كبيرا من المرضى في وقت قصير، إلا أن المصحة جمعت من الفساد ما لم يجمعه مكان من قبل.. الشعار الوحيد فيها فقط جعله للمال فمن أجل المال بإمكانه أن يفعل أي شيء.. كان ذلك بسبب نشأته الفقيرة التي حاول جاهدا أن يغيرها ومعاملة والده السيئة له بسبب تمرده الدائم ونقمته على حياته الفقيرة خلق منه شخصية تحمل جانبا كبيرا من الشر، فجعلته لا يتورع عن أذى أي شخص في مقابل تحقيق غايته، وكان ولعه بالنساء غير عادي فالجميع يعرف عن علاقاته الكثيرة التي لا يجرؤ أحد عن التحدث معه فيها.. استطاع «زاهر» من خلال إصراره ودأبه على المذاكرة أن يلتحق بكلية الطب، ثم نجح في التعرف على امرأة أمريكية كبيرة في السن من خلال الإنترنت، وفي شهور جعلها تأتي لزيارة مصر وتزوجا، ثم ماتت بعد عام ونصف من زواجهما تاركة له ثروة هائلة، بنى بها المصحة وجذب إليها العديد من الأغنياء.

* * *

النجمة

وقفت مرتدية فستانا جلديا أسود اللون غاية في الأناقة صدره مفتوح بعض الشيء وقد زينت رقبتها بسلسلة فضية متوسطة السمك يتدلى منها حرف H مدبب الأطراف مزين داخليًا بمينا سوداء متداخلة مع الفضة وقد تركت شعرها يتدلى في بهاء على كتفيها جلست على مكتب شديد الفخامة تقرأ بعض الأوراق أمامها، ثم خلعت نظارتها الطبية وقالت بانفعال:

إيه التهريج ده.. دي المعلومات اللي أنا طلبت منك تجمعها عن المناقصة؟! ما كل ده أنا عارفاه.. أنا عايزة اعرف تفاصيل العرض اللي هيتقدم بيه «حامد صفوان».. كل الهبل ده ما يلزمنيش.

ـ آسف يا افندم.

ـ آسف إيه وهباب إيه.. أنا غلطانة اني اعتمدت عليك من الأصل.. أديك ضيعت مني الوقت في جمع شوية معلومات هبلة.

ـ يا مدام «حنان» أنا...

ـ إتفضل يا بيه على مكتبك.

هنا صرخ المخرج: Cut

ابتسمت «هالة» بعد أن طمأنتها ابتسامة المخرج الذي استطرد:

هايلة.. شوت حلو قوي.

قالت «هالة» بابتسامة راضية:

merci.. ربنا يخليك.. المهم تكون مبسوط.

صرخ المخرج مجددا:

يللا مكياج.. عايز اصور الشوت اللي بعده.



(١١)

رحلة الألم

حينما يبدأ الألم ابحث في دفاترك القديمة.. حينما تبدأ مأساتك انظر لخطاياك وتعمق فيها ستجد أن الألم هو الثمن الوحيد والجزاء العادل للتكفير عن ذنوب اقترفتها.. الألم هو الجزاء العادل لخطايا استبحتها لنفسك يوما ما غير مدرك أنك ستدفع الثمن آجلا أم عاجلا.. اخطئ كما يحلو لك لكنك لن تستطيع أن تهرب قبل أن تدفع الحساب.. ادفع الحساب في سكوت وتعلم أن تكون شجاعا في مواجهة آلامك واعترافاتك بخطاياك.

في غرفة الصدمات الكهربائية كان «حسين الصاوي» راقدا يلقي السباب على كل من هو موجود بالغرفة، موصلا بجهاز الكهرباء الذي يشرف على استخدامه الطبيب المساعد لـ«زاهر» وطبيبة أخرى بينما وقف «زاهر» في ركن من أركان الغرفة متابعا الموقف مشيرا للطبيب بالتحرك فانقض بالكهرباء على «حسين» الذي ظل جسده يرجف بشدة من تأثير الكهرباء، ثم صرخ بعد أن أوقف الطبيب الجهاز:

أنا هاوريكم يا ولاد الكلب.. سيبوني..

ـ ششش.. ششش.. بلاش دوشة يا زفت انت.. وخللي الدكاترة تشوف شغلها.

ـ إنتم عايزين مني إيه؟!

ـ ولا حاجة احنا عايزين نعالجك لأن انت قتلت مراتك من غير ما تحس.. واحنا هنا عشان نخليك تفتكر، قالها مشيرا بيده للطبيب المساعد بتوصيل الكهرباء من جديد.

ـ اااااااااااااااااااااااااااااه.. يا ولاد الكلب.. يا ولاد الكلب.. أنا ما قتلتش حد.

ـ طيب يا عم «حسين».. خليك بقى كدا تفضل تتكهرب وتتضرب وتاخد في أدوية غلط لحد ما تفتكر.

بعدها بقليل كان «حسين» مغشيا عليه في غرفته بعد جلسة كهرباء كفيلة بإنهاك جسده للغاية.. فدلفت إليه ممرضة شابة تدعى «عزة».. أربتت على كتفه.. هامسة في نفسها.. «يا ترى انت مين يا مسكين ومين اللي رماك في سكة الزفت «زاهر»؟!»

استمر هذا الحال لثلاثة أعوام كاملة لم يخرج فيها «حسين» من مصحة «زاهر» ولم يذق طعم الراحة بين جلسات كهرباء طويلة ومعاملة سيئة وضرب في أحيانا كثيرة حول جسده إلى جسد هزيل.. ثلاث أعوام مضت كالجحيم ذاق فيها الأهوال فجعلته في النهاية يتعرض لنوبات هستيرية تصيبه فجأة يتمتم خلالها بجمل غير مترابطة، ثم يسقط مغشيا عليه.. لم يكن هناك من يهتم لأمره أو من يرأف لحاله سوى الممرضة «عزة» التي كانت تحاول جاهدة أن تخفف عنه لكن لم يكن لديها من القدرة أو من الشجاعة ما تستطع أن تقف به بصدد دكتور «زاهر» أو أعوانه الذين شكلوا جبهة ضد هذا الرجل ليذيقوه من العذاب والمهانة ما لم يذقه شخص.. لم تواتها الشجاعة إلا مرة واحدة كادت تفقد وظيفتها على إثرها حينما أجرت محاولة فاشلة لتهريب «حسين» من المصحة وحينما اكتشف «زاهر» الأمر قام بإيقافها عن العمل لمدة ثلاثة أشهر لكنه أعادها للعمل بالمصحة بعد توسلاتها إليه محذرا إياها من الاقتراب من «حسين» أو محاولة التواصل معه بأي شكل من الأشكال.. في وسط كل ذلك ظل حلم القط الأسود

رفيق «حسين» الأوحد، يطارده من وقت لآخر بكل تفاصيله.. نفس القط الكبير.. «ندى» التي بدت دوما في رؤياه تلك كالملاك الذي يريد أن يحميه.

يا رب هذا عقابك.. يا رب هذا انتقامك.. كن رؤوفا بي.. ثلاث سنوات من العذاب.. ثلاث سنوات من الألم.. أي ثمن أدفعه لكل هذا؟! أي جرم ارتكبت؟! هل حقا لم أرتكب أي جرم؟! هل حقا لم أقتل «ندى» كما أدعي؟! بالتأكيد قتلتها ولا أتذكر.. بالتأكيد هذا ما أراده لي الله.. ولكن أين «غادة»؟! أين «خالد»؟! لماذا لم يجدوني طوال تلك السنوات؟! هل يعتقدون أنني توفيت مثلا؟! ترى ماذا حدث لهم أيضا؟! أنا لا أعلم شيئا.. أنا لا أدري كيف زج بي إلى هذا السجن.. عم «فايق» فقط هو من يعلم كيف جئت إلى هنا.. الحقيقة تكمن عند هذا الرجل وحده من دون غيره.. هل سأنتهي هنا من دون أن يعلم بأمري أحد؟! يا رب هل هذا اختبار منك أم أنك قررت أن تحاسبني الآن؟! يا رب لقد رضيت بقضائك فخفف عني في آخرتي.. يا رب ارحمني يا رب.

ديسمبر ٢٠١٣

انطلق «زاهر» متجولا بسيارته في شوارع الإسكندرية قبل أن يتوقف أمام مؤخرة «شادية» فأبطأ حركة السيارة مارا بجانبها مناديا: تحبي اوصلك؟!

ـ فين؟! سألته من دون تردد وقد انتبهت لسيارته الغالية ومظهره الأنيق.

ـ أي حتة انتي عايزاها؟!

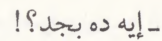
ـ وهتاخد تمن التوصيلة ولا جدعنة؟!

ـ إنتي وذوقك؟!

لم تمر الليلة إلا وكانت «شادية» في سرير «زاهر».

ـ قلت لي بقى انت دكتور؟!

ـ آه.. دكتور أمراض نفسية.. وعندي مصحة نفسية كبيرة.

ـ إيه ده بجد؟!

ـ ومالك فرحتي قوي كدا ليه؟!

ـ أصل أنا ممرضة وبقى لي سنين شغالة في مستشفى عدمانة بملاليم.. ما تشوف لي شغلانة عندك.

ـ ماشي يا «صفا».. تعالي لي بكرة في المصحة وانا هاشغلك.. ده الكارت بتاعي.

ـ ما اسميش «صفا».. إنت ما بقتش غريب خلاص.. أنا اسمي «شادية».

ـ عاشت الأسامي.. يا «شادية».. أنا هاشغلك عشان انتي عاجباني بس حسك عينك حد في المصحة يعرف حاجة عن اللي بيننا.. مش هتخرجي منها على رجليكي.

بالفعل تسلمت «شادية» عملها في مصحة «زاهر» براتب كبير طالما حلمت به وفي يوم عملها الأول رآها «حسين» فدقق نظره ليتأكد منها، ثم دلف إلى غرفته مختبئا حتى لا تراه.. نعم إنها هي.. كان متأكدا أنها هي، اختلجت عضلات وجهه تماما وجلس القرفصاء في ركن من أركان الغرفة إلى أن دلفت إحدى الطبيبات بوجهها ذي الملامح الحادة: صباح الخير يا أستاذ «حسين»؟!

ـ .....

ـ أنت ليه قاعد كدا؟! قوم يلا عشان ميعاد الحقنة.. ولا تحب نبدأ بجلسة كهربا حلوة كدا تفوقك.

جذب كوب الماء الموضوع من على المنضدة الصغيرة بجانبه وألقى به في وجهها فصرخت وقد غلى الدم في عروقها: إنت مش هتبطل اللي بتعمله ده؟! إيه فاكر ان انت ممكن بالعمايل دي هنرحمك ولا هتفلت من إيدينا؟!

اختلجت عضلات وجهه وظلت عيناه ترجفان رجفة مميزة نمت عن بوادر نوبة هستيرية فهب واقفا وأمسك بالمنضدة، ثم رفعها في الهواء وقذفها في اتجاه الطبيبة التي كرهها وكره جلساتها الكهربائية التي عذبته، فصرخت صرخة مدوية وتفادت المنضدة الطائرة، متجهة إلى الجانب الآخر من الغرفة

بينما سقط هو وقد تكور جسده وظل يتلوى في الأرض فهرولت الطبيبة خارج الغرفة منادية الممرضين الرجال، بينما ظل يتمتم «حسين» ضاربا بيديه أيادي الممرضين التي حاولت تقييده:

أنا باكرهكم كلكم.. سيبوني لوحدي.. كلكم عايزين تقتلوني.. إنتم بتيجوا هنا كل ليلة عشان تموتوني.. أنا عارف انتم عايزين تموتوني.. أنا ما بحبش حد.. أنا باكرهكم كلكم.. ابعدوا عني.. أنا ما باحبش حد.. انا ما باحبش حد..، ظل جسده يتلوى وظلت يداه ترجفان إلى أن سقط مغشيا عليه.

في اليوم التالي استيقظ «حسين» في الصباح الباكر لم يخرج من غرفته، فتح الباب بتأنٍّ ونظر بطرف عينيه إلى الممر خارج الغرفة باحثا بعينيه وسط الممرضات.. فلم يجد «شادية»، أغلق الباب وعاد إلى سريره شاردا، هل عاد عقلك يرسم الخيالات من جديد؟! ماذا يحدث لي؟! ماذا يحدث لي؟!

إلى أن دلفت إحدى الممرضات إلى غرفته بوجهها الطيب:

صباح الخير على القمر؟!

ـ صباح الخير.

ـ الجميل مش هينزل يفطر بقى؟!

ـ بص بقى يا سيدي بما اني تعبت من خدمتك ومواعيد أدويتك وحقنك والكلام ده فمن النهارده في أختك «شادية» هتساعدني في الحكاية دي شوية.

ـ زهقتي مني ولا إيه؟! قالها مبتسما

ـ وانا اقدر بردو يا أستاذ «حسين»؟! تعالي يا «شادية».

دلفت «شادية» إلى المكان بخطى هادئة فانتفض «حسين» من سريره وهب واقفا محملقا في ملامحها باندهاش، المفاجأة كانت في انطباعات «شادية» نفسها التي ارتبكت بعد أن تبينت ملامح «حسين» وهمست بصوت غير مسموع «يا مصيبتي».

ـ لم يتمالك «حسين» نفسه وسألها: «صفا»؟!

ـ «صفا».. «صفا» مين يا أستاذ؟! أنا.. أنا اسمي «شادية».



قالتها متلعثمة.

ـ «شادية»؟! «شادية»؟!

صمتت «شادية» ونظرت إلى الممرضة بارتباك تقول بعينيها «انقذيني».

ـ مالك يا عم «حسين».. «صفا» مين؟! انت بتشبه ولا إيه؟!

ـ آه.. أصلها تشبه واحدة كنت اعرفها.

ـ عن إذنكم.

ـ في إيه يا عم «حسين».. البت لسه جديدة.. إنت هتخوفها منك من الأول ولا إيه؟!

ـ أنا أصلي كنت باشبه عليها بس.

ـ طب يلا عشان تنزل تفطر.

في اليوم التالي قرر «حسين» أن ينسج خطته للإيقاع بـ«شادية» بعد أن لحظ ارتباكها بعد مقابلتها، وزاد من ارتيابه في أمرها بعد أن أخبرته الممرضة التي اصطحبتها إليه أن «شادية» طلبت منها أن تقوم برعاية مريض آخر غيره بحجة أنها خشيت حالته بعد مقابلتها الأولى.. إنه يعرفها.. إنه متأكد أنه يعرفها.. هي «صفا» من دون شك وتصرفها الغبي أكد له شكوكه، درس جيدا موعد حضورها إلى المصحة وخروجها منها.. درس حركتها في المصحة من دون أن تشعر، كان يراقبها جيدا عن بعد طوال أسبوع كامل تعمدت خلاله ألا تمر حتى من أمام غرفته مما زاد الأمر غرابة بالنسبة له.

لم تكن تدخل سوى غرفة المريض «كمال» تلك الحالة التي أصبحت تحت رعايتها بعد أن رفضت أن ترعى «حسين»، استيقظ «حسين» باكرا.. ذهب إلى غرفة «كمال» ودلف إلى الداخل كان «كمال» شخصا هادئا تحمل ملامحه هدوءًا وصفاء غير عادي، قليل الكلام للغاية، ينفذ ما يؤمر به، مريض هادئ للغاية، لم يحتك به «حسين» كثيرا على مدار الثلاث سنوات التي أمضاها في مصحة «زاهر»، لكنه بدا من هيئته وملابسه مدى ثرائه وثراء عائلته التي كان أفرادها يأتون إليه في زيارات متباعدة، طرق بابه ودلف إلى غرفته:



صباح الخير يا «كمال».. في واحد جه تحت بيسأل عليك.

- ما قالش اسمه إيه؟!

- لا والله مش عارف.. أنا لقيته بيسأل عليك في الريسبشن فقلت اجي اقولك.

خرج «كمال» من الغرفة مسرعا تاركا «حسين»، الذي ابتسم لنجاح الجزء الأول من خطته، نظر نظرة خاطفة إلى الممر بالخارج فوجد «شادية» قادمةً نحو الغرفة، فاختبأ مسرعًا خلف الباب وطرقت هي الباب مرتين، ثم دلفت إلى الداخل.. فوجئت بعدم وجود «كمال» وبحركة سريعة أوصد «حسين» باب الغرفة فانتبهت لوجود شخص ما خلفها، فاستدارت وهمت أن تصرخ برعب كسا عينيها:

«إيه ده؟!»

فوضع «حسين» يده بقوة على فمها مسرعا وقيد حركتها تماما بيده الأخرى:

ششششششش.. شششششش.. إيه يا «صفا»؟! ولا اقول لك يا «شادية»؟! غبية.. وحمارة كبيرة.

قالها مبتسما، ثم استطرد:

غبائك خلاكي تتصرفي غلط.. إنتي «صفا».. تحبي أوصف لك جسمك جوة عامل ازاي؟! بتكدبي ليه بقى؟! هاااا..

نظرت إليه في ذعر.

عارفة لو صرختي.

ثم أخرج سكين طعام من سترته مستطردا وهو يدنيه من رقبتها:

وديني لأكون دابحك.. أنا مجنون بشهادة كل الموجودين هنا.. وبقى لي تلات سنين مرمي في المصحة دي.. يعني لو قتلتك مش هاتعدم.. إرغي بقى.

رفع يده عن فمها بينما ظلت يده الأخرى ممسكة بالسكين موجها سيفه الحاد على مسافة سنتيمترات قليلة للغاية من رقبتها فهمست:



أيوة.. أنا «صفا» اللي انت خدتها من بار «أندريا».. إرتحت؟!

ـ أمال كدبتي ليه وقلتي إنك مش هي؟!

ـ أنا اسمي الحقيقي «شادية» وباشتغل الشغلانة دي عشان أأكل أمي واخواتي.

ـ أنا ما ليش دعوة بحكايتك انتي وأهلك.. إنتي بتكدبي ليه؟!

ـ ما حدش يعرف حكاية «صفا» دي هنا وخفت لا تتكلم وتفضحني وتطير مني الشغلانة اللي ما صدقت لقيتها.

ـ تو تو تو.. بقى خايفة تتفضحي.. اتكلمي احسن لك.. السكينة على رقبتك وديني لأقتلك اما اتكلمتي.

ـ خلاص هاتكلم.. أنا هاقول لك على كل حاجة.. في واحد جابني من الشارع واشترى لي فستان غالي واداني صورتك وقال لي ادخل ادور عليك في البار وما اعديش الليلة الا وانا معاك في السرير.. وقال لي احط لك منوم في أي حاجة وانزل الصبح بدري قبل ما تصحى وتشوفني.

ـ إيه؟!

ـ وقال لي لو شفتك صدفة كأني ما قابلتكش واداني عشرة آلاف جنيه وهددني لو اتكلمت هيجيبني من تحت طقاطيق الأرض وهيرميني في السجن وأمرني اني ما اعتبش البار ده تاني مهما حصل.. عرفت بقى أنا ليه خفت لما شفتك.

ـ إيه اللي انتي بتقوليه ده؟! مين الراجل ده؟!

ـ ما اعرفش.. والله العظيم ما قالي لي اسمه.. راجل غريب كدا.. بس لو شفته هاعرفه.

أبعد السكين عنها في شرود هامسا في نفسه:

يعني إيه؟! كل اللي كنت باشوفه ده ما كانش خيالات! معقولة «سالم العرابي» هو اللي خطط لكل ده! أكيد هو اللي رماني هنا تحت إيد الوسخ اللي اسمه «زاهر» عشان يعذبني ويذلني.

قطعت «شادية» شروده:

أستاذ «حسين».. الله يخليك ما تفضحنيش.. أنا ما صدقت الاقي شغل في المصحة هنا.

ـ لو ساعدتيني مش هافضحك.. ومش بس كدا في آخر اللعبة دي هاديكي مليون جنيه.

ـ أساعدك ازاي؟!

ـ تهربيني من هنا.. وتساعديني لحد ما اعرف الراجل اللي طلب منك تعملي فيا كدا.

ـ أهربك! أنا؟! أنا لسه جديدة هنا وما اعرفش أي حاجة.

ـ خلاص هافضحك وهاقول للناس كلها ع اللي قلتيه.. وخدي بالك في ناس هنا هتصدقني وهتساعدني.

ـ طب ما خلتهمش يساعدوك قبل كدا ليه؟!

ـ عشان انا عايزك انتي اللي تساعديني وتوصليني للراجل اللي سلطك عليا.

ـ طب سيبني افكر لك في طريقة اهربك بيها من هنا.

ـ أنا عندي طريقة بس لازم تساعديني.

صوته ظل يتردد في أذنها ليلة تنفيذها الخطة وأثناء تحركها بين طرقات المستشفى:

هتختاري أي يوم تكوني نبطشية فيه في المصحة بالليل.. بيبقى فيه اتنين.. واحد أمن واقف على البوابة اللي جوة وواحد عند البوابة اللي برة.. خلينا في اللي جوة الأول.. أنا هانزل استخبى في صالة الاستقبال من غير ما حد ياخد باله لأنها جنب الباب، الكلام ده بعد ما هاكون أنا خدرت «كمال» وخبيته في دولاب أوضتي.

قام «حسين» بسرقة دواء التخدير الذي انتبه إليه مع الممرضات، ثم دلف إلى غرفة «كمال» الذي انتفض من سريره وظل يحملق في «حسين» في ارتياب، لم يمهله الأخير الفرصة فانقض عليه بكل ما أوتي من قوة مكمما فاه بمنديل قماشي ملأه بسائل التخدير، راقب الطريق جيدا قبل خروجه

من غرفة «كمال» وتأكد من خلو الممر تماما، ثم خرج به سريعا متجها إلى غرفته التي تقع بعد غرفة «كمال» بغرفتين.. مر «حسين» مسرعا حاملا ذراع «كمال» على كتفه قبل أن يلحظه أحد، ثم قام بإدخال جسده في دولابه الخشبي الكبير وأغلق الدولاب بالمفتاح، ثم ألقى بالمفتاح في ركن من أركان الغرفة.

إنتي هتنزلي للراجل بتاع الأمن اللي ع البوابة الداخلية.

ـ إلحقني يا «رجب» الحقني.. المريض اللي اسمه «كمال» ما شفتهوش.. مش لاقياه له أثر في المستشفى كلها.

ـ يا ليلة مش فايتة.. إزاي؟!

ـ ما اعرفش.. البت «هيام» نزلت تجيب سندوتشات فول نتعشى بيها وانا كنت قاعدة.. غفلت دقيقتين قمت ابص عليه ما لقيتهوش.

ـ يا نهار مش فايت.. دي هتبقى ليلة سودا علينا، ثم قام بالاتصال على البوابة الخارجية ليسأل زميله الآخر: أيوة يا «سعد» باقول لك إيه.. في حد خرج من عندك من شوية؟!

ـ لا أنا قاعد مافيش حد خرج غير الآنسة «هيام» قالت هتجيب سندوتشات وراجعة.

ـ طب ماشي ماشي هاكلمك تاني.

ـ في حاجة؟!

ـ بعدين يا «سعد».. مش وقته.. خليك مفتح عينيك عشان في مريض مش لاقيينه جوة.

هتعملي المستحيل عشان تقوميه يدور عليه معاكي: طب والنبي يا «رجب» قوم شوفه ليكون نزل الجنينة ولا حاجة.

ـ فكرك.. يكون عملها وانا باصلي العشا.. بس انا ما اقدرش اتنقل من هنا طول ما هو غطسان كدا.

ـ أنا ممكن أنزل الجنينة أدور بس خايفة أغيب أكتر من كدا من الكوليدور ألا دكتورة النبطشية تعدي ما تلاقينيش لا انا ولا «هيام» هتعملها لنا حكاية.

ـ طب والعمل؟!

- بص.. إنزل بص بصة عليه سريعة في الجنينة وانا هاقعد هنا مكانك بس بسرعة والنبي يا «رجب».. أحسن انا لازم اطلع فوق تاني بسرعة.

- طب ماشي.

خرج «رجب» إلى الحديقة وتلاه «حسين» سريعًا بعد أن بدل ملابسه بملابس عادية سرقها من غرفة الأطباء حتى لا يلفت الأنظار بملابس المرضى.. وبعد خروجه، اختبأ خلف شجرة قريبة من الباب حتى اطمأن لعودة «رجب» إلى الداخل، فهَمّ بالاقتراب من البوابة الخارجية ليستكمل مع «شادية» باقي خطته، في تلك الأثناء اتصلت «شادية» بـ«هيام»:

إلحقيني يا «هيام».. الجدع اللي اسمه «كمال» ده قلبت عليه المستشفى مش لاقياه.. دورت عليه في كل الأوض ما لقيتهوش و«رجب» نزل يدور في الجنينة ما لقاهوش.

- بتقولي إيه! ده دكتور «زاهر» هيبهدلنا.. طب اقفلي أنا جاية اهو.

مرت «هيام» مسرعة ولم يتبق سوى «حسين» و«سعد» فرد الأمن الأخير الذي سيخرج بعده إلى الحرية التي حرم منها ثلاث سنوات، الحرية التي طالما حلم بها خاصة بعد ما ذاقه من عذاب في مصحة «زاهر»، ناداه في الخفاء:

«سعد».. «سعد».. هب «سعد» واقفا يتفحص مصدر الصوت، ثم جذب عصا خشبية كبيرة كان أخفاها في الحديقة من أجل هذه الليلة وهوى بها على رأس «سعد» الذي سقط مغشيا عليه وجذب جهاز اللا سلكي مناديا «رجب»: «رجب» يا «رجب».

- أيوة يا «سعد».. شفت حد؟!

- في مريض لمحته بيجري فوق على السطح.. اطلعوا امسكوه وصحي «محمد» و«فضل» قبل ما يهرب.

أغلق جهاز اللاسلكي وخرج بهدوء من المصحة من دون أن يشعر به أحد على الإطلاق، صار مسرعا في الطريق المظلم إلى أن استقل ميكروباصا ليعود به إلى قلب الإسكندرية مجددا، وقد شعر أن روحه تعود إليه رويدا رويدا أثناء سير الميكروباص.. لأول مرة لم تعد أنفاسه تلهث من الخوف

والذل والتعذيب، لأول مرة منذ ثلاث سنوات.. يشعر بذاته.. يشعر بـ«حسين الصاوي» الذي ذاب مع الأيام الطويلة ليصبح شبحا حيا على الأرض.. كان يحلم بهذا اليوم من أجل أن يكتشف الحقيقة.. من أجل أن يلقن كل من كان سببا في عذابه درسا لن ينسوه، استند برأسه إلى الشباك الزجاجي مستنشقا نسيم حريته، بينما كان صوت المذياع عاليا حيث كان يشدو مدحت صالح بأغنية أبكته ولمست أوتار قلبه:

رافضك يا زماني يا أواني يا مكاني.. أنا عايز أعيش في كوكب تاني

رافضك يا زماني يا أواني يا مكاني.. أنا عايز أعيش في كوكب تاني

فيه عالم تاني.. فيه لسه أماني.. فيه الإنسان لسه إنسان.. عايش للتاني

عالم تيار ورياحه قوية.. بتهد كياني تكسر فيا

من غير مواعيد بتاخدني بعيد.. من غير مواعيد بتاخدني بعيد

عن معنى حياتي.. عن أصلي وذاتي.. عن معنى حياتي.. عن أصلي وذاتي

وده مش بإيديا.. وده مش بإيديا

في سد منيع عالي وفظيع.. عالي وفظيع، في سد منيع عالي وفظيع.. عالي وفظيع

بيني وبين نفسي.. بين روحي ورسمي، بيني وبين نفسي.. بين روحي ورسمي

بين يومي وأمسي.. بين يومي وأمسي

واللي اتمنيته وبنيته في الهوا بيضيع

وده مش بإيديا.. وده مش بإيديا



(١٢)

الحقيقة الثانية

أحيانا تكون الحقيقة أمامنا ولا نراها.. أحيانا أعيننا تخدعنا ولا تكشف لنا الصورة الكاملة.. هل هو عقلنا الباطن الذي يخشى تصديق حقيقة مرفوضة؟! أم أنه اختيارنا اللا إرادي في عدم التصديق متجسدًا في رفض حقيقة معينة؟! أغلب الأوقات تكون الحقيقة شديدة الألم.. تكون أعنف وأشرس من أي عذاب آخر.

ذهب «حسين» إلى مقر شركته فلم يجد أي أثر لهذه الشركة.. ماذا يحدث! هل ستظل الأوهام تلاحقني؟! لا.. لم تعد أوهامًا.. كل هذا كان من تدبير «سالم العرابي».. كل هذا تخطيطه ولكن ماذا عن «ندى»؟! ماذا عن «إنجي صادق»؟! سأعلم الحقيقة حتى لو دفعت حياتي ثمنا لهذا.. ولكن أين «غادة»؟! أين شركتي؟! يجب أن أذهب لـ«خالد» هو الوحيد الذي سينقذني من كل هذا.

ذهب إلى مقر عيادة «خالد».. ظل في انتظاره طويلا لفت نظره التجديدات، ديكور العيادة المبهر، لم تكن نفس الممرضة «حنان» هي الموجودة، دلف إلى غرفته فهب «خالد» واقفا وقد كست ملامحه الدهشة والفرحة:

«حسين»! «حسين»! إنت كنت فين السنين دي كلها؟! جرى عليه «خالد» واحتضنه بقوة:

وحشتني يا «حسين».. يااااه الحمد لله انك بخير.. إنت شغلتنا عليك قوي.

ـ عشان كدا دورت عليا يا «خالد».

ـ لا يا «حسين» ما تظلمنيش.. أنا دورت عليك أنا و«غادة».. قلبنا عليك اسكندرية حتة حتة.. وقدمنا بلاغ في مصحة «رامز».. لما يئسنا افتكرنا انك..

ـ مُت.

ـ بعد الشر.. تعالى بس اقعد.. تعالى واحكي لي إيه اللي حصل.

ـ الأول قل لي «غادة» فين؟! أنا رحت عند الشركة ما لقتش أي أثر لها.

ـ «غادة» صفت الشركة لأنها خافت بعد ما انت اختفيت انها ما تعرفش تتصرف في إدارة الشركة وكل ده.. فصفتها.

ـ صفت الشركة! ليه عملت كدا بس ليه؟! طب وهي لسه قاعدة في البيت هنا؟! أنا أصلي خفت اروح هناك.. يكون حد مراقب البيت ولا حاجة.

ـ لا هي سافرت مصر.. أصلها جت لها فرصة شغل حلوة في شركة بترول كبيرة قوي.

ـ إنت بتكلمها؟!

ـ ما اتكلمناش في التلات السنين دول غير شوية في الأول وقت ما كانت بتصفي الشركة وبعد ما سافرت.. الاتصال اتقطع بيني وبينها خالص.. خصوصا بعد ما يئسنا تماما من إننا نلاقيك.. إنت ازاي هربت من مصحة «رامز» أصلا؟!

ـ هربت! أنا ما هربتش.. في عامل ضربني فجأة بحقنة مخدرة.. أغمى عليا.. فقت لقيت نفسي في مصحة دكتور ابن ستين كلب اسمه «زاهر».. عذبني وبهدلني.

ـ إيه ازاي كدا ده إحنا لما سألنا في المستشفى قالوا انك انت اللي هربت وفي واحد اسمه «فايق» قال انك ضربته على راسه وهربت.

ـ إبن الكلب الوسخ.. هو «فايق» ده اللي خدرني.



ـ تفتكر ان «سالم العرابي» يكون ورا كل ده؟!

ـ ودي عايزة كلام يا «خالد» طبعا هو اللي ورا كل ده.

ـ إنت عارف ان «غادة» راحت بهدلته بعد ما انت اختفيت وقالها انه ما لوش علاقة بموضوع اختفاءك.

ـ أقولك على مفاجأة كمان.. كل اللي باشوفه كان صح يا «خالد».. كل الستات وكل حاجة كنت باشوفها كانت صح.. وما كانش بيتهيأ لي يا «خالد» زي ما كنا فاكرين.

ـ إيه؟! تلون وجه «خالد» من المفاجأة واستطرد: إزاي يا «حسين»؟! معقول؟!

ـ زي ما باقول لك والله.. الحاجة اللي مش قادر افهمها لحد دلوقتي حكاية «إنجي صادق» اللي كانت السبب اني اشك أصلا ان كل ده كان أوهام.

ـ مش جايز كانت أوهام فعلا.. إنت أصلا عرفت ازاي؟!

ـ مش مهم دلوقتي بعدين هابقى اقول لك.. المهم دلوقتي أنا عايز منك خدمة.. أنا كنت عايز فلوس وعايز استخبى في أي حتة أمان لإن انا هربت من مصحة «زاهر» امبارح.. وأكيد «زاهر» ده متسلط من «سالم العرابي» ومش هيسيبوني في حالي.. دول مش بعيد يقتلوني.

ـ عينيا يا «حسين».. بس انت ناوي على إيه؟!

ـ الأول هاتأكد إذا كان «سالم العرابي» هو اللي ورا كل اللي حصل لي ده ولا إيه.. وساعتها حسابه هيبقى عسير معايا.. وديني لاكون مدفعه تمن كل ليلة عذاب في مصحة الكلب اللي اسمه «زاهر».

ـ استهدى بالله بس وصلي ع النبي.

ـ عليه الصلاة والسلام.. أنا عايزك كمان تحاول توصل لـ«غادة» وتطمنها عليا.

ـ حاضر يا «حسين» ما تقلقش.. كل اللي انت عايزه هيحصل.. بس احنا لازم نمشي من هنا دلوقتي لأن لو «سالم العرابي» هو اللي ورا كل ده..

أول حد هيدور عليك عنده هيكون انا.

ـ عندك حق.. عشان كدا باقول لك لازم استخبى في حتة أمان.

ـ بص انا هاخبيك في الشاليه القديم بتاعي اللي في المعمورة.. هناك انا هابقى مطمن عليك.

ـ كويس قوي.. أنا آسف يا «خالد».. هاتعبك معايا كمان.. أنا كنت عايز تليفون.

ـ دلوقتي واحنا ماشيين نجيب خط وتليفون.

ـ ولو قدرت كدا كمان كام يوم تصلح لي عربيتي وتجيبها لي.. الرخص هتلاقيها في البيت والعربية في جراج الفيللا.. يبقى كتر خيرك.

ـ بلاش عربيتك عشان ما حدش يحس بيك أنا هابقى أجيب لك الرخص من البيت وهاجيب لك عربيتي القديمة تتحرك بيها.

ـ تمام كدا.. معلش هاتعبك معايا يا «خالد».

ـ يا ابني ما تقولش كدا.. بس انا مش عايزك تتحرك كتير وكمان احنا لازم نبلغ في مصحة «زاهر» دي.

ـ ما تقلقش.. كل حاجة هتحصل بالترتيب.

ـ «حسين».. ممكن ما تعملش حاجة غير لما نفكر فيها مع بعض بتأني؟!

ـ حاضر.. ما تقلقش.

ذهب «خالد» مع «حسين» إلى المعمورة وتركه في الشاليه بعد أن اشترى له مأكولات ومعلبات لتكفيه حتى يعود إليه مجددا، جلس «حسين» وأمسك بالهاتف المحمول الذي اشتراه له «خالد» وأخرج ورقة من جيب قميصه ونقل منها الأرقام على الهاتف ليجري اتصالا:

ـ أيوة يا «شادية».. أنا «حسين» إيه الأخبار عندك؟!

ـ الدنيا مقلوبة هنا و«زاهر» شايط ع الآخر.. من ساعة ما اكتشفوا ان انت اللي هربت مش «كمال».

ـ طب تمام.. أنا هابقى اكلمك تاني.. ولو في أي حاجة ابقي كلميني ع الرقم ده.



في مكتب «سالم العرابي»، قال متحدثا في الهاتف:

نعم.. يعني إيه هرب يا بيه؟! أنا هاوريك أيام سودا انت والبهايم اللي مشغلهم عندك.. والملايين اللي انا عمال ادفعها لك عشان في الآخر تقول لي هرب.

- يا «سالم» بيه أنا كنت مخلي بالي كويس قوي.. أنا مش عارف هو هرب ازاي!

- لا يا دكتور «زاهر».. ده ما كانش اتفاقنا.. إحنا اتفاقنا انه يفضل مرمي في المصحة عندك بقية عمره.. والفلوس اللي كنت بتلهفها كل سنة كانت على حس الاتفاق ده.

- ما تقلقش يا «سالم» بيه وانا هاتصرف.

- اسمع وديني اما رجعته تاني المصحة لاكون قافل لك المصحة بتاعتك دي.

- قلت لسعادتك ما تقلقش يا «سالم» بيه.. أنا هاتصرف وهارجعه بأي طري..

أمسك «زاهر» عن الكلام وتبين أن «سالم العرابي» قد أغلق الهاتف في وجهه، فألقى بالهاتف بقوة من فرط عصبيته باصقا عليه، بينما اتصل «سالم» برقم آخر:

ألو.. أنا لازم اشوفك.

بعد يومين ذهب «خالد» بالسيارة إلى «حسين» ودلف إلى داخل الشاليه، فوجد «حسين» نائما فأيقظه:

«حسين».. «حسين».

- إزيك يا «خالد»، قالها متنهدا باطمئنان بعد أن أفاق مفزوعا.

- إيه يا ابني في إيه؟! ده انت أعصابك تعبانة قوي.

- من اللي شفته يا «خالد» من اللي شفته.

- أنا جبت لك العربية برة.. بس هتنزل هتوصلني البيت وترجع تاني بقى معلش.. «حسين» ترجع على هنا على طول.

ـ ما تقلقش.. هارجع على هنا على طول.. أنا بس كنت عايز منك شوية فلوس.

ـ دلوقتي أسحب لك فلوس من أي ATM في طريقنا.. أنا جبت لك معايا كمان شوية هدوم في العربية.

ـ أنا مش عارف اقولك ايه يا «خالد».

ـ ما تقولش حاجة.

قام «حسين» بتوصيل «خالد»، ثم تركه متجها بالسيارة إلى مصحة «رامز ياسين» ظل يراقب مدخل المصحة من سيارته لوقت طويل لم يلفت انتباهه سوى خروج «سارة»، فكر لبرهة أن يذهب إليها ويحدثها لكنه تراجع، بعدها بقليل خرج عم «فايق».. سار خلفه بالسيارة في بطء إلى أن رآه يستقل ميكروباصا تتبعه «حسين» حتى رآه وقد وصل إلى منزل قديم بحي محرم بك.. نزل إلى كشك خردوات صغير ليشتري علبة سجائر، ثم سأل صاحب الكشك:

باقول لك إيه يا ريس؟! في واحد هنا في الحتة اسمه عم «فايق»؟!

ـ آه عم «فايق».. ده الدكتور بتاع المنطقة هاها.. أصل هو اللي بيدي حقن في المنطقة هنا لأي حد تعبان.. بيته هناك اهو.

ـ وأشار له على البيت القديم الذي رأى عم «فايق» يدلف إليه منذ قليل.

ـ شكرا.

قبل أن يهم بالانصراف انتبه لصورة «إنجي صادق» على إحدى المجلات الفنية عند البائع، بدت مختلفة نوعا ما، ازداد جمالها لكنه تبينها على الرغم من ذلك.. هي تلك المرأة التي رافقته إلى منزله، اشترى المجلة، ثم عاد إلى السيارة، أخذ يقلب في المجلة وفوجئ بالعناوين التي حملت اسما آخرَ تحت صورها، أمسك بهاتفه المحمول اتصل بـ«خالد» فوجد هاتفه مغلقا فاتصل بـ«شادية»:

أنا عايز اقابلك.. ضروري.



بعد قليل دلفت «شادية» إلى السيارة

ـ خير يا باشا؟! جبتني على ملا وشي ليه؟!

ـ حصل حاجة جديدة في المستشفى؟!

ـ أبدا.. الدنيا لسه مقلوبة.. و«زاهر» مستحلف لك.. هو انت كلمتني عشان كدا؟!

ـ لأ.

ثم ناولها المجلة التي اشتراها مشيرا إلى صورة غلافها.

ـ «هالة صادق».. ما لها؟!

ـ «هالة» مين؟! هي مش اسمها «إنجي صادق»؟!

ـ لا يا باشا دي أختها التوأم اسمها «هالة صادق».. ظهرت كدا بعد ما «إنجي» غرقت بعربيتها في البحيرة وكملت الفيلم اللي كانت اختها بتمثله وما كملتش تصويره بسبب موتها المفاجئ.. المهم بقى «هالة» دي بقت نجمة أشهر من اختها.

ـ إنتي بتقولي إيه؟! أختها التوأم يعني إيه؟! يعني اللي كانت معايا دي ما كانتش «إنجي» كانت «هالة»؟!

ـ أنا مش فاهمة حاجة.. هو انت تعرف الست دي يا باشا؟!

ـ كانت آخر واحدة جت معايا البيت ولما صحيت تاني يوم قريت انها ماتت من تلات أيام في حادثة عربية وده اللي شككني في نفسي أصلا.. «شادية» أنا محتاج اقعد لوحدي شوية.. هاوصلك وهابقى اكلمك اوعي تتصلي بيا مهما حصل.. أنا هاطلبك.

وأثناء قيادته للسيارة شاردًا، لم ينتبه لوجود مطب صناعي أمامه فارتفعت السيارة مسرعة، ثم هبطت بقوة مجددا على الأرض، صرخت «شادية» على إثر ذلك صرخة مكتومة، بينما انفتح أمامها تابلوه السيارة فانتبهت لوجود صورة رجل قبل أن تمتد يدها لإغلاق التابلوه، جذبتها مسرعة، ثم اربد وجهها ونظرت لـ«حسين» الذي استمر في قيادة السيارة كأن شيئا لم يكن غارقا في شروده.

ـ «حسين» بيه.. «حسين» بيه.. ممكن تقف بالعربية شوية الله يخليك.

فوجئ «حسين» من هيئتها حينما نظر إلى بشرة وجهها الممتقعة المائلة للاصفرار ولهجتها المضطربة المتلعثمة بعض الشيء:

خير يا بت مالك في إيه؟! ده مطب.. عادي يعني.. في إيه؟!

سألته بنبرة قلقة: هي دي صورة مين يا باشا؟!

أجابها من دون تفكير: صورة واحد صاحبي.

فسألته بارتباك زاده توترا: مين صاحبك ده يعني؟!

وتره سؤالها فأجاب بعنف:

هو في إيه يا بت؟! هو انا لو قلت لك يعني هتعرفيه؟! صاحبي «خالد».

صمتت «شادية» لبرهة قبل أن تتفوه بحرف آخر وأحنت رأسها إلى الأرض مخفية نظراتها عنه، ثم عاودت النظر إليه قائلة بنبرة قلقة:

هو ده الراجل.

سألها مندهشا محاولا تفسير الأمر:

أنهي راجل؟!

قالت مستطردة في هدوء:

الراجل اللي اتفق معايا واشترى لي اللبس عشان ادخل لك أندريا وتشوفني و...

ارتبك «حسين» وسرت رعشة خفيفة في جسده متسائلا بعين شابها أسى ممزوج برجفة غريبة رجفت معها كل عضلات وجهه: إيه اللي انتي بتقوليه ده؟! يعني إيه اللي انتي بتقوليه ده؟! إنتي كدابة.. كداااااااااابة.

قالها صارخا بكل ما أوتي من قوة وقد جحظت عيناه للغاية من فرط دهشته وغضبه.

فقالت «شادية» محاولة تهدئته:

إهدا يا «حسين» بيه والله العظيم انا مش كدابة.. هو ده الراجل اللي خدني من الشارع وطلب مني اعمل اللي حكيتهولك.. والله العظيم هو ده.

مزقت الحقيقة ـ التي ألقتها في وجهه ـ عقله إلى أشلاء في تلك اللحظة،

وضع كفيه على رأسه ظل يمسح شعره بعنف هامسا: مش ممكن.. مش ممكن.. إنتي كدابة.. حاولت «شادية» أن تمسك يده محاولة تهدئته: والله هي دي الحقيقة والله.. نزل من السيارة فتبعته مسرعة محاولة جذبه، ثم دفعها بقوة فسقطت على الأرض بينما انتابته حالة هيستيرية بعد أن اعتراه ألم عنيف في رأسه ظل يصرخ على إثره ممسكا برأسه وكأنه يحاول أن يخفيها فسقط أرضا وظل يصرخ بعنف:

اااااه.. إبعدي.. إنتي كدابة.. كلكم كدابين.. كلكم عايزين تموتوني.. كلكم عايزين تموتوني.. كلكم عايزين تموتوني.

ظل جسده يرجف رجفات مستمرة وسط ذهول «شادية» وخوفها من وجودهما في الشارع عرضى لأي خطر ممكن قد يزج به مجددا إلى المصحة، إلى أن توقفت حركته تماما وأغشي عليه، وانتبه رجلان لصراخه فساعداها على حمله إلى صيدلية قريبة وأجلساه على كرسي داخل الصيدلية محاولين إفاقته حتى أفاق بعد ثلث ساعة، واستطاعت «شادية» السيطرة على الموقف مدعية أنها زوجته وأنه قد نسي أخذ دوائه مما أدى به للإغماء، عادا معا مجددا إلى السيارة بعد أن شكرت طبيب الصيدلية والرجلين اللذين عاوناها على حمله.

ـ بقيت أحسن يا باشا؟!

ـ .. أومأ برأسه إيجابا من دون أن يتفوه بكلمة، ثم قال بعد برهة صمت:

ـ «خالد»!! «خالد»!! ده صاحب عمري ليه عمل فيا كدا؟! ليه؟!

ـ ما تآخذنيش يا باشا.. أكيد له مصلحة.. ما بقاش في حاجة اسمها صاحب النهارده.. صاحبك هو قرشك وبس.

ـ تنهد تنهيدة طويلة وأسند رأسه على عجلة القيادة لبرهة، ثم عاد برأسه وظهره إلى الخلف: أنا تعبان.

ـ ناوي على إيه يا باشا.. هتواجهه؟!

ـ أواجهه! ردد الكلمة مندهشا.. لأ طبعا.. أنا لازم أفهم الأول إيه اللي خلاه يعمل فيا كدا ويخدعني طول الوقت اللي فات.. وأنا اللي كنت هاتصل

بيه اسأله على موضوع «هالة صادق».. الحمد لله إني لقيت تليفونه مقفول.. ده الحمد لله كمان إني ما حكتلوش حاجة عنك.. مش لازم نتقابل كتير الوقت اللي جاي غير لما اقول لك.

ـ وبعدين؟!

ـ لم يجبها لثانية، ثم قال:

وبعدين هاخد حقي.. هاخد تمن سنين العذاب والحيرة اللي حطني فيها لما دخل في مخي اني قتلت مراتي.

عاد إلى شاليه المعمورة بعد أن اشترى في طريق عودته مجلات فنية مختلفة قديمة وحديثة، ركن السيارة، ثم دلف إلى الشاليه وقام بإغلاق هاتفه المحمول، ثم جلس ممددا على أريكة صغيرة ودارت الأفكار برأسه سريعا متذكرا حديث «خالد» إليه:

أهم حاجة تواظب ع الأدوية اللي بديهالك.

الـDelusions اللي هي الضلالات ودي أحد أهم أعراض الفصام أو السكيز.. المريض هنا بيبدأ يقتنع بحقيقة معينة أو بأي شيء رغم ان الحقيقة دي بتكون غلط ومبنية على سوء فهمه هو للأمور.

«حسين» أنا اتصلت بـ«غادة» في أمريكا وفهمتها حالتك كويس.

مش جايز كانت أوهام فعلا.. إنت أصلا عرفت ازاي؟!

بدأ يقرأ المجلات القديمة فوجد أخبارا في نوفمبر ٢٠١٠ تفيد بأن ظهور «هالة صادق» الأخت التوأم لـ«إنجي صادق» أنقذ الفيلم من إعادة تصوير المشاهد الخاصة بـ«إنجي» بممثلة أخرى، وفي أعوام لاحقة قرأ عنها أنها صارت نجمة هامة تقدم أدوارا مركبة وأنها أثبتت موهبة فذة في الأداء التمثيلي تفوقت بها على أختها.. دقق النظر في صورها ليلمح شيئا في صدرها في إحدى الصور.. كان هذا الشيء له، إنها سلسلته الفضية متوسطة السمك التي يتدلى منها حرف الـH المدبب الأطراف، المزين داخليًا بمينا سوداء متداخلة مع الفضة.. لقد سرقتها منه.. إنها هي «هالة».. هي من كانت معه في منزله.

ظل يفكر مليا في أمر تلك الخدعة.. التي نهلت من عقله تلك الخدعة

والطعنة التي جاءت إليه من أقرب أصدقائه ولكن ماذا عن «غادة» هل كانت تعلم بالأمر؟! هل اشتركت في تلك الجريمة في حقي؟! ليتني لم أعلم.. ليتني ظللت أتعذب في مصحة «زاهر» أفضل من أن أكتشف تلك الحقيقة الرهيبة.. لكنني سآخذ حقي مهما كلفني الأمر.





(١٣)

قانون مينس ريا

هي كلمة لاتينية الأصل تعني حرفيا «العقل المذنب» أي النية الجنائية، وتعد من أهم العناصر المكونة للجريمة، وهناك مقولة لاتينية تفيد: «الفعل لا يجعل من شخص مذنبا إلا إذا كان عقله مذنبا أيضا».. جملة قالها له «خالد» منذ ثلاثة أعوام بعد أن ظل يبحث عن مدى إدانته إذا كان قد قتل «ندى» بالفعل من دون إرادة عقله.. جملة طمأنته كثيرا لكنها لم ترحه من شكه إذا كان قد قتلها بالفعل أم لا.. لم ينس قط تلك الجملة التي رددها «خالد» حينها:

(لازم عشان تقتل يكون عقلك كمان قاتل، أقصد يعني تكون اعتزمت نية القتل وده مش هيحصل إلا لو كان عقلك واعي وفي حالتك لو انت قتلت «ندى» يبقى أهم عنصر في الجريمة مش موجود، اللي هو إيه؟! النية الجنائية.. ده باللاتيني بيسموه المينس ريا يعني العقل المذنب، لازم عقلك يشاركك تنفيذ جريمتك ويبقى مذنب زي إيديك اللي نفذت الجريمة).

جملة حفظها «حسين» عن ظهر قلب وقرر أن يستغلها في تنفيذ خطته.. لقد أوهموه أنه قتل زوجته من دون إرادة عقله المريض.. لذا قرر «حسين» بعد أن جمع أفكاره وواتته فكرة شيطانية أن ينتقم بالمينس ريا.

في صباح اليوم التالي ذهب «حسين» لبنك كريدي أجريكول وجلس مع موظفة خدمة العملاء

ـ مساء الخير.

ـ مساء النور يا افندم.

ـ أنا كنت عامل وديعة بخمسة مليون جنيه عايز اكسرها بعد إذنك.

ـ كام رقم الحساب يا افندم؟!

بعد أن أبلغها برقم الحساب، شرد «حسين» قائلا في نفسه: الحمد لله اني ما جبتش سيرة الحساب ده لأي حد.. الحمد لله اني خليت اللي هاقدر بيه أرد الألم لكل واحد أذاني.. بس يا ترى يا «غادة» لو اتأكدت انك ورا كل ده مع الكلاب دول.. هاقدر ارد لك الألم؟! هاقدر اعمل فيكي زي ما عملتي فيا؟! يا رب يا «غادة» يطلع ظني مش في محله.. يا رب.

بعد أن انتهى من مهمة البنك ذهب إلى قسم شرطة سيدي جابر:

ـ سلام عليكم.

ـ وعليكم السلام ورحمة الله يا أستاذ.. أؤمر.

ـ الأمر لله.. أنا بس كنت عايز اقابل سيادة العقيد «إيهاب راتب».

ـ ياااه سيادة العقيد «إيهاب راتب».. ده ما بقاش هنا يا بيه دلوقتي.

ـ طب ما تعرفش ممكن الاقيه فين؟!

ـ أنا هاديك رقم موبايله.

وكان اللقاء في منزل «إيهاب راتب» زميل المدرسة القديم والذي عادت علاقته بـ«حسين» بعد أيام المدرسة حينما طلب منه تصميم الشاليه الذي يملكه بالساحل الشمالي وأكرمه «حسين» في تكاليف التصميمات.

ـ آه يا سيدي بعد الثورة الدنيا اتغيرت وقال إيه لازم يبقى فيه كبش فدا في كل مكان فطلعوني معاش.. تخيل! طلعوني انا معاش وسابوا كتير من اللي كانوا بيسرقوا وينهبوا ويبلطجوا زي ما هما.. المهم سيبك مني انا بقى.. منور والله يا «سحس».. إيه يا عم من ساعة ما عملت لي تصميم الشاليه اللي في الساحل وانت اختفيت!

ـ ما هو انا جاي لك عشان حدوتة اختفيت دي يا «بوب».. بس المهم التصميم عمل شغل ولا إيه؟! غمز له بعينه اليمنى وهو ينهي جملته.

ـ أوووووه ما اقولكش.. الحاجات دي بتفرق بردو.

ـ هاهاهاها طول عمرك داءك النسوان من أيام ما كنا في المدرسة، الحقيقة انا كان عندي مشكلة وعشمي انك تحلها لي.

ـ خير يا «حسين»! إنت عارف انت غلاوتك عندي قد إيه.. أنا اخدمك بعينيا.. رقبتي سدادة.. إنت ناسي انت أنقذتني مرة من الموت.

وبعد أن روى له كل ما حدث.

ـ يااااه يا «حسين».. ده انت اتمرمطت بجد.

ـ شفت يا «إيهاب» عملوا فيا إيه الأوساخ؟! هتساعدني يا «إيهاب»؟!

ـ طبعا وفي حالتك ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.. البوليس والنيابة سككهم طويلة وفي حالتك للأسف هيبقى صعب تثبت أي حاجة وحتى لو عرفت، ممكن بسهولة جدا أي محامي صايع يلعب له كام لعبة حلوة وهترسي في الآخر على مافيش.. بص انت أهم حاجة تعملها في الأول حكاية القضية اللي ممكن «سالم العرابي» يفتحها في أي وقت.

ـ طب رأيك اعمل إيه؟!

ـ لازم تعرف خبير الخطوط كتب كدا ليه خصوصًا انك متأكد ان ده خط «ندى».

ـ ما هو أكيد يا «إيهاب» «سالم» رشاه عشان يقول انه مش خطها.. عشان التهمة تحوم حواليا ولما لقى ان الحكاية دي فشلت.. قرر انه يوهمني بمساعدة «خالد» اني مريض نفسيا واني ممكن اكون قتلتها فعلا.. ويفتح القضية تاني من السكة دي.

ـ أنا اقصد اننا لازم نخلي خبير الخطوط ده يعترف بكدة.. أنا هاحاول اتصرف في الحكاية دي.

ـ هتقدر؟!

ـ جرا إيه يا عم «حسين» أنا صحيح طلعت معاش بس ليا حبايبي اللي مستعدين يخدموني بعينيهم.

ـ آسف والله أنا مش قصدي يا «إيهاب».

ـ المهم.. إنت بتفكر في إيه تاني؟!

ـ عم «فايق» والبت الممثلة اللي اسمها «هالة صادق».. هما دول مفاتيح الحقيقة الكبيرة بالنسبة لي.

ـ عم «فايق» ده آخره هيتجررع المديرية ويتروق كدا ترويقة حلوة.. يقول فيها ع اللي حصل كله وكويس انك عرفت لي عنوانه.. موضوع «هالة صادق» ده اللي غريب بس وجود السلسلة ده بيأكد ان هي اللي كانت عندك مش «إنجي».

ـ أنا مش قادر اجمع حكايتها.. لو هي فعلا اللي جت معايا البيت مش «إنجي» بما أن «إنجي» كانت ماتت خلاص.. إزاي هما خلوها تبدأ اللعبة معايا وتيجي البار كذا مرة وأشوفها قبل ما «إنجي» تموت ولا هي جت و..

ثم أمسك عن الكلام لبرهة متنهدا:

ـ أنا مش فاهم وحاسس ان وراها حكاية.

ـ بص انا ليا جوز اختي في أمن الدولة.. هاخليه يعرف لك كل حاجة عنها.. المهم انت ناوي على إيه؟!

ـ أنا في فكرة في دماغي بس عايزك تساعدني نعملها بس لما اتأكد الأول من حكاية «هالة صادق».

ـ أنا معاك ما تقلقش.. لازم تربي الأوساخ دول.. بس انا عايز اسألك سؤال؟! تفتكر «غادة» راحت فين؟!

ـ مش عارف.. أنا بادور عليها.

ـ تحب اخلص لك الحكاية دي كمان؟!

ـ ياريت لو تقدر.. أنا عايز أعرف هي لسه في مصر ولا رجعت تاني أمريكا ولا راحت فين.

بعد خروجه من منزل «إيهاب»، ذهب «حسين» إلى أحد المساجد ودلف

ليصلي صلاة العصر، ثم جلس بعد تأدية الصلاة يسبح وأثناء تسبيحه.. فرت دمعة على وجنتيه، ذاق طعمها المالح فاقترب منه الشيخ بعد أن لمح دموعه، وجلس قبالته وقد لمح الطيبة في عينيه الحزينتين فسأله:

ـ مالك يا ابني؟!

ـ نظر إليه «حسين» لبرهة متفاجئا، ثم أجابه بنبرة مختنقة: مهموم يا عم الشيخ.. مهموم.

ـ إرمي حمولك على الله يا ابني.

ـ ونعم بالله.. ونعم بالله.

ـ إدعي ربك يفك كربك.. صلي وادعي.. وبإذن الله ربنا يزيح عنك، همّ ليقوم من أمامه لكن «حسين» أمسك به مسرعا ماسحا دموعه: عم الشيخ؟!

ـ أيوة يا ابني؟!

ـ في حلم كنت باحلمه دايما ومش فاهمه.. باحلمه كتير قوي.

ـ إحكي يا ابني.

ـ باحلم اني ماشي في طريق مضلم آخره نور بعيد.. كل ما باحاول أقرب ما احسش اني قربت من النور، وفجأة بالاقي قدامي قط اسود كبير جدا حاجز بيني وبين النور وباخاف منه لما بالاقيه بيبص، وبعد كدا بتظهر مراتي الله يرحمها نازلة من السما في ضوء رهيب لابسة زي الملايكة، بيخاف منها القط وبتشاور له يطلع لسانه برة بقه فبينفذ بتروح شادة من رقبتي سلسلة فيها دلاية لها أطراف حادة وبتغرزها في لسانه بسرعة فبيفضل القط يتلوى ويعوي، فبتروح ساحباني هي للضوء البعيد باحس اني طاير وبعدين بافوق.

ـ بص يا ابني.. الأحلام ساعات بتبقى رؤى بس مش كل وقت.. القط في المنام صديق غير وفي.

ـ نكّس «حسين» رأسه وقد عرف الصديق.

ـ والضوء البعيد حقيقة بتحاول تعرفها، وفي حاجة دايما واقفة بينك وبينها.. مراتك اللي ظهرت بتأكد أن القط ده هو الشخص الكداب اللي في

حياتك لأنها جرحت لسانه بعنف وأنقذتك منه، بس صدقني مش شرط يكون الكلام ده صح.

ـ بس الكلام صح يا عم الشيخ.

ـ قرب من ربنا يا ابني.. ولو ليك ذنوب اطلب منه يغفرها لك.. وما تتقلش كفتك بذنوب تقيلة.

اختفى من أمامه الشيخ وكأنه يعطيه إشارة للتراجع عما انتوى فعله، لكنه مسح دموعه بهدوء وخرج من الجامع متجها لعيادة أحد أطباء أمراض الذكورة الذي لم يذهب إليه من قبل وأخطر الممرضة أنه يريد أن يقوم بتحليل ذكورة.

وفي المساء في منزل «زاهر» حيث كانت «شادية» معه:

ـ لسه ما لقتش الجدع اللي اسمه «حسين» ده؟!

ـ ابن الكلب.. وديني ما هاسيبه.

ـ تفتكر حد من المستشفى ساعده في الهروب؟!

ـ ده أكيد.

ـ طب مين؟!

ـ أهي مين بقى دي اللي لازم أعرفها.. المهم سيبك مالك محلوة قوي كدا ليه؟!

انطلق «حسين» نحو عيادة «خالد» بعد أن علم بنتيجة التحليل الإيجابية والتي أثبتت قدرته على الإنجاب، ظل شاردا طوال طريقه لـ«خالد»، وحينما دلف إلى العيادة، انتبه للتجديدات بديكور العيادة والتي لفتت نظره أول مرة زاره بعد خروجه من المستشفى، تذكر سيارته الفارهة.. من أين كل هذا؟! هل هذا ثمن بيعي لـ«سالم العرابي»؟! ظلت الممرضة تناديه لتنبهه للدخول إلى «خالد» بينما هو شارد، إلى أن أفاقه صوتها من شروده، فقام بخطى ثقيلة ودلف إلى غرفة «خالد» الذي حياه:

«سحس».. عامل إيه؟! إيه النور ده؟! تعالى اقعد.. تعالى.. يا عم باكلمك الموبايل بيديني مقفول.

جلس «حسين» وأجابه بهدوء وكأنه يرى صديق عمره للمرة الأولى:



لا أصله فصل شحن.. عامل ايه يا «خالد»؟!

ـ أنا الحمد لله.. خير شكلك مش مبسوط؟!

ـ تفتكر ممكن انبسط بعد حياتي اللي ضاعت دي.

ـ ضاعت إيه يا عم؟! ربنا يديك الصحة وطولة العمر.

ـ على ذكر الصحة صحيح، أخرج ملف التحليل الذي أجراه ووضعه على المكتب أمام «خالد» مسلطا كل بصره عليه.

ـ إيه ده؟!

ـ إفتحه.

وبعد أن فتح وقرأ سطوره، قال بارتباك سيطر على ملامحه:

معقولة؟! طب والتحاليل اللي لقيناها في البيت! والكلام اللي «ندى» جت قالتهولي.. ممكن تكون «ندى» حبت تنتقم منك عشان خنتها مثلا.. طب ليه تعمدت تيجي تقول لي اللي حكيتهولك!

ـ ابتسم «حسين» ابتسامة باهتة، وقد أدرك أن «خالد» يحاول أن يجد مخرجا لأكاذيبه، ثم أردف بعد تنهيدة عميقة:

ـ مش عارف.. أنا ما بقتش فاهم حاجة يا «خالد».

ـ إن شاء الله.. قطع حديثهما رنين هاتف «خالد» المحمول، نظر «حسين» إلى الشاشة فوجد حرف «S» هو المتصل، فأراد أن يخفف من جو الارتباك خصوصا أنه لاحظ توتر «خالد» من الاتصال.. إيه مزز ولا إيه؟!

ـ هاهاها.. ألو.. أهلا أهلا عاملة إيه؟! باقول لك إيه.. هاكلمك بعدين عشان عندي شغل.

ـ طب انا هامشي بقى يا «خالد».. عشان ما اعطلكش.

ـ إستنى يا «حسين»، اتجه «خالد» نحو خزينة صغيرة بمكتبه.

بينما التفت «حسين» محاولا أن يلتقط أرقام شفرة الخزينة إلا أنه لم يستطع سوى التقاط آخر رقمين (صفر ـ أربعة)، نظر لمحتويات الخزينة من دون أن يلحظه «خالد» فوجد أوراقا كثيرة ودفتر شيكات وبعض الأموال والتي كان يجذب منها «خالد» جزءا، وعاد ليناول ما أخذه من الخزينة من مال لـ«حسين»:

خد دول يا «حسين».. يمكن تحتاج حاجة.

ـ ابتسم «حسين» ابتسامة باهتة وأخذ النقود وملف التحليل الخاص به، ثم هب واقفا ونظر إليه مليا، ثم قال:

عارف؟! إنت الوحيد اللي واقف جنبي من ساعة اللي جرى لي.. أنا ما بقاش ليا حد غيرك.

ـ خل بالك على نفسك وزي ما اتفقنا أنا هاجيلك عشان لو «سالم» مراقبني ما يشوفكش.. قالها مرتبكا ولمس «حسين» في جملته ارتباكه.

ـ ماشي يا «خالد».. ماشي.

بعد أن خرج «حسين» اتجه «خالد» إلى هاتفه المحمول:

ـ ألو.. يا «سالم» بيه أنا قلت لحضرتك ما تطلبنيش لإني ممكن في أي وقت ابقى معاه.. أنا أساسا ما اعرفش هو كشفني ولا لأ.. جاب لي كشف طبي وتحليل النهارده بيقول انه سليم وما عندوش عقم.. ما اعرفش انا فوجئت بيه عمل كدا.. أنا خايف يكون فهم.. ده جاي بيقول لي ببساطة كدا أنه يقدر يخلف.. فاهم يعني إيه؟! يعني أكيد عنده ولو نسبة واحد في المية شك فيا خصوصا إني قلت له قبل كدا ان «ندى» جت وقالت لي انه ما بيخلفش.. أنا طبعا لما قال لي اضطريت اقول له انها ممكن تكون قالت كدا متعمدة انها تنصب له فخ من خلالي لأنها كانت مقررة انها تنتحر.. الله أعلم بقى صدقني ولا ما صدقنيش.. ما اعرفش.. لا يا «سالم» بيه احنا كان اتفاقنا من الأول انه يدخل مصحة آه لكن مش انه يتخطف ويتعذب في مصحة تلات سنين.. لو كان فضل تحت عينيا من الأول ما كانش كل ده حصل وما كانش زماني خايف منه.. آه سألني على «غادة» بس انا ما قدرتش اقوله طبعا أي حاجة.. لازم تتصرف يا «سالم» بيه.

عاد «حسين» ليلا إلى المعمورة وقبل أن يقترب بالسيارة من الشاليه، لمح رجالا بالقرب منه، نظر إليه أحدهم نظرة حادة مشيرا إليه، فانطلق الرجال بالسيارة خلفه مسرعين، فقاد «حسين» السيارة بأقصى سرعة ممكنة وصار بسيارته كالثعبان بين الشوارع الجانبية، إلى أن أوقف السيارة في مدخل فيللا

مظلم وأطفأ محركاتها ونزل منها مهرولا وسط الأشجار التي أحاطت سور الفيللا، ولمح سيارة الرجال تنقب عنه في الشارع المظلم ولم ينتبه أي منهم إليه ولا إلى السيارة.

اتصل مسرعا بـ«إيهاب» بعد أن تأكد من تركهم الشارع: «إيهاب» الحقني.

وبعد ساعة، ذهب «إيهاب» إليه في المعمورة واصطحبه في سيارته إلى أحد السماسرة الذين يعرفهم في منطقة سيدي بشر، واتفق معه على تأجير شقة مفروشة من أجل «حسين».

وقبل أن يهم «إيهاب» بالانصراف من الشقة قال «حسين»:

متشكر يا «إيهاب».

ـ شكرا على إيه يا عم! إنت بتشتمني! أنا عايزك تكن اليومين دول ويومين تلاتة وهاجيب لك اللي اسمه «فايق» ده وهاكلمك تجيلي.

اتصل «حسين» بـ«خالد» وأخبره بما حدث في المعمورة لكنه لم يكمل باقي الحكاية، واكتفى فقط بأن قال له:

«أنا اتصرفت وزوغت وبعدين هابقى افهمك».

ظل «حسين» حبيسا في تلك الشقة ليومين متتاليين يسأل عنه «خالد» محاولا معرفة مكانه، إلا أنه لا يفصح متعللا أنه لا يريد المشكلات لـ«خالد» الذي بدوره لم يكن يلح في سؤاله خوفا من أن يتشكك «حسين» في أمره.

في اليوم الثالث اتصل «إيهاب» بـ«حسين» طالبا منه الذهاب للمديرية للعقيد «نادر درويش»، مخطرًا إياه أنه تم إحضار عم «فايق» للمديرية وفقا لاتفاقهما، ويجب عليه أن يذهب ليراه.

مديرية الأمن الثامنة مساء، مكتب العقيد «نادر درويش».

ـ ها يا عم «فايق»؟! أخدت واجبك؟! سأله «نادر» بابتسامة ساخرة وقد جلس مستندا بظهره إلى كرسيه، رافعا كلتا قدميه على المكتب، بينما بدا أمامه «فايق» كخيال المآتة بملابسه الرثة غير المهندمة ووجهه المنتفخ من آثار اللكمات التي تلقاها.

ـ إنت عايز مني إيه يا باشا؟! قالها بصوت واهن.

ـ ما قلت لك يا عم «فايق».. إنت شكل الواجب نساك وشكلك عايز نوجب معاك تاني.

ـ يا باشا والله.. أنا ما اعرفش الراجل اللي بتسألني عليه ده.. ووالله العظ..

ـ ششش ششش.. أقعد يا «فايق»..

لم يجلس الرجل.

فصرخ «نادر» بنبرته شديدة الخشونة: إيه ما سمعتنيش بروح أمك؟! ما قلت اترزع، جلس عم «فايق» خوفا، فصرخ «نادر»:

أمين «سعيد».. حضر الأمين «سعيد» على الفور.. الراجل ده عايزه يتظبط.. سامعني يتظبط.. وتخليه..

ـ يا باشا انا هاقول لك على كل حاجة.

ـ طب اخرج انت دلوقتي يا «سعيد».. ها إرغي.

ـ في واحد جالي واداني خمستاشر ألف جنيه، وطلب مني اني اخدر الجدع اللي اسمه «حسين»، وقال لي انه هيبعت حد ياخده في العربية اللي بتورد الأكل للمستشفى.. واتفقنا على خطة ونفذناها.. هو قال لي ان واحد قريبه عايز يخرجه من المستشفى دي.

ـ اسمه إيه؟!

ـ اسمه «فادي» يا باشا.. وعهد الله ده كل اللي اعرفه.. ده حتى مش هو اللي قال لي على اسمه.. ده واحد من الرجالة اللي معاه هو اللي غلط وناداه وهو بيتفق معايا.

هنا ظهر «حسين» أمامه من ركن كان مختبئا فيه.

ـ «فادي».. هو «فادي».. دراع «سالم العرابي» اليمين اللي عايز قطعه

ـ «حسين»؟!

ـ «حسين» بيه.. «حسين» بيه يا كلب.. ده انا أنقذتك من الموت وانت كان بينك وبينه خطوة.. فاكر؟!، ثم قال بنبرة منفعلة أكثر: فاكر ولا مش فاكر؟! أنا هاضيعك زي ما ضيعتني.

ـ سامحني يا «حسين» بيه.. أنا هاعمل كل اللي تقول لي عليه.. بس سامحني.

ـ عايزه يسامحك يبقى هتعمل اللي هنقول لك عليه بالحرف، ولو لعبت بديلك كدا ولا كدا أنا هاخفيك واديك شفت أسهل حاجة اني اجيبك هنا.

ـ حاضر.. أنا هاعمل كل اللي هتقولولي عليه، قالها متلعثما خائفا.

بعد قليل اتصل «فايق» أمام «حسين» و«إيهاب» من هاتفه المحمول لهاتف «فادي»:

أيوة يا «فادي» بيه.. أنا عم «فايق» بتاع مصحة دكتور «رامز ياسين».

ـ خير.. عايز إيه؟!

ـ في واحد اسمه «حسين» جه سأل عليا عندي في الحتة.. هو الراجل هرب ولا إيه؟!

ـ أيوة اتنيل هرب.. إرتحت؟! خلي بالك على نفسك بقى واتدارى في أي حتة اليومين دول.

ـ أتدارى فين؟! أنا ما ليش دعوة.. إحنا ما اتفقناش على كدا يا «فادي» بيه.

ـ ما اتفقناش على إيه يا روح أمك.. إنت واخد خمستاشر ألف جنيه حلاوة تهريبه وكدبت ع المستشفى اللي انت شغال فيها والكدبة متسجلة في محضر رسمي.. يعني شهدت شهادة زور.. لمّ الدور احسن لك يا «فايق».. عشان أي حركة مش هتبقى في صالحك.

ـ أمال استنى لحد ما الاقي «حسين» في وشي ويخلص عليا؟!

ـ ما انا عشان كدا باقول لك كن اليومين دول في أي حتة لحد ما نتصرف.. ومن هنا لحد ما اكلمك تاني.. ما تفكرش تتصل بيا خالص ولا تفكر اسمي يفوت حتى على بالك.

ـ ماشي يا باشا.. ماشي.

أغلق «فايق» الهاتف ونظر إليهما نظرة متسائلة تنم عن استفهامه إذا كانا راضيين أم لا، فبصق «حسين» في وجهه باحتقار، ثم قال مبتسما:

ممثل بارع يا ابن الكلب، بينما اكتفى «نادر» بابتسامة خبيثة قائلا: بس خل بالك.. إحنا لسه هنعوزك في مصلحة تانية.

ـ وأنا تحت أمركم يا باشا.. كل اللي هتطلبوه هانفذه.

فابتسم كلاهما للآخر ابتسامة لمعت فيها عيناهما بالانتصار.

خرج «حسين» وقد قرر بدء اللعبة، فاتصل بـ«شادية»: باقول لك ايه؟! عايزك في مشوار ضروري الصبح.. هاكلمك بدري.. سلام دلوقتي.

باكرا في صباح اليوم التالي ذهبت «شادية» إلى عيادة «خالد الشناوي» ووقفت أمام الممرضة المساعدة في فمها لبانة تتشدق بها، ثم قالت:

عايزه ادخل للدكتور!

ـ نقوله مين؟!

ـ قولي له واحدة قريبته من بعيد.. «صفا» يا اختي.. إسمي «صفا».

دهشت الممرضة من طريقتها، ثم دلفت إلى الداخل وعادت بعد دقائق إليها مشيرة لها بالدخول، فدخلت «شادية» إلى غرفة «خالد» الذي انتبه لها.. لم يتعرف عليها في اللحظة الأولى، ثم جحظت عيناه حينما تذكرها.. فقال متفاجئا:

إنتي إيه اللي جابك هنا يا بت انتي وعرفتي طريقي ازاي؟!

ـ اللي يسأل ما يتوهش يا دكتور وانت صورك ما شاء الله منورة الجرايد والفيسبوك على طول.

ـ جاية ليه يا «صفا»؟!

ـ الراجل يا اخويا اللي ودتني ليه في البار في الليلة السودا.. طلع لي فجأة من تحت الأرض في المستشفى اللي باشتغل فيها وهددني اذا ما كنتش ارسيه ع الليلة كلها ليكون فاضحني.

ـ ليلة إيه؟! سألها «خالد» مرتبكا.

ـ قال إيه بيقول ان ولاد الحرام وهموه انه يعرف ستات كتير وانا واحدة منهم، جلست على المقعد أمامه قبل أن تكمل حديثها، تصدقها دي يا دكتور؟! قالتها وهي تمسك بإحدى البراويز الصغيرة الموضوعة على المكتب.

- من الآخر أنا مطلوب مني إيه بالظبط؟!

- والله كلك نظر بقى.. شوف انت.. واحد بيتنشق على خبر زي ده.. يساوي عندك كام لو فضلت ساكتة وما اتكلمتش؟!

هنا قطعهما رنين جرس السكرتارية: دكتور «خالد».. «حسين» بيه هنا وعايزك ضروري.

- إيه؟! طب دخليه الأوضة التانية لحد ما اجيلك.. التفت مسرعا لـ«شادية»: حسك عينك تطلعي نفس ولا تتنقلي من هنا لحد ما ارجع لك انتي فاهمة؟!

- ليه هو في إيه؟! هو ايه أصله ده؟!

- إسمعي اللي باقول لك عليه وإلا مش هيحصلك طيب.

لقد ارتبك «خالد» وهذا ما أراده «حسين» ورمى إليه من خلال خطته بذهابه هو و«شادية» إلى العيادة في نفس التوقيت وبخروج «خالد» من غرفته لاستقبال «حسين» في غرفة أخرى، سنحت الفرصة الكاملة لـ«شادية» لتغيير جلستها وفقا للخطة التي وضعتها مع «حسين» فجلست على كرسي في مواجهة الخزينة الصغيرة الموجودة بالغرفة وأمسكت بهاتفها وأدارت الكاميرا، ثم كبرت عدسة التصوير وجربتها على مفاتيح الخزينة من موقعها فوجدتها تعمل بصورة جيدة، ثم هبت واقفة مزيحة الكرسي بعيدا عن المكتب قليلا بشكل مائل غير ملحوظ وذلك حتى يتسنى لها التصوير بالشكل الصحيح من دون حتى أن يحجب جسد «خالد» لوحة المفاتيح أثناء فتحه الخزينة، فابتسمت منتظرة تنفيذ باقي الخطة، وفي هذه الأثناء دار الحديث التالي بين «حسين» و«خالد» في الغرفة المجاورة:

- خير يا «حسين» قلقت لما قالوا لي انك هنا؟!

- لا خير ما تقلقش.. أنا آسف اني جيت لك بدري بس أصل محتاج فلوس ضروري تلات اربعة آلاف جنيه.. أمشي بيهم نفسي كدا لحد ما اعرف آجي لك تاني لو ينفع تديهم لي بشيك يبقى أحسن.

- حاضر من عينيا.. بس مش هتطمني وتقول لي انت قاعد فين ولا ازاي؟!

- بعدين هابقى افهمك يا «خالد».. بعدين.. خليني أمشي بسرعة الله يخليك ليكون حد مراقب العيادة.

- طيب ثواني هاجيب لك الشيك من جوة.. معلش ما دخلتكش عشان في واحدة هوبااا خالص جت لي بدري النهارده.

- لا ولا يهمك.. مستنيك.

اطمأن «خالد» لعجلة «حسين»، وذهب مسرعا للغرفة حيث وجد «شادية» جالسة لم يوجه لها أي حديث ولم ينتبه لتغير جلستها وانطلق للخزينة، فأمسكت «شادية» بهاتفها المحمول متصنعة أنها تسوي طرحتها في شاشة الهاتف، بينما هي تصور يده وهي تضرب أرقام شفرة الخزينة ونجحت في ذلك، فوضعت الهاتف في حجرها قائلة:

أنا لسه قدامي هنا كتير؟!

- ششششش.. ما تتكلميش خالص.. لحد ما ارجع لك.

لوت شفتيها بينما أخرج هو دفتر الشيكات الخاص به وكتب شيكا باسم «حسين» بمبلغ خمسة آلاف جنيه، وأعاد الدفتر إلى الخزينة، ثم أغلقها وذهب بالشيك إلى «حسين»، فهبت هي مسرعة لتنفيذ آخر جزء من الخطة، وفتحت الخزينة بالأرقام التي التقطتها كاميرتها، فلم تجد بها سوى بعض الأوراق لمحت على بعض منها اسم «حسين» واسم «ندى» فأخذتها وبعض المبالغ النقدية التي لم تقترب منها، وجذبت دفتر الشيكات وقطعت منه خمسة شيكات، ثم أعادته مكانه وأغلقت الخزينة، دست كل ما جمعته في حقيبتها الكبيرة سريعا، ثم فتحت باب الغرفة هامة بالخروج إذ كان الاتفاق بينها وبين «حسين» ألا يتعدى آخر جزء من الخطة ثلاثة دقائق من الوقت حتى تتسنى لها الفرصة للخروج، خرجت «شادية» مارة بالممرضة بالخارج، وقالت لها:

طب يا حبيبتي بقى لما يخلص الدكتور قولي له قريبتك مشت عشان مستعجلة وهتفوت عليك تاني.

خرجت من دون أن تنتظر ردا منها، طارت سريعا خارج العمارة واختفت تماما وتلاها «حسين» في الخروج، وقبل أن يخرج قالت الممرضة للدكتور:

الست اللي كانت هنا مشيت وبتقول هتيجي لحضرتك بعدين.

ارتبك «خالد» وحاول ألا يظهر ارتباكه أمام «حسين» الذي بالطبع لاحظه: طيب طيب.. ماشي يا «حسين».. أنا شوية كدا وهاكلمك.

ـ ماشي يا «خالد».. سلام.

اتصل «حسين» بـ«شادية» وبعد قليل..

ـ عفارم يا «شادية».. عفارم.

قالها وهو يأخذ منها الملف والشيكات الخالية من أي بيانات سوى تلك الخاصة برقم حساب «خالد».

ـ أي خدمة.. أظن الحكاية كلها مشيت زي ما رتبت لها.. بس باقول لك ايه انا خايفة.. الراجل ده هيقلب عليا الدنيا لحد ما يلاقيني لو حس بحكاية الشيكات دي.

ـ ما تخافيش يا بت مش هيلحق.

ـ ليه هو انت ناوي له على إيه؟!

ـ كل خير.. بصي.. أنا ورايا كام مشوار كدا هاخلصه واكلمك.

رتب «إيهاب» كل خطته مع صديقه «نادر درويش» الذي كان يحب «إيهاب» للغاية ولم يتوانَ عن مساعدته لحظة، خاصة حينما أوضح له «إيهاب» حقيقة مشكلة «حسين»، ذهب «حسين» مع «إيهاب» إلى العقيد «نادر درويش»، وضع «إيهاب» الشيك الموقع بتوقيع «خالد» أمام «نادر» مع باقي الشيكات فأومأ «نادر» برأسه مبتسما: ١٠٠ ١٠٠.. أمين «سعيد» ابعت لي الواد «أيمن» (الجنّ) من الحجز.. الواد «أيمن» ده بقى أصيع واحد فيكي يا مصر يضرب توقيعات.

ـ مش عارف اقول لك ايه يا «نادر» بيه.

ـ يا «إيهاب» باشا انت جمايلك مغرقاني وكل اللي تؤمر بيه لازم انفذه.

ـ متشكر جدا يا «نادر» باشا.. أنا مش عارف اشكرك ازاي ولا اقول لك إيه على مسعادتك لينا.

ـ يا «حسين» بيه ما تقولش حاجة.. بس خلص بسرعة واكتب التفويض عشان يمضيه بالمرة.



أخذ «حسين» يكتب صيغة تفويض:

السادة بنك....

تحية طيبة وبعد،

أفوض أنا «خالد الشناوي» حساب رقم/ ....، السيد/ فايق عبد الحميد غنّام، بطاقة رقم قومي/ ..... في استلام كشوف الحسابات الخاصة بي، ولكم جزيل الشكر.

الاسم: خالد الشناوي التوقيع: ....

دلف «أيمن» إلى مكتب «نادر» مع الأمين «سعيد»، فأمر «إيهاب» بعدم دخول أي شخص إليه، حتى ينادي «سعيد» مجددا:

ـ إيه يا عم «مُنّ» عامل إيه؟!

ـ تمام يا باشا.. قالها وهو ينظر إلى «إيهاب» و«حسين» بارتياب.

ـ بص بقى يا عم «أيمن» لو اتجدعنت معايا في اللي هاطلبه منك.. هاظبطك وهاخرجك من المصايب اللي انت عاملها.

ـ خير سعادتك؟!

ـ بص بقى انا عايز التوقيع ده على الخمس شيكات دول وعلى التفويض ده.. هتعرف تعمل الحكاية دي ولا اشوف حد غيرك؟

ـ نظر إلى التوقيع سريعا، ثم قال:

ـ موافق.. بس بشرط يا باشا.

أصدر «نادر» شخرة رنانة من أنفه:

نعم يا.. أمك! أنت هتتشرط عليا أنا؟! طب وحياة أهلك ما انت شايف خير الأيام الجاية ووريني بقى نفسك يا جنّ.

كل هذا و«حسين» يتابع الأمر في صمت وذهول.

ـ يا باشا انا مش قصدي.. أنا قصدي تخرجني من القضية الآخرانية بس عشان هي أتقل قضية انا لابسها.

صمت «نادر» لبرهة قبل أن يجيبه ونظر إليه نظرة حادة شرسة:

ماشي وهاظبطك في محامي كمان هيخرجك منها زي الشعرة من العجينة.

تابع «إيهاب» الموقف باهتمام.

لم يجبه «أيمن» وأخذ ينظر إلى توقيع «خالد» مليًا، ثم أخذ يتحسس ظهر الشيك بأنامله.

ـ بتعمل إيه يا ابني الله يحرقك.

ـ باشوف الخط تقيل ولا خفيف سعادتك.. لو في بروز في ضهر الشيك مكان خطوط التوقيع يبقى اللي موقع إيده في الكتابة تقيلة ولو لأ يبقى العكس.

ابتسم «حسين» ارتياحا

ـ طب خلص يللا.. قدامك اهو ورق ابيض اتدرب فيه ع السريع.

أخذ يوقع مرة واثنين وثلاثة وعشرة في الورق الأبيض، إلى أن أتقن التوقيع تماما وصار متطابقا مع توقيع «خالد» الأصلي لدرجة غير عادية، فقام على الفور بإمضاء الشيكات والتفويض وقد تهللت أساريره فرحا حينما لمح نظرة الانبهار والإعجاب في عيون «حسين» و«إيهاب» و«نادر» رغم محاولة الأخير إخفاء انفعالاته قائلا باقتضاب: تسلم إيدك يا «منّ» يا جنّ وانا عند وعدي.. أمين «سعيد»، أشار لـ«حسين» بإخفاء الأوراق والشيكات قبل أن يدلف «سعيد»: خد «أيمن» ومش عايزه تبقى ناقصاه حاجة.. تظبطه في أكل وسجاير وكافة شيء تظبيطة أصلي.. سامعني.

وبعد خروجهما قال «إيهاب» مسرعا: عندي ليك خبر حلو.. أنا جبت لك عنوان «هالة صادق» وعندي طريقة هادخلك بيها بيتها كمان.. في برنامج هيتصور كمان كام يوم في بيتها في القاهرة.. هتدخل مع العمال ودورك بقى انك تزوغ جوة البيت وتستخبى في أي حتة.

ـ يااااااه.. ربنا يكرمك يا «إيهاب».. أنا مش عارف اقول لك إيه.

ـ يا ابني ما تقولش حاجة.. أنا ما عملتش حاجة أصلا.. أهم حاجة دلوقتي تخلص قصة البنك بسرعة قبل ما «خالد» يحس ان الدفتر نقص منه ورق.

ـ أنا هاكلم «فايق» دلوقتي على طول.

في اليوم التالي كان عم «فايق» في البنك وقد سلم التفويض لموظفة خدمة العملاء التي طبعت على إثره بيانًا بكشف حساب «خالد الشناوي»، أخذ «فايق» الأوراق وخرج بها لـ«حسين» الذي كان ينتظره خارج البنك، أخذ الأوراق منه متلهفًا، ثم قال:

تسلم إيدك يا عم «فايق».

- تؤمرني بأي حاجة تاني سعادتك؟!

- لا تسلم.. لما اعوزك تاني هاكلمك.. سلام انت دلوقتي.

فتح الأوراق ليكتشف أن الرصيد الحالي بحساب «خالد» يتعدى الستة ملايين جنيه، صدم «حسين» وقد أيقن أن صديقه قد باعه لـ«سالم العرابي» مقابل المال، عاد إلى المنزل، ثم أخرج هاتفه المحمول متصلا بـ«إيهاب» قائلا:

ستة مليون ومتين ألف جنيه يا «إيهاب».

- تمام.. زي ما اتفقنا.. شيك واحد بالمبلغ ده هيتكتب لحامله، و«شادية» هتروح تصرفه ببطاقة مضروبة هاظبطها لها واجيبها لك.. طبعا هتروح متأنتكة تماما ومغيرة شكلها على قد ما تقدر.

- والأربع شيكات الباقيين؟!

- هيتكتبوا بأسامي شخصيات مختلفة، وطبعا هيتقدموا بعد ما الشيك الأولاني يتصرف وياخدوا رفض من البنك ويتقدموا بعد كدا للنيابة، وسلم لي على «خالد الشناوي» ساعتها بقى.

- تمام.. كدا تمام.

وبعدها بأيام كان «حسين» في منزل «هالة» التي تعيش وحدها بفيللتها الصغيرة مع ثلاث خادمات إذ استطاع «إيهاب» ترتيب كل الأمور له، دلف «حسين» إلى المنزل مع عمال التصوير، فاجأته فخامة المنزل والثراء الواضح وضوح الشمس في كل قطعة أساس موجودة بالفيللا، أي امرأة تلك التي استطاعت أن تكون نجمة كبيرة في وقت قصير للغاية بهذا الشكل؟! انتهز «حسين» فرصة انشغال العمال بمعدات التصوير، فاختفى عن أنظارهم واختبأ في غرفة نومها، ظل «حسين» رابضا في غرفة نومها

في انتظار دخولها وبمجرد أن دلفت إلى الغرفة، انقض عليها وكمم فمها بمنديل قماش به سائل مخدر، حاولت أن تنفلت منه لكنه سيطر بقبضته على رأسها حتى أغشي عليها وسقط جسدها أمامه، أسرع بتقييدها سريعا في السرير، ووضع شريطًا لاصقا سميكا على فمها، ثم جلس منتظرا أن تفيق، لم تمر خمس دقائق إلا وبدأت تفيق فحدقت النظر به في ذهول إذ اتسعت حدقتا عينيها كما لم تتسعا من قبل من هول مفاجأة وجوده أمامها، لاحظ هو ذلك فاقترب منها بادئا بالحديث، ممسكا بسكين متوسط الحجم:

إيه مش مصدقة؟! ولا خايفة؟! ثم همس في أذنها بعد أن اقترب منها:

عارفة إيه اللي كشفك؟! أمسك بيده سلسلته المعلقة في صدرها: دي.. آه والله دي.. عشان غبية.. إنتي واللي اتفقتي معاهم عليا أغبيا.. ما تصورتوش اني ممكن اعرف كل حاجة.. مش كدا.

قالها صارخا فازداد خفقان قلبها خوفا.. أنا بقى عايز اعرف الحكاية من أول الليلة إياها.. فاكراها ولا افكرك.

أشارت له أنها تريد أن تتكلم فاستطرد:

طبعا مش محتاج انبهك مافيش داعي للصريخ.. قالها محذرا إياها بالسكين في يده، ثم انتزع الشريط اللاصق من على فمها بعنف:

آه.. آه..

- إيه اتوجعتي؟!

- أنا هاحكي لك على كل حاجة.

أنا اخت «إنجي صادق» التوأم اسمي «هالة» إحنا من اسكندرية.. «إنجي» طول عمرها كانت بتنكرني.. طول عمرها كانت بتعاملني وحش وحظي ان ما كانش ليا حد غيرها خصوصا بعد ما بقت نجمة إغراء درجة أولى ووصلت بطرقها غير المشروعة والرخيصة للنجومية.. طريقة اقلع اكتر تتشاف اكتر.. فرضت عليا ان ما حدش يعرف ان ليها أخت توأم بشكل مؤقت لحد ما تعرف تشبك نفسها في الوسط الفني بس مش دي الحقيقة.. الحقيقة انها كانت عارفة ومتأكدة اني كنت بامثل احسن منها.. كانت خايفة

مني.. كانت خايفة اني لو مثلت ما حدش يعبرها.. فرضت عليا حصار ما انزلش من البيت إلا من غير نقاب.. عشان ما حدش يشوفني ويفتكر اني هي.. كرهتها وكرهت الشبه اللي بيني وبينها وكنت باحب واحد، بكت أثناء سردها مسترجعة الأحداث بينها وبين «إنجي»

جلست «إنجي» في فيللتها تدخن سيجارة بعصبية إلى أن عادت «هالة»

ـ أنا كام مرة قلت لك ما تخرجيش من غير الزفت النقاب لحد ما اقرر اعلن انك موجودة أصلا.. إنتي إيه عايزة الناس تفضل تشاور عليكي وتسلم عليكي؟! مش ده اللي انتي عايزاه؟! مش ده اللي انتي كنتي بتحلمي بيه؟! هاااا؟! لا وكمان رايحة تنزلي مع الهلفوت اللي بيجري وراكي بقى له شهر وزيادة.. عشان كمان الصحفيين يكتبوا ان «إنجي صادق» كانت قاعدة في الكافيه الفولاني مع واحد جربوع.

ـ إنتي عايزة مني إيه يا «إنجي»؟! ولا افكرك باسمك القديم واقول لك يا «زينب».. أنا مالي ومالك؟! وبعدين ما تقولي انك عندك أخت توأم وتخلصيني.. هو انا مش هاعيش حياتي عشان انتي تعيشي زي ما انتي عايزة! أظن فات وقت كفاية عشان تقولي.

ـ قلت لك لما ييجي الوقت المناسب.

ـ أجيب لك من الآخر انتي خايفة، قالتها بتحدٍّ فنظرت لها «إنجي» غضبًا، ومع ذلك استطردت: أيوة خايفة.. خايفة عشان عارفة اني لو فكرت بس امثل انتي مش هيبقى لك وجود وانا وانتي عارفين كويس قوي انتي وصلتي للي وصلتيله ازاي.

ـ إخرسي، ألقت بسيجارتها في المنفضدة أمامها، ثم هبت واقفة بصدد «هالة» ممسكة بذراعيها بعنف: وإياكي تكلميني بالطريقة دي تاني.. إنتي من غيري ولا حاجة.. أنا اللي باصرف عليكي.. أنا اللي من غيري ما تسويش ولا حاجة.. أنا اللي ملابساكي الهدوم اللي انتي لابساها.

ـ آه وفوق ده كله مخبياني.. بتخبيني ليه؟! ليه؟! فاكرة ان الناس مش هتعرف! قالتها مزيحة قبضتيها من على كتفيها.

ـ عرضت عليكي تسافري برة كام مرة يا «هالة»؟!

ـ هو انتي يا تسفريني برة البلد خالص يا إما تحبسيني هنا بين اربع حيطان؟!

ـ هي كلمة واحدة مافيش غيرها.. قدامك حاجة من الاتنين يا تفضلي هنا من غير ما حد يعرف حاجة عنك يا إما تسافري.

سألها «حسين»: نعم وانا المفروض اصدق الهبل ده؟! يعني إيه ما كانش حد يعرف أبدا ان لها أخت توأم.

أجابته: لأ.. هي خططت لكل حاجة من أول يوم وقفت فيه قدام كاميرا.. طلبت مني الطلب ده وأنا نفذته بحسن نية، خصوصا لما نقلتنا من الحتة اللي كنا عايشين فيها كمان للفيللا دي.. فما بقاش في حد عارف غير ان لها أخت منقبة وفضلنا خمس سنين ع الحال ده.

لما خيرتني بين السفر وهنا.. اخترت اني افضل هنا، بس كل يوم كنت باكرهها اكتر من اللي قبله خصوصا بعد ما قابلت الراجل اللي حبيته وجابت له عقد عمل في الإمارات عشان يبعد عني على أمل اني ممكن اسافر وراه، بس انا عندت اكتر وأسقطته من حساباتي وصممت اني افضل حتى بعد ما عرفت انه سافر، عمرها ما حبتني كانت إنسانة أنانية ما بتحبش الا نفسها، قررت اني اروح لأي حد من المنتجين اللي كانت تعرفهم عشان اضربها في مقتل.. يمكن يديني فرصتي وابقى ممثلة بجد زي ما حلمت مش على طريقتها.. واخترت «سالم العرابي» لانه كان واحد من منتجين فيلمها الأخير وكنت عارفة انها كانت على علاقة بيه، بس لما لقت رجل أعمال أغنى منه سابته والحكاية دي كانت مجننة «سالم العرابي» منها ومخلياه مش طايقها زيي، كنت محتاجة حد اتكلم معاه واحكي له.. الكلام ده كان من أربع سنين.. حكت له كل حاجة.. كل حاجة.. اللي فاجئني انه قرر يساعدني.

ـ أنا زهقت يا مستر «سالم» منها ومن اللي بتعمله فيا.. نفسي تختفي من حياتي للأبد.

ـ هي فعلا ما تتعاشرش.. ما انا قدامك اهو ساعدتها قد إيه ووقفت

جنبها لحد ما بقت نجمة وفي الآخر سابتني وراحت لواحد تاني.. إحلمي انك تبقي مكانها يا «هالة».

ـ هاهاها بتضحكني.. مكانها ازاي بس؟!

ـ واللي يخليكي تبقي مكانها! واحسن منها مليون مرة كمان!

ـ إيه؟! ازاي يعني؟!

ـ حاجة بسيطة قوي.. لعبة صغيرة قوي هنلعبها.

ـ لعبة إيه دي؟!

ـ واحد صاحبي.. حبيبي يعني.. عنده حالة نفسية كدا وكنت عايز افرفشه شوية بس مش فرفشة عادية، ومن غير ما يحس اني باعمله الحكاية دي.

ـ تفرفشه يعني إيه؟! إنت ازاي تقول لي حاجة زي كدا! لو فاكرني زي «إنجي» تبقى غلطان.

ـ إستني بس انتي فهمتي ايه! إنتي هتقابليه كام مرة بس في بار معين هو بيقعد فيه في العجمي بس هتقابليه على انك «إنجي».. كل المطلوب منك انك تروحي البار كام مرة بس وتقعدي هناك وتحاولي ان يحصل بينكم نظرات مش أكتر.

ـ يا سلام وهو ده اللي هيفرفشه.. وبعدين اقول اني «إنجي» ليه؟!

ـ ما قلت لك ده جزء من اللعبة اللي هتخليكي تبقي مكانها.

ـ أنا مش فاهمة حاجة.. وبعدين «إنجي» أكيد هتعرف حكاية اني باروح هناك ومش هتسكت وهتبهدلني.

ـ بعدين هتفهمي كل حاجة.. المهم دلوقتي انك عايزه تمثلي.. إعتبري ان ده التيست بتاعك ولو نجحتي فيه هاطيرك سابع سما.. ومش بس كدا انا هاخلي اللي أذتني وأذتك عبرة.

طبعا وافقت لما حسيت ان خلاص حلمي أخيرا هيتحقق، ابتديت اروح وانت شفتني هناك وبعدها بتلات أسابيع «إنجي» عربيتها اتقلبت في البحيرة على طريق برج العرب وماتت، لما حصل كدا طلب مني اني اجي لك تاني يوم عند البار وما ادخلش ولا ابين وشي عشان كدا جت لك لابسة نضارة

كبيرة وإيشارب واتصلت بيك عشان تخرج لي ورحت معاك البيت وحطيت لك منوم في كاسك، ونزلت بعد ما اديتك إيحاء ان حصل بيننا حاجة لكن الحقيقة ان ما حصلش أي حاجة، والسلسلة عجبتني فأخدتها من رقبتك عشان عليها أول حرف من اسمي.

بعدها «سالم العرابي» قال لي انه مشارك في إنتاج كبير للفيلم الأخير لـ«إنجي».. وقال لي ان كان لها دور مهم فيه وصورت نصه تقريبا ومافيش سيولة كفاية انهم يعيدوا مشاهدها بممثلة تانية بعد وفاتها.. رحت وعملت تيست كاميرا مع المخرج وكملت الفيلم وعملت بعدها أفلام تانية ومسلسلات وبقيت «هالة صادق».

صدم «حسين» من هول ما سمعه، ثم تدارك الأمر: أومال ازاي «سالم» قال لك هاخليكي مكانها؟! يعني هو قتلها وخلاكي تلعبي عليا اللعبة دي كلها عشان اشك ان كان معايا واحدة ماتت أساسا! خصوصا ان ما حدش كان يعرف موضوعك ده وقتها!

قاطعته مسرعة وقد أربكها سؤاله نوعا ما:

أنا سألته.. كان يقصد إيه لما قال لي كدا.. قال لي انه كان ناوي يخليني امثل من ورا «إنجي» بشكل مؤقت لحد ما يظهرني وقال انه طلب مني كدا عشان لو حصل وانت كنت واجهت «إنجي» ساعتها.. أكيد كانت هتنكر انها كانت معاك من الأساس.

صمت «حسين» لبرهة، ثم نظر إليها:

هاشوفك تاني ومش محتاج احذرك أي كلمة حتقوليها لـ«سالم» انا هاعرفها وهازعلك واديكي شفتي دخلت أوضة نومك بسهولة ازاي.

في تلك الليلة عاد «حسين» إلى الشقة ليرتب أفكاره إلى أن فوجئ باتصال من عم «فايق»:

ـ خير يا «فايق» في إيه؟!

ـ الجدع اللي اسمه «فادي» جالي البيت وسألني إذا كنت جت لي ولا لأ؟!

ـ وبعدين؟!

ـ وبعدين طلب مني انك لو جت لي.. اديك نمرة التليفون اللي سابها لي عشان عايزك تكلمه ضروري.. أنا خايف يا باشا ليكون ده ملعوب بعد ما كلمته وقلت انك جيت سألت عليا في الحتة.

ـ كله وارد.. يا «فايق».. عامة اديني رقم التليفون وانا هافكر كدا واقول لك هنعمل ايه.

اتصل «حسين» على الفور بـ«إيهاب» وروى له كل ما حدث، فحذره «إيهاب» من ذلك الفخ المبهم خاصة أن «فادي» هو ذراع «سالم» اليمنى كما أخطره «حسين» من قبل، ثم طلب منه الرقم ليحاول أن يستعلم عنه بطريقته، ولم يمر يوما إلا وأخبره «إيهاب» أن الرقم باسم «فادي عبد الرحيم الجمّال» وبعد أن فكَّرا معًا قررا أن يهاتفه «حسين» بعد أن ابتاع «حسين» خطا جديدًا، واتفق كلاهما على أن يقابل «حسين» «فادي» في مقهى على البحر حيث اختار «إيهاب» المكان بنفسه، وقرر أن يوصي زملاءه بتأمينه بطريقته حتى يستطيع أن ينقذ «حسين» إذا حدث أي شيء خارج خطتهم.. كانت مغامرة إلا أنهما اعتزما النية على خوضها، علهما يجدان ما يوقعان به «الفريسة» بشباكهما.

ـ سلام عليكم.. أنا «حسين الصاوي».

ـ آه.. أهلا يا باشا.. ممكن تديني ساعة واكلمك.

ـ تمام.

انتظرا مكالمته معا، مرت الساعة دهرًا، افترسه خلالها الانتظار افتراسًا إلى أن رن هاتفه، فأشار له «إيهاب» بالتمهل وألا يجيب الاتصال مباشرة، فانتظر «حسين» لثوانٍ تلهفت خلالها أصابعه على ضغط زر الرد، وبعد ثلاثين ثانية أشار له «إيهاب» بالرد.

ـ «حسين» بيه.. أنا عايز اقابلك ضروري في حاجات مهمة لازم تعرفها.

ـ حاجات إيه دي؟!

ـ مش هينفع اقول لك أي حاجة في التليفون.. ينفع نتقابل النهارده؟!
ـ نتقابل؟! نظر «حسين» لـ«إيهاب» وهو يردد كلمة «فادي» ليوضح له غرضه، ثم استطرد: ماشي.
ـ طب تحب نتقابل فين؟!
ـ قابلني في كافيتيريا السلسلة اللي في وش المكتبة الساعة تمانية ونص.. أي حركة كدا ولا كدا مش في مصلحتك ولا في مصلحة اللي مشغلك.
ـ صدقني لما هاقابلك هتتأكد اني معاك مش ضدك.
أمن «إيهاب» كل مخارج ومداخل الكافيتيريا ولم يدخل «حسين» إلى الكافيتيريا مباشرة عند الميعاد حيث ظل منتظرًا في الخارج ليتأكد من دخول «فادي» أولا وفقًا لتعليمات «إيهاب»، وبعد أن أتى «فادي» تلاه «حسين» في الدخول بعد خمس دقائق.
ـ والله زمان يا «فادي».
ـ أهلا يا «حسين» بيه.
ـ خير جاي تسلمني لمصحة وسخة تانية المرة دي ولا إيه!
ـ إنت عرفت؟!
ـ أومال كنت فاكرني مش هاعرف.
ـ بص من غير لف ولا دوران.. أيوة انا اللي رتبت نقلك لمصحة «زاهر» حسب تعليمات «سالم العرابي».
ـ جميل وجاي عايز مني إيه بقى النهارده!
ـ النار اللي حرقك بها «سالم العرابي» ما طالتكش لوحدك.. طالتني انا كمان، قالها وهو يشعل سيجارة وناول أخرى لـ«حسين».
ـ إزاي؟!
ـ أنا بقا لي سنين باخدمه بعينيا ورغم كدا أذاني.. أنا كنت خاطب واحدة جارتي.. كانت حب عمري، شافها «سالم» مرة واحدة معايا.. واحدة واحدة ابتدت تتغير معايا وانا ما كنتش فاهم ليه وقبل فرحنا بكام شهر، البنت اختفت.. قلبت عليها الدنيا ما لقتهاش وطلبت من «سالم» نفسه يساعدني



وكان بيساعدني أو بمعنى أصح عرف يوهمني انه بيساعدني.

ـ وبعدين؟!

ـ بعد كذا سنة اكتشفت أن «سالم» اتجوز البت دي في السر.. عينيه زغللت عليها لما شافها معايا.

ـ فانت طبعا عايز تساعدني وتاخد بتارك منه.. المفروض اني اصدقك واصدق حكايتك الهبلة دي بعد اللي عملتوه فيا!

ـ بص.. أنا عارف انك كان ممكن ما تصدقنيش عشان كدا جبت لك حاجة معايا، وأخرج من جيبه أسطوانة ناولها لـ«حسين» مستطردا: شوف الفيديو اللي ع السي دي ده وبعدين نتكلم.. صدقني لما هتشوف الفيديو ده هتثق فيا جدا.. أنا هامشي دلوقتي وهاستنى تليفونك.

تركه «فادي» شاردًا أمام البحر، ذلك البحر الشاهد الوحيد على حكايته من بدايتها: يا رب.. أنت تعلم ما بي.. أنت تعلم أنه ليس بيدي، لم يعد لي خيار، لم يتركوا لي أية فرصة.. يجب أن آخذ حقي.. يجب أن أسترد سنوات عمري التي سرقت مني في المصحة.. أن أنتقم لنفسي ممن تآمروا عليها ليصنعوا مني مختلا قاتلا.. حان وقت العقاب.. حان دوري في اللعب، حانت ساعة حظي وساعة هزيمتهم، أعلم أن كل ما حدث لي هو جزء من عقابك.. عقاب خطاياي.. عقاب ظلمي لـ«ندى».. عقاب إهمالي لها ولكن من أذن لـ«سالم» أن يعاقبني؟!، بأي حق يشترك «خالد» صديق العمر في تلك المؤامرة عليّ؟!، وستظل علامة الاستفهام «غادة».. هل لها صلة بالأمر؟! أيا كان سآخذ حقي وأستعيد نفسي التي سرقت مني، والبداية ستكون بـ«سالم» سأوهمه كما أوهمني، أهم جانب في الجريمة أن يكون عقل الجاني مذنبا أيضا.. هذا ما قرأته واطمأنت به نفسي حينما أوهمني «سالم» بواسطة «خالد» أنني قتلت «ندى».. الفعل لا يجعل من شخص مذنبا إلا إذا كان عقله مذنبا أيضا، وسأصنع حيلتي للانتقام من «سالم» بنفس الطريقة.

أشعل سيجارة، ثم تذكر أمر الأسطوانة التي كانت بين يديه، فاتصل

بـ«إيهاب» طالبا منه أن يأتيه بجهاز اللاب توب خاصته، وفي طريق عودته إلى الشقة اتصل بـ«خالد» وطمأنه عليه حتى لا يشك في أمره.

آتاه «إيهاب» باللاب توب، فأسرع «حسين» بوضع الأسطوانة ولم يجد بها سوى فيديو مصور، صعق كلاهما عندما شاهداه.





(١٤)

الانتقام

حينما تقرر أن تنتقم فأنت حينها تضع مبادئك في الثلاجة، الانتقام رغبة تغشي عينيك حتى تحققها لتفيق وتجد نفسك بعد تحقيقها قد أصبحت شخصًا آخر.. غريبًا عن نفسك.. لا تعرف ملامحك حتى بعدها في المرآة.

حينما تقرر الانتقام فأنت حينها تؤذي شخصك أكثر مما تؤذي الآخرين.. ولكن من يستطيع أن يدرك هذا.. من يستطيع أن يغفر.. الله فقط هو غفار الذنوب.. لكن البشر ثلاثة أنواع:

نوع يغفر بمنتهى الصفاء والتسامح وهو نوع نادر الوجود، ونوع يستسلم للأمر لكنه لا يغفر، ونوع ينتقم.. ويحيا في فلك فكرة الانتقام حتى ينتهي من نسج مصيدته تماما ويتلذذ بوقوع الفريسة في الفخ.

كانت المفاجأة التي عثر عليها «حسين» في الأسطوانة كفيلة بإرباكه وإعادة صياغة خطته وتجويد فكرته الشيطانية.

المشهد المصور:

الكاميرا تهتز بعض الشيء، يبدو أن التصوير يتم من سيارة أخرى في ليلة حالكة الظلام وسط شارع يخلو تماما من أي سيارات أو أي مارة، وعلى يمين الشارع بحيرة يبدو من الكادر أنه طريق برج العرب، المصور

يلتقط صورة خلفية لسيارة تسير مسرعة يظهر في الكادر شخصيتان تجلسان في المقعدين الأماميَّين بالسيارة من الظهر تدرك أنهما فتاتان من شعرهما المنسدل على كتفيهما، ويبدو الانفعال واضحا على كلتيهما إلى أن تتوقف السيارة فجأة ويبدو على الفتاة التي تقود السيارة الانفعال، وتحاول الاشتباك بالأيدي مع الفتاة بجانبها، لكن فجأة تمسك الفتاة الأخرى رأس الفتاة الجالسة على كرسي القيادة وتضرب رأسها ثلاث مرات متتالية بعنف في عجلة القيادة، ثم تدير عجلة القيادة إلى أقصى اليمين، وتترجل من السيارة سريعا ليتبين أنها «هالة صادق»، ثم تدفع السيارة بكلتا يديها بكل ما أوتيت من قوة، لتبدأ السيارة بالانحراف رويدا رويدا نحو البحيرة، ثم بعد انزلاق العجلات الأمامية تنطلق السيارة مسرعة لتغرق في البحيرة حاملة الفتاة الأخرى النجمة «إنجي صادق» وهنا يتوقف التصوير.

صدم كلاهما ونظر كل منهما للآخر في ذهول إلى أن قطع صمتهما «إيهاب»:
إحنا لازم نتحرك بسرعة.

اتصل «حسين» بـ«فادي»:

أنا لازم اشوفك بكرة يا «فادي».

توقفت سيارة فارهة أمام البنك، كان قائد السيارة هو «حسين» متنكرا في زي سائق، وترجلت من السيارة سيدة أنيقة للغاية مرتدية نظارة شمس كبيرة غطت نصف وجهها.. كانت تلك السيدة هي «شادية» التي دلفت إلى البنك بكل ثقة بعد أن حفظت دورها عن ظهر قلب، صرفت الشيك بقيمة ستة ملايين ومائتي ألف جنيه مصري باسم «رجاء عدنان المانسترلي» مستخدمة البطاقة المزورة التي أتى لها بها «إيهاب» خصيصا لهذا الغرض، ثم خرجت بالحقيبة الكبيرة متجهة لسيارتها مجددا وبعد قليل هبطت من السيارة تاركة الحقيبة لـ«حسين» وقبل أن تهم بالنزول سألته: هتعوزني في حاجة تانية الأيام الجاية يا باشا؟!

ـ خليكي شغالة على «زاهر».. لحد ما اقول لك هنعمل ايه.

ـ ماشي الكلام.

انطلق مسرعا بالسيارة نحو منزله القديم، وفي طريقه اتصل بـ«إيهاب»:
كله تمام.. قل لي البيت هناك متأمن يا «إيهاب»؟!

ـ ما تقلقش مافيش حد مراقب البيت خالص.. أنا اتأكدت من الحكاية دي.. هو أكيد عارف انك لا يمكن تهوب ناحية فيللتك ولا هيخطر في باله أبدا انك ممكن تروح هناك.

ذهب إلى منزله الذي تغيرت ملامحه بفعل التراب المتراكم في كل ركن من أركانه، لقد صارت حياته مثل منزله مليئة بالأتربة التي حان وقت تنظيفها وإزاحتها من الطريق، دلف إلى المطبخ وتذكر عند دخوله إليه «ندى» التي كانت دائما تطهو له بنفسها أشهى المأكولات، لم يترك العنان لذكرياته طويلا وأسرع يتحرك داخل المطبخ باحثا عن شيء ما، إلى أن وجد ضالته المنشودة.. صندوقًا قديمًا كبيرا، فتح الحقيبة الكبيرة التي يحملها وأفرغ كل محتوياتها من أموال داخل الصندوق الكبير، ثم وضعه وسط أشياء قديمة داخل دولاب خشبي بالمطبخ، صعد سريعا لغرفة نومه وتسمر قليلا عند مدخلها متذكرا مشهد وفاة «ندى».. صورا لها تقفز في ذهنه سريعا وبجانبها الخطاب.. لم يستسلم لذكرياته ودلف إلى الغرفة متغلبا على تلك الذكريات المؤلمة، ثم ظل ينقب بهدوء عن شيء ما داخل الدواليب والأدراج إلى أن وجدها.. ميدالية فضية مميزة الشكل بها مفتاحان.. برقت عيناه وهما تنظران إلى الميدالية الفضية التي احتضنها بحماس، وقد تهللت أساريره بنظرة فرحة مزجت بين الشر والنصر، ثم انطلق مسرعا خارج المنزل.

في هذه الأثناء جلس «خالد الشناوي» في مكتب «سالم العرابي»

ـ والله زمان.

ـ خير يا «سالم» بيه.. عايزني ليه؟!

ـ عشان نشوف هنعمل ايه؟!

ـ وهو انت أخدت رأيي لما خطفته وحبسته في المصحة من تلات سنين؟! ولا أخدت رأيي لما بعتله رجالتك على شاليه المعمورة رغم اني قلت لك خليه تحت نظرنا احسن.

ـ إحنا من الأول شركا في اللعبة دي ولازم نكملها للآخر.. وانت من أول ما طلبت منك تساعدني في حكاية اننا نوهمه انه مجنون ما كدبتش خبر، وانا كان هدفي اني اخد حق بنتي، ودلوقتي «حسين» هرب من المصحة ومش هاستنى لما يضيعك ويضيعني معاك.

ـ كفاية لحد كدا وسيبه في حاله بقى.

ـ ما تنسوش اني كان ممكن بكل سهولة اقتله أو اخطفه وارميه على طول في المصحة بس انا كان لازم اعذبه زي ما عذب بنتي.. كان لازم اخليه يدوق الألم والحزن اللي دوقهولي.. تفتكر لو «حسين» عرف الحقيقة ممكن يعمل إيه؟!

لم ينطق «خالد» ببنت شفة

ـ فعلا مافيش إجابة.

ـ هو انت عايز ايه بالظبط؟! إنت مش خلاص أخدت حقك وحق بنتك منه؟! عايز تعمل فيه إيه تاني؟!

ـ تفتكر اني أخدت حقي؟!

ـ أنا مش هاسمح لك تعمل فيه حاجة تاني.. كفاية اللي حصل لحد كدا.

ـ هو انت يا ابني مش قلت لي انه عرف انه سليم وبيخلف.. تفتكر لو فضل «حسين» يكمل دعبسة في الحكاية دي مش هيكشف باقي الليلة.

ـ أفتكر انه لو كان شك فيا ما كانش هييجي يقولي حاجة زي كدا.. صحيح انا شكيت شوية في الأول وكلمتك حتى ساعتها.. بس لما قعدت وفكرت مع نفسي لقيت انه لو كان فعلا شاكك فيا ما كانش هييجي يقولي.. أرجوك كفاية.

ـ موافق بس أي حاجة تحصل هتبلغني بيها، ولازم تحاول تعرف هو قاعد فين دلوقتي.

ـ هو بس قال لي انه بيدور الأيام دي على خبير الخطوط اللي كتب في التقرير ان الخط ما كانش خط «ندى».

ـ ما تقلقش من الحكاية دي.. الراجل ده هاسفره بعقد عمل لأي دولة عربية.. أهم حاجة انك تبقى عارف كل اللي بيعمله.

التقى «حسين» مع «فادي» في نفس المكان ليلا.

ـ صدقت بقى ان أنا معاك مش ضدك.

ـ إنت ازاي جبت السي دي ده.

ـ كل الحكاية اني من فترة قصيرة لما اكتشفت حكاية خطيبتي اللي اتجوزها في السر قررت افتش في حاجاته وهو طبعا ما يعرفش اني كشفته فما زال واثق فيا جدا.. يعني مافيش قلق مثلا انه يديني مفاتيح ادراج مكتبه.. مفاتيح الخزنة.. أصرف له شيكات بمبالغ كبيرة.. فتشت في كل ورقه ما لقتش فيه أي حاجة.. درج واحد كان دايما مقفول ما بيفتحهوش ومفتاحه معاه.. شفته مرة بيفتحه ياخد منه حاجة لمحت جواه أسطوانة وشوية ورق.

ـ وبعدين؟!

ـ عرفت في يوم أعمل نسخة من المفتاح وافتح الدرج براحتي وهو مش في المكتب.. خدت السي دي وعملت منه نسخة.. ولقيت الورق عبارة عن قصاقيص جرايد عن أخبار موت بنته وورق عن حالتك النفسية.

ـ لازم اعرف ايه اللي حصل.. لازم.. هو لسه بيقابل «هالة صادق»؟!

ـ هما بقى لهم مدة ما اشتغلوش مع بعض لأنه بقى له فترة مش بينتج أفلام.. بس ما اعرفش لسه بيقابلها ولا لأ.

ـ بص انا في فكرة معينة في دماغي.. بس لازم تساعدني فيها.. من غيرك انت مش هاعرف اعمل أي حاجة.

ـ أنا هاساعدك ان شالله لو جت على موته.

ابتسم «حسين» ابتسامة راضية.

في اليوم التالي، سافر «حسين» إلى القاهرة وذهب لمنزل «هالة صادق» وكان اللقاء هذه المرة أعنف من سابقه، جلس منتظرا في ردهة المنزل، ثم نزلت هي من الطابق العلوي وهي تقول:

- إنت جاي تاني ليه؟!، أشارت للخادمتين الواقفتين بالردهة بالانصراف.
- تعالي بس اقعدي كدا عشان عايزين نتكلم بالراحة من غير ما حد يسمع، قالها مبتسما ابتسامة خبيثة.
- خير؟!
قالتها وهي تجلس على المقعد المقابل له.
- قلتي لي بقى «إنجي» ماتت ازاي؟!
- حادثة عربية.. العربية اتقلبت بيها في البحيرة، قالتها بضيق من تكرار نفس الحديث.
- مممم اتقلبت بيها.. يعني ما حدش خبط راسها في الدريكسيون ونزل زق العربية ع البحيرة؟!
ارتبكت «هالة» للغاية وشعرت أن أمرها قد انتهى، ثم حاولت أن تتماسك مجددا قائلة: إيه اللي انت بتقوله ده؟!
- إنتي عارفة لو الفيديو ده راح للنيابة إيه اللي هيحصل يا سيادة النجمة الكبيرة؟! لم تتفوه بكلمة، ثم استطرد هو:
حبل المشنقة هيتلف حوالين رقبتك.
- إنت عايز مني إيه؟! وعرفت كل ده ازاي؟!
- كدبتي عليا ليه أول مرة جيت لك مع اني حذرتك.
- كنت عايزني اقول لك ايه؟! أقول لك اني قتلت اختي! قالت جملتها الأخيرة هامسة.
- عايز أعرف بالتفصيل اللي حصل بالظبط.. «سالم» هو اللي صورك؟!
- هو السبب في كل ده.
ثم بدأت تسرد واقعة الجريمة والتخطيط لها متذكرة تفاصيل إحدى جلساتها مع «سالم»
- بصي بقى من الآخر كدا.. عشان تاخدي مكانها وتبقي نجمة لازم هي تختفي من الوجود.
- تختفي يعني إيه؟!



- تقتليها.

- إيه..؟! أقتلها!!

- تفتكري لو هي جت لها الفرصة دي هتتأخر! طب تعرفي انها حكت لي كل حاجة عنك وانها بتخطط لهجرة ليكي برة مصر! إوعي تكوني نسيتي اللي عملته مع الراجل اللي حبتيه لما سفرته برة البلد.

- صمتت لبرهة:

لا لا بس ما توصلش للدرجة دي.. أنا مش هاقتلها عشان اخد مكانها ولا انت عايز تتشفى منها عشان سابتك وقلت تضرب عصفورين بحجر؟!

- بصي بقى اللعبة اللي احنا بنلعبها على صاحبي اياه مش هتكمل إلا بموت «إنجي» وكلنا هنستفيد.. وانتي هتبقي نجمة وهتاخديلك كمان قرشين حلوين جدا.

- وأنا بقى المفروض اني هابقى نجمة كدا على طول.

- إفهمي «إنجي» بتصور فيلم كبير وإنتاجه ضخم والمشاهد اللي فاضلالها تصوير فيه مش قليلة.. تخيلي كدا لو ماتت، المشكلة الكبيرة اللي هتقع فيها الشركات المنتجة للفيلم وانا معاهم طبعا.. ساعتها بس هادخلك مكانها واخليكي تكملي الفيلم وشركات الإنتاج اللي معايا ما هيصدقوا.

- طب افهم الأول وبعد كدا يا اقول آه يا لأ.

- ماشي.. «حسين» دلوقتي عارف ان اللي بتروح البار بقى لها أسبوعين وبينه وبينها نظرات إعجاب هي «إنجي صادق».. لما انتي بقى تقابليه في بيته بعد ما «إنجي» تموت بيوم ولا اتنين.. أكيد هيتصدم.

- يتصدم هاهاها (ضحكت مستنكرة للغاية).. ما تجيب لي من الآخر يا «سالم» بيه.

- من الآخر احنا عايزين الراجل ده يتوهم ان الست اللي كانت معاه دي مالهاش وجود عشان نصور له انه بيتهيأ له.

- وكل ده ليه؟!

- مش في مصلحتك تعرفي أكتر من كدا.. وخدي بالك باللي انتي عرفتيه

ده، خلاص كدا.. يا تكملي معايا اللعبة دي.. يا إما بقى.. وحرك يده على شكل مسدس صوبها.

ـ وهاخد كام في الليلة دي؟!

ـ تعجبيني.

ـ هتاخدي تلاتة مليون.

ـ موافقة.

ـ كدا تمام يبقى احنا اتفقنا.. وأنا هاقول لك بقى هتعملي ايه وهتموتيها ازاي.

صوت «سالم» يتردد في أذنها: حسب كلامك.. «إنجي» بتسهر في بار معين دايما في الساحل.. في اليوم اللي هنتفق عليه وتكوني متأكدة انها سهرانة في البار ده، هاتصل بيها واقولها اني شفتك سهرانة في أندريا كذا مرة وهاقولها ان الناس فضلت تسلم عليكي على انك هي.. أول حاجة هتعملها هي ساعتها انها هتقفل معايا وهتتصل بيكي تشوفك فين وأكيد هتطلب تقابلك.. وحتى لو ما طلبتش جريها لإنها تطلب بنفسها الطلب ده.. هتكوني انتي سهرانة في بار تاني قريب من البار اللي هي سهرانة فيه.. ولما تجيلك أكيد مش هتدخل وهتتصل بيكي تخرجي لها.. وطبعا مش هتفضل واقفة قدام البار ساعتها هتتحرك بالعربية وتنزل بيكي على اسكندرية ومافيش قدامها طريق غير طريق البحيرة.. حاولي تخليها توقف العربية ع الطريق وحتى لو ما نفعش أنا هاقول لك تعملي إيه.. المهم تعملي كل اللي هاقولهولك بالحرف قرب البحيرة.

تم كل ما خططا له بالحرف.

ـ إيه اللي جابك هنا النهارده وإيه اللي وداكي أندريا أكتر من مرة؟!

ـ أندريا إيه؟!

ـ «هالة» ما تستعبطيش.. أنا عارفة كل اللي بتعملييه.. قالت جملتها وهي تضرب عجلة القيادة بقبضة يدها اليسرى، رحتي أندريا مرة واتنين وتلاتة على إنك انا.. إنتي عايزه توصلي لإيه؟! هاااااا؟!

ـ إسمعي بقى انا ما بقتش اخاف منك ومن النهارده هاروح وآجي واخرج واسهر.. هاعيش حياتي زيك بالظبط.

ـ يعني إيه الكلام ده؟!

ـ يعني اللي سمعتيه يا «زينب».. وحكاية اني اسافر برة مصر دي تنسيها خالص.

ـ طب ابقي دوري بقى ع اللي هتصرف عليكي مليم بعد النهارده.

ـ يا ماما.. مش هتصرف عليا، صرخت «هالة» مستنكرة، ثم قالت: إسمعي إذا كنتي فاكرة انك هتهدديني بالبقين دول أو حرف من اللي قلتيه ده هيخوفني تبقي غلطانة.

ـ ماشي ماشي يا «هالة» إنتي اللي اخترتي.. هتنزلي إسكندرية دلوقتي.

استمر الصمت بينهما لدقائق قطعتها «هالة» فجأة عندما سارت السيارة بجانب البحيرة، حسب الخطة الموضوعة بينها وبين «سالم».

ـ على فكرة.. أنا قابلت منتج كبير وقلت له على كل حاجة وهامثل وهابقى أحسن وأغنى منك.

أوقفت «إنجي» السيارة مرة واحدة، ثم التفتت إلى «هالة» من مقعدها: إنتي بتقولي إيه؟!

ـ اللي سمعتيه واذا كان عاجبك على كدا.

ـ يا بنت ال..

حاولت «إنجي» أن تصفع «هالة» لكنها أزاحت يدها سريعا وقبضت بيدها اليمنى على يد «إنجي» التي حاولت أن تصفع وجهها، ثم أمسكت مسرعة برأس «إنجي» بيدها اليسرى وهوت بها ثلاث مرات على عجلة القيادة، فانفجرت الدماء من قورتها وأغشى عليها فوق عجلة القيادة التي أدارتها «هالة» لأقصى اليمين ليصبح وضع عجلات السيارة مائلا نحو البحيرة، ثم قفزت «هالة» من السيارة مسرعة وانطلقت خلف السيارة لتدفعها بكل قوتها، لتبدأ السيارة بالانحراف رويدا رويدا نحو البحيرة.. ثم بعد انزلاق العجلات الأمامية، انطلقت السيارة مسرعة لتغرق في البحيرة حاملة النجمة «إنجي صادق».

صور «سالم» ـ الذي كان يتبعهما بسيارته ـ المشهد كاملا، ثم أوقف التصوير وأخفى الكاميرا في سترته قبل أن تجري «هالة» على سيارته وتقفز بداخلها، بعد أن ألقت نظرة سريعة على الشارع لتطمئن لعدم وجود أي سيارة ما في الطريق قد تكون شاهدت ما حدث.

استطردت «هالة» لـ«حسين»:

وبعدها بيوم «سالم» بلغ البوليس انه شاف عربية بتتقلب في البحيرة من خط اشتراه من ع الرصيف ورماه بعد ما عمل منه المكالمة دي.. كان دارس كل حاجة وحطني تحت ضرسه بالفيديو ده.. عشان يضمن سكوتي لو انت ظهرت وعشان يفضل مقاسمني طول الوقت في كل مليم باكسبه ويرد المبلغ اللي دفعهولي التلاتة مليون وعشان.. وعشان ابقى عشيقته تحت التهديد بدل اللي هجرته.. ياما أخدني بعدها في بيتي وفي بيته وفي كابينته في المنتزة.. الكلب.. كنت فاكرة موت «إنجي» هيريحني.. أتاريني كنت باموت نفسي.

صدم «حسين» وصرخ:

يا ابن الكلب.. يعني الحكاية مش بس انه يجنني بقى.. ده حَبّ ينتقم من حبيبته اللي هجرته فخلاكي تقتليها وأخدك مكانها واستغل كل ده عشان يجنني.. ابن الكلب.. ضرب تلات عصافير بحجر واحد.. أنا لازم اقتله.. لازم اقتله.. لازم اقتله.. وديني وما أعبد ما هاسيبك يا «سالم» يا «عرابي».

ارتبكت «هالة» وسألته: مالك يا أستاذ «حسين»؟! مالك؟!

فرك رأسه بيده مسرعا، ثم قال رافعا صوته مغمضا عينيه:

ششش.. شششش.

ثم أمسك بكتفيها مسرعا:

إسمعيني بقى كويس.. إنتي زي ما لعبتي عليا.. هتلعبي معايا عليه.

ارتبكت وقالت متلعثمة:

أنا خايفة.. ده ممكن يلف حبل المشنقة حوالين رقبتي.

ـ لو ساعدتيني.. هاخرجك برة البلد خالص.

ـ واسيب حياتي واسيب التمثيل بعد ما بقيت نجمة؟!

- والله انتي قدامك اختيارين ما لهمش تالت يا إما تفضلي ممثلة ونجمة وما تساعدينيش وتستني حبل المشنقة يتلف حوالين رقبتك.. يا إما تساعديني وتخرجي برة البلد معززة مكرمة وتبطلي تمثيل وتنسي «هالة صادق» من أساسه.. مساعدتك ليا، تمنها إنقاذك من حبل المشنقة.. حطي الكلام ده حلقة في ودنك.. أنا هامشي وهاستنى تليفونك عشان نتفق ع اللي هنعمله، ده رقمي.. آه مش محتاج احذرك لو كلمة من اللي دار بيننا طلعت لجنس مخلوق.. السي دي هيكون في النيابة على طول.

ذهب «حسين» لـ«إيهاب» وروى له ما حدث كما روى له خطته بالتفصيل، ثم سأله:

هتقدر تخرجها بره البلد باسم واحدة تانية.

- بص هي مش سهلة يا سحس.. بس مش صعبة كمان.. بص أنا هاقول لك بقى على شوية حاجات لازم تعملها هتنجح خطتك.

- قول.

- إنت قلت لي ان عنده مسدس!

- مسدس واحد! ده مجنون مسدسات.. وطبعا لأنه «سالم العرابي» ما بيغلبش في التراخيص، هو بيسيب مسدس في كل حتة واحد في الشركة وواحد في البيت وواحد ما اعرفش فين.

- المهم.. لازم المسدس بتاعه يتنفذ بيه اللي هنعمله كله.. وحكاية كابينة المنتزة دي ١٠٠ ١٠٠.

- دي سهلة جدا.. «فادي» طبعا.

- خليها تعمل check up طبي كامل في أي مصحة.. تحاليل وإشاعات.

- آه عشان لما...

- تمام.. كل ده هيفرق.. أنا هاجهز لك كل حاجة كأنها بجد.. بس يستحسن مش انت اللي تظهر في الصورة.. خلي «فادي» هو اللي يعمل كل حاجة.

- ماشي يا شيطان.

ضحك كلاهما وانتهت المكالمة.

في صباح اليوم التالي ذهب «حسين» إلى عيادة «خالد» وبعد أن دلف إلى غرفته:

- إزيك يا خلود.

- الحمد لله انت عامل إيه يا سحس؟!

- أنا تمام الحمد لله.

- معلش أنا مقصر في حقك أنا عارف.. بس خايف ليكون «سالم» مراقبني.. أنا حتى كنت بافضل اننا ما نتقابلش في العيادة بعد كدا.

- أنا عشان كدا باجي لك بدري قوي دايما.. عملت حاجة في موضوع «غادة»؟!

- والله لسه بادور يا «حسين».. اختفت تماما.. مافيش أي خيط قادر أوصل له.

- طب وأخبار موضوع خبير الخطوط إيه؟!

- أنا سألت والناس قالوا لي انه سافر برة مصر مع الأسف.. هو انت ناوي على إيه في موضوع الدكتور اللي اسمه «زاهر»؟!

- مش عارف.. أنا يمكن أول ما خرجت قلت اني هأذيه من اللي شفته منه لكن دلوقتي بعد ما فكرت على مهلي لقيت ان «زاهر» ده كان مجرد الإيد اللي «سالم العرابي» نفذ بيها جريمته.. حسابي مش معاه.. حسابي مش معاه.

- «حسين».. إنت مش قد «سالم العرابي».. أنا رأيي تنسى الحكاية دي.

- أنسى إيه يا «خالد»؟! أنسى انه لعب بيا! أنسى انه ضيع من عمري تلات سنين في المصحة! أنسى انه ماشي يقول في كل حتة ان انا اللي قتلت «ندى»! وبعدين انا بقى عندي إيه أخاف عليه؟.. فلوسي وشركتي وكل حاجة راحت.. رمى جملته الأخيرة منتظرا منه رد فعل معين.

- ارتبك «خالد» بدوره، ثم قال بعد برهة صمت: مسيرك تلاقي «غادة» وكل حاجة هتبقى تمام.. وهترجع لحياتك زي ما كنت.

- حياتي.. قالها منكسا رأسه بنبرة بائسة ملؤها الحزن.

هنا بدا أسى صريح على وجه «خالد» لاحظه «حسين».. لقد حزن لحال

صديقه الذي كان هو سببا رئيسًا لما آل إليه، نظر إليه مشفقًا بعين لمعت فيها الدموع لكنها ظلت متسمرة بها خاشية أن تنحدر على خديه.

ثم استطرد «حسين» مكملا لعبته بعد أن حاصر «خالد» تماما:

عارف يا «خالد» أنا إيه اللي معذبني دلوقتي.. إنك الوحيد اللي وقفت جنبي رغم ان انا اتخليت عنك قبل كدا...

ـ إتخليت عني؟!

قالها «خالد» مندهشا.

ـ أيوة.. لما كانت عندك مشكلة في تسديد قروض البنك وكان هيتحجز عليك وطلبت تستلف مني مليون ونص تسدد للبنك عشان ما يتحجزش على بيتك وعلى العيادة.. وانا رفضت.

ـ يااااه يا «حسين».. أنا نسيت الحكاية دي خالص.. وبعدين الحمد لله ربنا فرجها أهو.. وبقيت دكتور معروف.. إنسى الكلام ده.. إحنا صداقتنا أكبر من أي حاجة.

ـ فعلا احنا صداقتنا أكبر من أي حاجة.

قرر أن يكمل باقي الخطوات مع «هالة» في حالة موافقتها على مساعدته، فكر مليا في ذلك الأمر.. ترى هل ستوافق؟! لم يعد أمامها خيارات.. لم يعد أمامها سوى أن تسلك طريقه وإلا ستكون نهاية حياتها مؤكدة.

كانت «هالة» تفكر بشكل آخر.. هل تخسر ما وصلت إليه من مجد وشهرة؟! هل تستسلم لطوفان «حسين» الذي لحق بها ولا تحاول أن تنجو بمجدها وشهرتها؟! إلى أن اتخذت قرارها بمهاتفة «سالم العرابي» وروت له كل ما حدث:

ـ يعني هو معاه الفيديو ده؟!

ـ ما قالش بس كلامه معناه ان عنده نسخة.

ـ طب بصي انا عايزك تجاريه في كل حاجة هيطلبها منك ووافقي على عرضه وانا هاتغدى بيه قبل ما يتعشى بينا.

ـ هتعمل ايه؟!



- هاقتله.

تلقى «حسين» مكالمة من «هالة»:

أنا موافقة على كل حاجة.. بس تضمن لي اني ما اروحش في داهية.

تتذكر صوت «حسين» وهي في طريق دخولها لمصحة طبية كبيرة من أجل عمل تحاليل طبية كاملة: هتيجي تقعدي في اسكندرية الفترة اللي جاية.. مش بقى عندك فيللا حلوة هنا.. وهتروحي تعملي Check up طبي كامل.

- ليه؟!

- من غير ليه انتي تعملي اللي باقول لك عليه من غير مناقشة.. ولما تخلصي تحتفظي بملف الـcheckup ده عندك في البيت.

- حاضر.. حاضر.. طب هو انا ممكن افهم هتهربني ازاي برة البلد؟!

- مش وقته.. بعدين هتفهمي كل حاجة.

اتصلت «هالة» بـ«سالم» بعد أن انتهت من التحاليل الطبية:

- مش عارفة يا «سالم».. تفتكر هيعمل ايه بالتحاليل دي؟!

- خلينا ماشيين وراه وحاولي تسأليه تاني هيعمل ايه بالتحاليل دي؟! بس لو ما جاوبكيش ما تسأليهوش تاني عشان ما يشكش فيكي وعايزك ترتبي معاه معاد يوم الجمعة الصبح بدري في فيللتك.. وتفضي البيت كله.

- في الفيللا عندي هنا؟! انت ناوي تقتله عندي هنا؟!

- رجالتي هيبقوا عندك هيخدروه ويحطوه في شوال ويخرجوا بيه في شنطة العربية.

- وبعدين؟!

- وبعدين هيربطوا الشوال بسلاسل ويرموه في البحر ونخلص انا وانتي من الكابوس ده.

في تلك الأثناء اتصل «حسين» بـ«فادي»:

- بص يا «فادي» مبدئيا أنا هاحتاج مسدس «سالم العرابي».

- مسدسه؟!!

- آه.. مسدسه؟! إيه يا «فادي» مش هتعرف تعملها دي؟!

ـ لا مش حكاية مش هاعرف اعملها.. بس عايز مسدسه ليه؟! انت ناوي على إيه؟!

ـ بعدين يا «فادي».. المهم أول ما يبقى معاك المسدس قل لي.

ـ ماشي.. عامة أنا اقدر آخد المسدس بسهولة في أي وقت بس المهم انه ما يلحقش يحس ان المسدس اتاخد من خزنته.

ـ عظيم.. خلاص يبقى ما تاخدش المسدس غير يوم ما اقولك.. هو النهارده إيه؟!

ـ التلات.

ـ يبقى رتب نفسك ع الخميس آخر النهار يبقى معاك.

اتصلت «هالة» بـ«حسين» وفقا لاتفاقها مع «سالم»

ـ أنا عملت كل اللي اتفقنا عليه وملف التحاليل عندي هنا في البيت.

ـ طيب تمام.

ـ لسه مش عايز تقول لي خليتني اعمله ليه.

ـ «هالة».. قلت لك ده مش شغلك.. انتي كل اللي ليكي عندي اني اخرجك برة البلد.

ـ ماشي بس انا كنت باكلمك عشان اقول لك ان «سالم العرابي» كلمني وقال لي انه هيجيلي يوم الجمعة الصبح بدري.. وقلت اقول لك عشان لو عايزني اعمل أي حاجة و....

ـ طيب طيب.. هابقى ارتب معاكي.. سلام دلوقتي.

اتصلت «هالة» بـ«سالم» وأخطرته بما دار بينها وبين «حسين» واتفقا على أن توافيه أولا بأول بكل ما يحدث.

بينما شرد «حسين» بعد أن أنهى مكالمته معها وارتاب في أمرها وقرر أن ينتهي من خطته قبل ذلك الموعد حيث كان يتوقع غدر «هالة» فقرر تجويد خطته حتى يضمن سريانها كما أراد من دون أي أخطاء، فأسرع بالاتصال بـ«فادي»:

ـ إسمعني يا «فادي» أنا عايزك تراقب موبايل «سالم» ٢٤ ساعة.

ـ إزاي يعني؟!

ـ يعني التليفون يفضل قدام عينيك وأول ما تجيلك فرصة ان التليفون يبقى قدامك وهو مش موجود تتصل بيا فورا.. الموضوع ده مش مستحمل أي غلطة.

ـ بص هو بكرة عنده اجتماعات كتير وانا مش هاحضرها معاه.. وهو ساعات بينسى ياخد تليفونه معاه في الـmeeting room.. فلو نسيه هاكلمك.

ـ تمام.

في اليوم التالي (الأربعاء) اتصل به «فادي»:

هو دخل الاجتماع دلوقتي ونسى التليفون.. هاتعمل ايه؟!

ـ اسمعني كويس يا «فادي».. هتبعت رسالة من موبايل «سالم» دلوقتي لموبايل «هالة صادق» اللي هابعت لك رقمه على تليفونك دلوقتي، هتقول لها فيها انك مستنيها ضروري في كابينة المنتزة بكرة الساعة تمانية بالليل وقولها كمان انها ما تحاولش تتصل بيك خالص لحد يومها.. وهتمسح الرسالة فورا.

أسرع «فادي» يكتب الرسالة:

«هاستناكي في كابينتي اللي في المنتزة بكرة الساعة تمانية بالليل.. ما تتصليش بيا خالص لحد ما نتقابل»

وبعد أن تأكد من أنه تم إرسال الرسالة، أسرع ليمسحها من الهاتف، ولكن هنا دلف «سالم» الذي انتبه لـ«فادي» وهو يضع هاتفه جانبا بعد أن تمت عملية مسح الرسالة بنجاح.

ـ إيه يا «فادي»؟! حد اتصل بيا ولا إيه؟!

ـ لا سعادتك.. ده انا باحسبه رن، قالها «فادي» بارتباك بدا جليا في نبرة صوته حاول جاهدا أن يخفيه.

ـ طب جهز لي الأوراق والملفات اللي طلبتها بسرعة عشان الاجتماع الجاي.

ـ أوامر سعادتك.

فوجئت «هالة» برسالة «سالم» وكانت تعرف كابينة المنتزة جيدًا حيث ذهبت معه إليها من قبل لكنها تعجبت من رغبته في عدم محاولة اتصالها به لحين مقابلتهما، لكنها لم تفعل شيئا حيال دهشتها، ولم تحاول الاتصال به وفقا لتعليماته وخوفا منه.

رتب «حسين» كل شيء مع «إيهاب» حتى يلقي بحفنة النار في وجه الجميع، وحتى «زاهر» لم يسلم من خطة انتقام «حسين» الذي نسج خطة أخرى من أجله مع «شادية» للنيل منه، فأمرها أن تتفق مع بعض الرجال من أصحاب السوابق من منطقتها لضرب وتعذيب دكتور «زاهر»، فطلبت «شادية» من «رضا» الذي كانت تعلم جيدا كم يحبها، أن يتفق مع بعض الرجال الذين يعرفهم من المنطقة لضرب وتعذيب الدكتور، مطمئنة إياه أن هذه الخدمة سيقدمانها لرجل مهم سيعطيهما كل ما يطلبانه من أموال، على أن يكون هؤلاء الرجال ملثمين حتى لا يتعرف عليهم «زاهر».

لقد تحول «حسين» من ذلك الشخص العادي المسالم إلى ذلك العنكبوت الذي نسج خيوطه بمهارة نحو أعدائه لاصطيادهم واحدا تلو الآخر، لقد صار يحيا في فلك فكرة الانتقام.. فقط الانتقام هو ما سيرد له اعتباره.. فقط الانتقام هو ما سيرد له حقه وسنوات عمره التي سلبها هؤلاء المجرمون الذين تآمروا عليه، لم يعد يحيا الآن إلا من أجل تنفيذ خطته التي نسج فكرتها وصاغها بحرفية.



(١٥)

الخطة

عندما يعلم الآخرون تاريخ حياتك كله

عندما يستغل الآخرون ذكرياتك ليقوموا بتحويلها إلى مسرحية هزلية أنت بطلها الأوحد بأمرهم، تسير على خشبة مسرح الحياة بخطى تائهة أمام مشاهدين صامتين عاجزين حتى عن التصفيق لك لجهلك، يتفرسون بك فقط ليتأكدوا أنك تسير في المسار الذي وضعوه هم.

لقد فعلوا بي كل هذا.. استغل «خالد» و«سالم» وربما «غادة» تاريخ حياتي وذكرياتي الأليمة لتحويلي إلى مجنون.

حانت لحظتي.. حان دوري في اللعب.. حان دوري للخروج عن نص المسرحية الموضوع ومفاجأة المشاهدين.

يوم تنفيذ الخطة

مكتب «سالم العرابي» التاسعة صباحا

حضر «سالم» إلى المكتب.. يوم عمل طبيعي مثله مثل أي يوم آخر.. لا يفرقه عنه سوى متابعة «فادي» الدقيقة لكل حركة من حركات «سالم»، في انتظار أن يضرب ضربته بمفتاح الخزينة الصغيرة بمكتب «سالم»، والذي استطاع أن ينسخ منه نسخة أخرى، احتفظ بها من أجل هذ اليوم.. وبالطبع

كان يعرف الشفرة الخاصة بالخزينة لأنه الوحيد الذي كان يأمره «سالم» بفتح الخزينة في حضوره كلما احتاج منها شيئا، لكنه لم يترك له المفتاح يوما.

فيللا «هالة صادق» الرابعة والنصف مساء

ذهب «حسين» مع «شادية» إلى منزل «هالة» في زيارة فجائية خطط لها مسبقا.

«حسين»: أحب اعرفك «شادية» أحسن ممرضة في مصر..

قالها ساخرا فابتسمت «شادية»، بينما نظرت إليها «هالة» نظرة قلقة.. فطمأنها «حسين» مسرعا:

لا «شادية» مننا وعلينا وراسية على الليلة كلها ما تقلقيش كدا.

ثم استطرد:

ده جواز سفرك باسم «أنجيلا روبرت جونز».. يوم الجمعة بالليل هتسافري بيه على قبرص وهناك في ناس هتستناكي وهيظبطولك كل حاجة.

«هالة»: إزاي يعني؟!

«حسين»: واحد حبيبي هو اللي عمل لك كل ده.

«هالة»: وأنا المفروض هيحصل لي إيه؟!

«شادية»: ولا حاجة خالص كل اللي هيحصل ان انا و«حسين» باشا هناخد منك شوية دم.

«هالة» بذعر واندهاش: دم!! ليه؟!

«حسين»: هنوديه للهلال الأحمر بعدين هافهمك كل حاجة.. «شادية» شوفي شغلك.

«هالة»: بس انا..

قاطعها «حسين» صارمًا: إنتي إيه؟! إنتي خلاص بقيتي في اللعبة ويا توافقي يا إما بلاغ صغير للنيابة وساعتها كل حاجة هتخلص.

استسلمت «هالة» لـ«شادية» التي أخذت منها جرعة لا بأس بها من الدم نحو ٤٥٠ مليلترا أفرغتها في الكيس الطبي المخصص لحفظ الدم من التجلط.

مكتب «سالم العرابي» الخامسة مساء

مع نهاية اليوم.. تذكر «فادي» صوت «حسين»: وقبل ما يمشي من المكتب هتمسك موبايله وتعمله divert على تليفون مكتبه، نفذ «فادي» الخطة منتهزا دخول «سالم» الحمام قبل خروجه من المكتب وقام بتفعيل خاصية تحويل المكالمات الواردة على هاتف «سالم» المحمول إلى هاتف المكتب.

خرج «سالم» من الحمام وسأل «فادي»:

ـ إنت هتيجي معايا الاجتماع ده ولا هتروح تعط زي كل خميس؟!

ـ لا زي كل خميس يا باشا.

ـ طب حاول تخلص لي الورق اللي قلت لك عليه بس يا «فادي».

ـ أوامر سعادتك.

وبعد أن خرج «سالم» من مكتبه بقليل، دلف «فادي» إلى مكتبه حيث كان الوحيد المسموح له بذلك، أوصد باب المكتب بالمفتاح بعد دخوله، ثم ارتدى قفازاته سريعا.. فتح الخزينة وجذب المسدس.. تأكد من أنه محشو بالطلقات، ثم وضعه بحرص في حقيبة بلاستيكية، وأخفاه داخل حقيبته الصغيرة، وفي هذه الأثناء غادر «حسين» و«شادية» فيللا «هالة صادق» التي هرولت إلى هاتفها المحمول محاولة الاتصال بـ«سالم» لتبلغه بما حدث ضاربة عرض الحائط بتعليماته بعدم الاتصال بها ولكن تحولت مكالمتها إلى هاتف مكتبه إلى أن أتاها صوت المجيب الآلي بصوت «سالم»:

من فضلك سيب إسمك ورسالتك بعد سماع الصفارة

ـ («سالم».. «سالم».. أنا «هالة» في حاجة غريبة قوي حصلت لازم تعرفها.. عامة أنا هاستناك كدا كدا في ميعادنا في الكابينة.. لو قدرت تكلمني قبلها يبقى كويس)

استمع «فادي» لرسالتها وابتسم ابتسامة خبيثة هامسًا في نفسه: يخرب بيت دماغك يا «حسين».

كابينة المنتزة الثامنة مساء

وصلت «هالة» وطرقت باب الكابينة وفتح لها «فادي» ففوجئت بوجوده

ولم تطمئن إلا حين أبلغها أنه أتى إلى الكابينة لاستقبالها وفقا لتعليمات «سالم» حتى ينتهي الأخير من اجتماع هام ويأتي إليهما، جلست «هالة» على مضض.

طرق «حسين» باب الكابينة فقالت «هالة»: ده أكيد «سالم»، لم يعرها «فادي» اهتمامًا واتجه ليفتح الباب ليدخل «حسين» قائلا:

إيه رأيك بقى في المفاجأة دي؟!

شهقت شهقة مكتومة معتدلة في جلستها:

«حسين»!!

نظر إليها باشمئزاز:

كنت متوقع انك هتعملي كل ده وهتجري على الكلب شريكك في الجريمة وتقوليله كل حاجة.

حاولت «هالة» أن تتكلم:

أنا كنت..

قاطعها بحدة:

ششششش إنتي تسكتي خالص.. خالص.. إنتي هتفضلي هنا لحد معاد طيارتك ولحد ما تركبي الطيارة بكرة قدام عيني واتأكد انك سافرتي برة البلد.

كان «فادي» يراقب حديثهما بتركيز شديد بينما أخذ «حسين» يتأمل المكان، وقد بدأ يرتدي قفازات طبية، وظلت «هالة» تراقبه هو و«فادي» في محاولة يائسة منها لفهم ما يحدث.. إلى أن كسر «حسين» حاجز الصمت الذي استمر لبرهة وكأنها دهر، قائلا:

دلوقتي بقى يا ست «هالة».. أنا عايزك تقعدي على الكنبة دي وانا هافهمك على كل حاجة.. إحنا دلوقتي في كابينة «سالم العرابي».. «ندى» كانت بتحب المكان ده قوي.. الكابينة دي ملكه.. وانتي دلوقتي بقت بصماتك في المكان، ثم جذب يدها وضغط بأصابعها على منضدة صغيرة بالقرب منها وعلى ذراع الأريكة الجالسة عليها.. مما فاجأها للغاية، ثم استطرد:

والمفروض اننا هنخلق مسرح جريمة كامل هنا وطبعا انتي بكرة هتكوني برة مصر.. فلازم كنا ناخد منك عينة الدم عشان نسيبها هنا ولما يقارنوا العينة

دي مع التحاليل اللي عملتيها هيتأكدوا ان ده دمك..، ثم نظر إلى شعرها الذي ترك أثره على الأريكة:

وان الشعر ده شعرك.

نظرت إليه «هالة» مندهشة: عشان كدا كنت بتخليني اعمل التحاليل عشان لما...، أومأ برأسه مبتسما، ثم سأل «فادي»:

هو «سالم» بيه فين دلوقتي؟!

«فادي»:

«سالم» بيه عنده اجتماع هنا في المنتزة في فندق فلسطين.. أنا اللي اخترت المكان ورتبت كل حاجة زي ما قلت لي.. الاجتماع هيخلص الساعة تسعة ونص وانا رتبت ان السواق ما يقاش معاه وانه يمشي لوحده.

«حسين»: عظيم... على فكرة «فادي» هو اللي بعت لك الرسالة من موبايل «سالم» بيه عشان تعرفي انك غبية.. غبية..

نظرت إليه مذعورة بينما استمر هو في حديثه: أول حاجة هنعملها اننا هنقلب كيس الدم ده وننضف مكان الدم كويس بعد كدا.. بس هنسيب أثر بسيط من الدم ع الكنبة.. وبعد كدا «فادي» هيضرب رصاصتين تلاتة من المسدس بين الكنبة والحيطة.

«فادي»: بس طالما مافيش جثة يبقى هو هيخرج منها.

«حسين»: يعني إيه؟!

أسرع «فادي» بيد غطاها قفازه، وصوب المسدس نحو رأس «هالة» التي جحظت عيناها وهي تصرخ: قصدك إيه؟!

وجاء رد الرصاصة على إجابتها أسرع مما تصورت لتستقر إحدى طلقات المسدس في منتصف رأسها، وأخرى في صدرها وأطلق «فادي» واحدة أخرى بجانبها لتستقر في ظهر الأريكة التي حوت جثتها ودمها.

صعق «حسين» وهجم عليه مسرعا: إنت عملت إيه؟! إنت عملت إيه؟!: ده ما كانش اتفاقنا.. ما كانش اتفقانا انك تقتلها يا «فادي».

ـ لو سجنه هيكفيك.. مش هيكفيني انا.. ده سرق حبيبتي بعد ما خدمته

سنين بإخلاص.. خدمته في الصح والغلط.. إنت نفسك.. أنا خدمته على حسابك.

ـ مين قال لك انه كان هيتسجن بس.. مين قال لك!

ـ طول ما مافيش جثة.. مافيش حبل مشنقة هيتلف حوالين رقبته.. وأنا عمر ما كان سجنه هيشفي غليلي.

ـ إنت خدعتني.. إحنا ما كانش اتفاقنا القتل.. ما كانش اتفاقنا القتل.. ما كانش اتفاقنا القتل.

ـ إسمعني كويس احنا لازم نمشي من هنا.. مافيش وقت نضيعه.. خد كيس الدم ده وما تسيبش حاجة هنا خالص.

أخرج «فادي» مفتاح الكابينة الذي أعطاه له «حسين» للمجيء وانتظار «هالة»، مسحه جيدا، ثم أخرجه من الميدالية، وأعادها مجددا لـ«حسين» الذي وضعها في جيبه وانتبه لـ«فادي» الذي أمسك بأصابع «هالة» وجعلها تمسك بالمفتاح، ثم فتح حقيبتها وأخرج منها ميدالية مفاتيحها ليضيف إليها المفتاح، ثم أعادها مكانها بداخل حقيبتها بعد أن أخرج منها جواز السفر المزيف.. ووضعه في جيبه بعد أن قال لـ«حسين»:

مالوش لازمة دلوقتي.. وجوده مش في صالحنا.. يلا بينا.

خرج «حسين» واجما وقد استسلم لكل ما يفعله «فادي»، إذ لم يعد أمامه أي خيار آخر.. لقد درس «فادي» كل شيء جيدا للنيل من «سالم العرابي».. لقد أراد الله بك شرا يا «سالم» أعنف من شري ووضع في طريقك من هو أقسى مني للانتقام منك، لقد أردت فقط أن يعتقد الناس أنك مذنب بقتلها لأنك أنت من علمتني أن الفعل لا يجعل من شخص مذنبا إلا إذا كان عقله مذنبا ولكن شرّك الذي لا حدود له، خلق لك وحشا آخر.. حلم منذ سرقت حبيبته أن ينال منك مهما كلفه الأمر، الآن سيتأكد الجميع أنك توافرت لديك النية الجنائية لقتل «هالة صادق».. لم يعد الانتقام بطريقة المينس ريا.. صار الانتقام أعنف مما تتصور.. ولا أنكر سعادتي الآن رغم خوفي.

انطلقا خارج المنتزة تماما.. واتصل «فادي» بالشرطة بعد أن بدل شريحة

هاتفه المحمول، وأبلغ عن جريمة قتل النجمة «هالة صادق» بشاليه «سالم العرابي» بالمنتزة، ثم أغلق الخط وأخرج الشريحة من الهاتف وألقى بها والتفت لـ«حسين»: أنا هارجع المسدس الليلة دي في خزنته وهاحط كمان فيها السي دي اللي عليه الجريمة اللي الباشا صورها.. والباسبور ده أنا بعد ما فكرت شايف أنه ممكن يفيدنا.. ممكن التحقيقات تقول انها زورت الباسبور ده عشان تهرب بره البلد بعد ما اتهددت مثلا.

ـ الباسبور ده لازم ارجعه للي عمله، ونشوف بعد عملتك السودا دي هيقول إيه.. جذب جواز السفر من يده ووضعه في جيبه في هدوء.

في تلك الأثناء كانت «شادية» نائمة بجانب «زاهر» على السرير أو بالأحرى كانت متظاهرة بالنوم إلى أن اطمأنت لنومه وقامت من السرير ارتدت حذاءها وجذبت حقيبتها وخرجت بهدوء من الغرفة، ثم فتحت باب الشقة وأخذت مفاتيح الشقة معها، خرجت من العمارة تأكدت أن لا يوجد أحد في الطريق، ثم أخرجت هاتفها المحمول من حقيبتها لتجري مكالمة ثم قالت مسرعة «يلا» وأغلقت الهاتف وأعادته مكانه، ثم توقفت أمامها سيارة بها خمسة رجال ناولت واحدا منهم مفاتيح شقة «زاهر» وبعدها بقليل كانوا الخمسة في الشقة ملثمين وقاموا بضرب «زاهر» ضربا مبرحا، انتفض «زاهر» من نومه مع أول لكمة، ثم صعق حينما رأى الخمس رجال وظل يردد:

إنتو مين؟! إنتو عايزين ايه؟!

لم يجب أي أحد منهم وظلت كل يد من أيدي الخمسة رجال تمتد إليه بالضرب العنيف للغاية، ثم قيدوه في سريره عاريا وقد أنهكه الضرب وكسا وجهه وجسده بقع دم كبيرة غطت زرقة وجهه وجسده معا، فتح واحد منهم زجاجة كبيرة سكبها على «زاهر» الذي تشمم رائحتها بدوره وتبين أنها رائحة بنزين.. فصرخ بصوت منهك للغاية:

إنتو بتعملوا كدا ليه؟! إنتو عايزين مني إيه؟! ردوا يا ولاد الكلب.. وديني لاوريكم يا ولاد الكلب.

فجأة التفت إليه أحدهم واقترب منه هامسا:

ششششش.. شششششش.. المرة دي هنسيبك كدا.. بس المرة الجاية الباشا بيوعدك اننا هيبقى معانا ولاعة.

اصطنع الرجل تشمم الرائحة بينما نظر إليه «زاهر» شذرا بعين مكسورة من اللكمات، ثم بصق في وجهه، فلم يأبه به الرجل الملثم، ثم أعطى تعليماته لباقي الرجال بالانصراف، فخرجوا من المنزل جميعا بينما هوت رأس «زاهر» على صدره من شدة التعب والإعياء من أثر الضربات.

الواحدة صباحا

منزل «إيهاب راتب»

- إزاي يا «حسين»؟! إزاي؟! أنا اتفاقي معاك انك تخلق مسرح جريمة مش ترتكبها.. صحيح انا عملت حاجات كتير غلط عشان امشي بيها شغلي وصحيح انا اللي قلت لك خد حقك بنفسك عشان القانون مش هينصفك زي ما هو ما أنصفنيش وطلعوني معاش.. بس مش قتل.. مش قتل وما ينفعش انا ابقى باساعدك عشان انت تنيمني وتعمل حاجة تانية.

- والله العظيم.. أنا ما عملتش حاجة.. أنا يادوبك لسه هابدأ أعمل اللي احنا متفقين عليه.. قام الزفت مطلع المسدس وضربها بالنار.. أنا مش قتال قتلة.. ولو كدا ما كنتش جبت لك الباسبور اللي زورته.

هدأ «إيهاب» وصمت لبرهة، ثم جذب جواز السفر وأشعل فيه النيران بولاعته.. ألقى به في سلة المهملات الحديدية بجانبه وأشعل سيجارة بيد متوترة، ثم قال: لازم تثبت انت كنت فين ساعة وقوع الجريمة.

- أنا رحت لـ«خالد».

- إشمعنى!

- زيارة الوداع بقى قبل احتفال بكرة.

- طب كويس والمسدس؟!

- «فادي» هيرجعه خزنة «سالم العرابي» الليلة دي.

- ماشي يا «حسين».. ماشي.



في اليوم التالي

عيادة «خالد الشناوي»

ـ حضرتك دكتور «خالد الشناوي»؟!

ـ أيوة يا فندم.

ـ اتفضل معانا لو سمحت.

ـ خير في حاجة حصلت.

ـ معانا أمر ضبط وإحضار لحضرتك.

صعق «خالد» ولم يفهم، إلا حينما وصل إلى القسم وعلم بأمر البلاغات المقدمة ضده بسبب الشيكات عديمة الرصيد.

ولم تكن تلك هي البلاغات الوحيدة التي تلقتها الشرطة في ذلك اليوم، حيث قدم «زاهر» بلاغا متهما «سالم العرابي» في محضر رسمي أنه أرسل إليه خمسة من الرجال الملثمين محاولين الشروع في قتله، معللا أن ذلك حدث تحديدا بعد أن تلقى تهديدا تليفونيا مباشرا من «سالم» بسبب هرب «حسين الصاوي» زوج ابنته من المصحة النفسية التي يملكها، وأردف أن «سالم» كان حريصا كل الحرص على أن يظل «حسين» في المصحة حتى إذا أثبتت التقارير شفاءه وعلاجه مؤكدا أن ذلك لم يحدث من ناحية المصحة، وأنه كان مريضا بالفعل حتى يوم هروبه.

بعد ثلاثة أيام

جلس «حسين» مع «شادية» في أحد المطاعم

كان يأكل بنهم كأنه لم يأكل منذ سنوات مما جعل «شادية» تنظر إليه متأملة فسألها:

ـ بتبصي لي كدا ليه؟!

قالها مبتسما مستمتعا بالطعام.

ـ أبدا يا باشا.. بس أول مرة اشوفك بتاكل كدا.

ـ فرحان.. والفضل يرجع لك انتي و«إيهاب»، ثم استطرد: الشنطة دي فيها كل اللي اتفقنا عليه يا «شادية» وزيادة.. إنتي تعبتي معايا قوي.

ـ ربنا يخليك يا باشا بس انا..

ـ خير قولي.

ـ أنا ساعدتك عشان حسيت انك مظلوم يا باشا.. والظلم صعب انا عارفة.. صحيح انا بت بطالة بس ده من الظلم اللي شفته.

ـ إنتي مش بطالة ولا حاجة يا «شادية» والحمد لله أهو جت لك الفرصة عشان تبدأي من جديد.

ـ وانت يا باشا؟!

ـ أنا إيه!

ـ أنا عارفة انك قسيت كتير بس ما تخليش القساوة اللي جواك تعميك أكتر من كدا وكفاية كل اللي حصل حتى من غير إرادتك.

ـ قصدك إيه؟!

ـ أختك يا باشا.. لو اتأكدت أنها ليها يد في اللي حصل.. إوعى تأذيها.. إوعى تخلي رغبتك في الانتقام تعميك وتنسيك انها اختك.

ـ حتى لو اتأكدت! وضع الشوكة والسكين على جانبي طبقه.

ـ المهم انك كنت تاخد حقك وانت أخدته خلاص وكل اللي أذوك كلها أيام وهياخدوا عقابهم زي ما انت خطط له وأكتر كمان.. آن الأوان انك تنسى اللي فات وتبدأ حياتك.. إفتكر «حسين الصاوي» الإنسان الطيب اللي كان بيحب مراته وشغله قبل أي حاجة.. آن الأوان انك تدفن الشر اللي جواك وما تديلوش فرصة يسيطر عليك اكتر من كدا.

ـ صمت لبرهة، ثم نظر إليها مصدقا بعين ملؤها طيبة: عندك حق.

حقا كم غاب عنه هذا الإحساس، كم افتقد طيبته، كم تحولت شخصيته طوال الفترة الماضية، كم مرة رأى عينيه تبرقان بالشر في المرآة.. إن الظلم له تأثيران مضادان إما أن يجعل الإنسان مستسلما لأمره مدى الحياة خشية أن يظلم مرة أخرى، وإما أن يتحول المظلوم لوحش كاسر يطيح بكل من ظلموه.. ليثبت لنفسه قبل أي أحد آخر أنه قادر على استعادة حقه الذي سلب منه من دون إرادته.

رن هاتفته المحمول فأجاب ليأتيه صوت «إيهاب»: «حسين أنا لقيت «غادة».



(١٦)

المواجهة

حاولت كثيرا أن أفكر لماذا حدث لي كل هذا؟! لماذا؟!

أصعب إحساس في الدنيا حينما تواجه شخصا اعتقدت يوما أنه يحبك بأذيته إليك،

أصعب لحظات الدنيا هي المواجهة.. لحظة تخشاها وتنتظرها.. تحاول الوصول إليها بكامل إرادتك رغم مدى إدراكك كم الآلام التي ستسببها لك تلك المواجهة.

بدأت التحقيقات في قضية قتل «هالة صادق» بعد أن تم إلقاء القبض على «سالم»

كان التحقيق شديد السخونة معه مما جعله ينفعل انفعالا شديدا محاولا إثبات براءته

ـ مش تعترف بقى وتخلصنا.

ـ يا باشا أنا ما قتلتش حد.. هاقتلها ليه؟!

ـ وتقرير الطب الشرعي اللي أثبت أن الطلقات اللي في جثة القتيلة والطلقة اللي في الكنبة اتضربت من مسدسك؟! والناس اللي كانوا معاك في الاجتماع وشهدوا انك مشيت وسبتهم في نفس وقت وقوع الجريمة؟! والسي دي اللي

في خزنتك اللي متصور عليها جريمة قتل «إنجي صادق»؟! والرسالة اللي على تليفونها منك بتقولها انك هاتستناها في الكابينة في نفس يوم الجريمة؟! ومفتاح الكابينة اللي لقيناه في ميدالية مفاتيحها؟! والرسالة اللي بصوتها على تليفون مكتبك بتقول لك انها عايزاك ضروري وهاتستناك في الكابينة زي ما اتفقتوا.. القضية مقفولة عليك اتكلم احسن لك.

- ما اعرفش.. ما اعرفش.. والله العظيم ما اعرفش.. أنا قلت لك ما قتلتهاش.. ما قتلتهاش.

وعلى الصعيد الآخر، سارت التحقيقات مع «خالد» في قضية الشيكات:

- ما اعرفش يا فندم.. أنا قلت لسعادتك هاتوا كاميرات البنك وراجعوها عشان تشوفوا مين اللي صرف الستة مليون.. الناس اللي مقدمين فيا بلاغات انا ما اعرفهمش أساسا عشان اكتب لهم شيكات بملايين.

- وتوقيعاتك اللي ع الشيكات؟!

- أنا قلت لسعادتك ان التوقيعات دي مش توقيعاتي.. كلها شبه توقيعي.. لكن ولا شيك فيهم انا مضيته.

- تقرير خبير الخطوط أثبت أن توقيعك اللي ع الشيكات مطابق بنسبة ٩٠٪ لتوقيعك اللي في البنك.. يعني خلاص ما قدامكش غير يا الدفع يا الحبس.

ولم يتوقف التحقيق مع «سالم العرابي» على اتهامه بقتل «هالة صادق» بل امتد لمحاولة الشروع في قتل الدكتور «زاهر» وفقا للبلاغ الذي قدمه الأخير ضده.

- وأنا هاحاول اقتله ليه؟!

- هو بيقول بسبب حكاية جوز بنتك اللي كان بيتعالج في المصحة بتاعته واللي انت كنت بتدفع مصاريف علاجه فيها وانه يعني لما هرب.. انت هددته..

- يا افندم جوز بنتي الله يرحمها ده مريض ومجنون وصحيح انا هددته في التليفون بإني أشوه سمعته وسمعة المصحة بس ده في لحظة غضب بعد

ما عرفت بهروب «حسين» لإني كنت خايف انه يحاول يجيلي ويقتلني زي ما قتل بنتي.

ـ بس التحقيقات ما أثبتتش انه قتل بنتك.

سافر «حسين» إلى القاهرة للقاء «غادة» حيث أخطره «إيهاب» أنها تعمل بإحدى شركات البترول الكبرى هناك، دلف إلى الشركة وعلم من عاملي الأمن في أي طابق يقع مكتبها، طرق باب المكتب فأتاه صوتها:

إتفضل.. فدخل مكتبها بهدوء فأمسكت عن الكلام من دهشتها، ثم قالت مرتبكة: «حسين»؟!

ـ أيوة «حسين» يا «غادة».. «حسين» اخوكي.

جرت عليه واحتضنته باكية: إنت وحشتني قوي يا «حسين»، لم يستطع مبادلتها نفس الشعور ولمست هي ذلك: تعالى اقعد.. تعالى احكي لي كنت فين وإيه اللي حصل.. أنا قلبت عليك الدنيا انا و«خالد».

ـ آه «خالد».

ـ قدمت بلاغ في المصحة ورحت اتخانقت مع «سالم العرابي» لإني شكيت أنه يكون خطفك.. دورت عليك في كل حته في اسكندرية.. ولما يئست اني الاقيك.. خفت اغرق الشركة بعدم خبرتي.. فقررت اقفلها وحولت كل فلوسها لرصيدك في البنك.

ـ إيه؟! يعني انتي حطيتي كل فلوس الشركة في رصيدي في البنك؟!

ـ طبعا ده تعبك وشقاك وانا كان مستحيل امد إيدي عليه، همت بفتح أحد أدراج مكتبها وأخرجت منه جوابا به كشف حساب بنكي ناولته إياه.. وتبين من الرصيد صحة كلامها وبدأ يدرك أنها ليست على صلة بأي شيء، واستطردت: وبعدين واحدة صاحبتي جابت لي فرصة شغل كويسة قوي في شركة بترول هنا في القاهرة فجيت وخليت «عادل» بعت لي «كريم» وطبعا ما صدق لإنه ما يقدرش يتحمل مسؤولية نفسه أصلا وفضلت هنا من ساعتها.. ما كنتش عايزة ارجع أمريكا تاني خصوصا بعد ما جت لي فرصة تانية أكبر بمرتب كبير جدا في الشركة دي.. ده حتى

«خالد» كان بيكلمني من وقت للتاني يسأل عليا بس للأسف أنا موبايلي ضاع مني بعدها بفترة، وجبت خط تاني وما كانش عندي أرقام التليفونات اللي كانت ع الموبايل اللي ضاع فما عرفتش اكلمه وقلت أكيد لو عرف عنك حاجة هيحاول يوصل لي بأي شكل.

ـ «خالد».. «خالد» هو اللي باعني لـ«سالم العرابي».

ـ إيه.. إزاي؟! يعني هو كان عارف انت فين؟! لمس «حسين» مفاجأتها ودهشتها من الأمر.

روى لها كل ما حدث من دون التطرق لخطة انتقامه فصدمت وقالت مسرعة: الكلاب.. عشان كدا!

ـ عشان كدا إيه؟!

ـ عشان كدا كلمني في أمريكا وقال لي انك تعبان جدا وانه محتاج يعرف عنك حاجات كتير عن فترة طفولتك وشبابك، ثم استطردت متلعثمة: أنا حكت له لما قال لي ان ده في صالحك بس ما خطرش على بالي انه ممكن يكون بيستغل ده عشان اللعبة الحقيرة اللي لعبها عليك دي.

ـ ابن الكلب.. ياااه يا «غادة» ما تتصوريش انا ارتحت قد ايه النهارده.. ما اكدبش عليكي انا كنت جاي لك وشاكك.. إنك.. يعني.. تكوني..

ـ إني اكون اشتركت معاهم.. أنا عاذراك يا «حسين» ومش زعلانة وانا لو مكانك كنت هافكر كدا.. خصوصا اني صفيت الشركة كمان.. بس انت لو كنت رحت البنك كنت هتعرف من الرصيد كل حاجة.

ـ يلا الحمد لله.. طب انت ناوي على إيه؟!

ـ في إيه؟!

ـ في حياتك؟! لازم تبدأ من جديد يا «حسين».. لازم تشتغل وتتجوز وتشوف حياتك.

ـ إن شاء الله.

مر نحو شهرين عاد فيها «حسين» للعيش في منزله، ظل يتابع أحداث القضيتين من خلال الجرائد إلى أن عثر على خبر منشور عن «زاهر» أنه لن

يستطيع المشي على قدميه بعد الحادث الذي تعرض له، بينما كانت الأحداث تسير بسرعة مذهلة في قضية «سالم العرابي» خاصة أن كل الأدلة كانت ضده، تأكد «حسين» أنه سيحكم عليه قريبا خاصة مع الإشارة إلى ترتيبه لمقتل «إنجي» مع «هالة» ليضع «هالة» مكانها، ولم يجد «خالد» أيضا مفرا من قضية الشيكات فتمّ الزج به في السجن، فقرر «حسين» أن يذهب إليه ويواجهه في السجن.

ـ إزيك يا «خالد»؟!

ـ «حسين»!

ـ عملت فيا كدا ليه يا «خالد»؟! انت كنت صديق عمري.. الصديق اللي باستأمنه على كل حاجة في حياتي.

ـ إنت عرفت؟! ارتبك «خالد» لبرهة، ثم قال: سامحني يا «حسين» انا عارف اني غلطت في حقك وربنا اهو عاقبني بذنبك.. أنا كنت هاضيع ولجأت لك وانت رفضت تساعدني.

ـ هو انت كنت طالب عشرين جنيه! انت كنت طالب تستلف مليون ونص.

ـ وقلت لك ان البنك كان هيحجز عليا.. ولولا ظهور «سالم العرابي» قدامي.. كان زماني في الشارع من سنين.. عرض عليا ينقذني من أزمتي مقابل اللعبة اللي لعبناها عليك.

ـ وانا ما رفضتش اساعدك انا قلت لك وقتها إن ما كانش عندي سيولة كفاية ودي كانت الحقيقة.. تقوم تأذيني وتستغل ذكرياتي كلها وشغلتك عشان تلعب بيا اللعبة الوسخة دي؟!

ـ سامحني يا «حسين».. سامحني.

ـ نفسي اعرف حاجة لما علقت كاميرات في البيت.. ما كنتش بالاقي عليها حاجة ازاي؟!

ـ كنت عارف انك اشتريت كاميرات وكنت بامسح اللي عليها أول بأول.

ـ والورقة اللي اتمسحت بعد ما قريت اللي فيها؟!

ـ أنا اللي حطيتها لك عشان تشك انك بتتوهم وتصدق انك عيان.

ـ كل ده وتفتكر أنها سهلة كدا إني بالبساطة دي هاسامحك.. بعد كل اللي عملتُه فيا.

ـ والله يا «حسين» انا كان اتفاقي مع «سالم» انك تدخل المصحة شوية وخلاص بس هو طلع مخطط لحاجات تانية من ورايا.. رتب كل حاجة وما كنتش اقدر اتكلم.. صدقني حتى يوم ما جت لي تحكيلي ان «إنجي» كانت معاك.. كنت مستغرب جدا وما كنتش عارف ان دي الطريقة اللي «سالم» قال لي انه هيجيبك بيها لحد عندي.. حتى لما خطفك من المصحة انا ما سكتش ورحت مع «غادة» وقدمت بلاغ في المصحة.. عموما ربنا انتقم لك مني.. عشان كدا نفسي تسامحني.

ـ كان ممكن اسامحك لو كنت حسيت للحظة اني صعبت عليك.. كنت باتقطع قدامك وانت بتتفرج عليا.. كنت كل ثانية هاتجنن من التفكير قدامك اذا كنت قتلت مراتي ولا لأ وانت ما فكرتش ثانية تقول لي وتنجدني من شكي في نفسي.

ـ نظر «خالد» في الأرض ليهرب بعينيه من «حسين».

ـ بس برافو كانت تمثيلية عظيمة ولعبت دورك فيها صح.. أنا جاي مش عشان أواجهك يا «خالد».. لأ.. أنا جاي عشان اشمت فيك وانت في السجن.

وضع «خالد» رأسه بين كفيه باكيا.

فاستطرد «حسين»:

دلوقتي بتعيط.. دلوقتي! حسيت يعني ايه تبقى مسجون.. حسيت؟!

صرخ في كلمته الأخيرة فأرهب «خالد»، فقال: عموما أهي لفت الأيام ودارت وانا خرجت من المصحة وانت اللي بقيت في السجن.. ده عقاب ربنا ليك ع اللي انت عملته فيا.

خرج وقد شعر بارتياح رهيب لما قاله لـ«خالد».. أزاح حجرا احتفظ به في قلبه طويلا.. شعور بارتياح وانتصار خالجه كما لم يخالجه من قبل.



(١٧)

النهاية

تكمن النهايات أحيانا في بدايات جديدة.. محاولة أخرى منا لاستعادة ما افتقدناه.. لطي صفحات الماضي والنظر بإشراق لمستقبل جديد.. ولكن هل من السهل أن نبدأ من جديد؟! هل من السهل أن نحيا مجددا مهما كانت آلامنا وجراحنا؟! أو مهما كان ما مر بنا من صعاب؟!، أحيانا تطغى آلامنا على أحلامنا في بداية جديدة.. نصبح بكل السبل غير قادرين حتى على البدء، خاصة لو كانت الآلام قوية وعنيفة.. كلما كان الألم عميقا كانت البداية الجديدة أصعب.

مرت شهور قليلة.. ظل «حسين» خلالها يتابع كل شيء من بعيد قضية «سالم» وقضية «خالد».

أخذت «غادة» تقضي مع «حسين» عطلة نهاية الأسبوع مرة كل شهر، كان ينتظرها هي و«كريم» دائما بفارغ الصبر.

استطاع أن يسيطر على النوبات الهيستيرية التي كانت تهاجمه من آن لآخر، فأصبح يشعر بدنوها وصار يتحكم في إيقافها قبل أن تبدأ خاصة بعد أن بدأ علاجا مع طبيب نفسي شهير موضحا له كل التفاصيل التي مر بها.

وبدأت تمر الأيام طويلة وكئيبة يقضيها وحيدا دائما، غير قادر حتى على

إنشاء شركة جديدة والعودة للعمل مرة أخرى.

في صباح أحد الأيام قرر أن يذهب إلى مكان لم يذهب إليه منذ أمد بعيد، فاشترى باقة من الورد وذهب ليزور قبر «ندى» وقف أمام قبرها، ثم قال: وحشتيني قوي يا «ندى» قوي.. ربنا خد لك حقك مني.. تالت ومتلت.. يا رب تكوني مسامحاني.. أنا تعبت قوي من غيرك يا «ندى» قوي.. بس انا عارف انك سامحتيني.. أنا عارف والدليل الحلم، أنا بقيت وحيد قوي يا «ندى».. قوي.. خايف من الناس لدرجة لا تتخيليها.. خايف من كل حاجة.. خايف حتى اعيش.. دمعت عيناه وهو يضع باقة الزهور على القبر وانصرف خارجا من المقابر وظل سائرا على قدميه طويلا، إلى أن وجد نفسه أمام صديقه الأوحد البحر في لحظة غروب الشمس، نظر إلى الشفق الأحمر في كبد السماء وظل صامتا وكأن صوت موج البحر يواسيه ويحدثه ذلك الحديث الصامت الذي يدور دائما بين كليهما.. دائما ما كانت تمنحه أمواج البحر ذلك الشعور الرائع.. إلى أن مر خلفه أحد بائعي الذرة بعربته المتهالكة التي وضع عليها مذياعا قديما للغاية لكن صوته كان لا بأس به، فآتاه منه صوت «أنغام» الساحر تشدو:

القالك حد.. لو ضاقت بيك يفتح لك قلب

يبقالك صحبة وأهل وبيت..يناديك لو إنت في يوم ضليت

ويشوفك لو ع الخلق داريت ويحسك رغم البين والبعد والقالك حد

القالك حلم من الأحلام.. ما تسيبش سنينك للأوهام.. ده الدنيا ما بين أفراح وآلام

من الشوك تسقيك تتطرحلك ورد

القالك قلب يحن إليك.. وحبيب يشتاق ويروح يناديك.. لو طالت في الأيام لياليك

يبقالك شمس وفجر وغد.. القالك حد

صوت «أنغام» العذب وإحساسها بالكلمات أعطاه شعورا أن الأمر

حان له بأن يبحث عمن يكون له الصحبة والبيت.. أن يبحث عن قلب يحنو عليه.. أن يبحث عن حلم جديد.. أن يبحث عن شمس يوم جديد.. بداية حياة جديدة يحياها ينسى بها آلامه وما مر به، كم تذوق كلمات تلك الأغنية ومعناها.. كم كانت إشارة أمل إليه لفجر يوم جديد انتظره طويلا لأكثر من خمس سنوات منذ بداية مأساته.. نعم آن الآوان ليستعيد نفسه.. أن الآوان ليمنح لـ«حسين الصاوي» الحق في الحياة من جديد من دون خوف.

تمت بحمد الله





عقل مذنب

"حسين الصاوي" مهندس مرموق، يحيا حياته بانطلاق بعد وفاة زوجته. يفاجأ ذات يوم بخبر مصرع إحدى الممثلات في حادث سيارة منذ ثلاثة أيام، على الرغم من أنها كانت بصحبته في اليوم السابق، فينتابه الشك في سلامة قواه العقلية. وبمساعدة صديقه "خالد" الطبيب النفسي؛ يستعيد أحداثًا هامة مضت في حياته، كان لها الأثر الأكبر في تكوين شخصيته وعقدته النفسية، ويزداد الأمر تعقيدًا حينما يتسلل الشك لنفسه في أنه من قتل زوجته بسبب عقدته النفسية تلك، ليدخل في دوامة لا تنتهي الأسئلة، وتغمره سيول جارفة من الأفكار، حتى يتغير مجرى حياته تمامًا.



مهاب ترجم

روائي مصري، من مواليد الإسكندرية عام ١٩٨٥. تخرج من كلية التجارة بجامعة الإسكندرية عام ٢٠٠٦، ويعمل حاليًا مديرًا بقطاع العمليات بأحد البنوك. صدرت له رواية "عقار ٢٤" في عام ٢٠١٤، ويتم تحويلها حاليًا إلى مسلسل تليفزيوني، وتعد "عقل مذنب" هي روايته الثانية.



للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف كريم آدم